فلسطین

مؤلفات ميشال شيحا

Ouvrages (ré)édités aux éditions du Trident:

POÉSIE

La maison des champs (1934, éditions de la Revue phénicienne)

CONFÉRENCES ET ÉDITORIAUX

Le Liban d'aujourd'hui (1942)

Essais I et II (1950 et 1952)

Plain-Chant, propos dominicaux (1954)

Palestine (1957)

Politique intérieure (1964)

Visage et présence du Liban (1964, éditions du Cénacle libanais)

Propos d'économie libanaise (1965)

Variations sur la Méditerranée (1973)

عن دار النهار للنشر ومؤسسة ميشال شيحا:

خواطر (جزآن) ترجمة جميل جبر.

لبنان في شخصيته وحضوره ترجمة فؤاد كنعان.

لبنان اليوم ترجمة احمد بيضون.

فلسطين ترجمة (جديدة) لنبيل خليفه.

ميشال شيحا

فلسطين

مقدمة
خليل رامز سركيس

ترجمه إلى العربية
نبيل خليفه

© دار النهار للنشر ومؤسسة ميشال شيحا
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى، تشرين الأول٢٠٠٣
ص ب ٢٢٦-١١، بيروت - لبنان
فاكس: ٥٦١٦٩٣ -١-٩٦١

ISBN 2-84289-468-5

واجبٌ وطنيّ

ميشال شيحا من أوائل الذين وعَوا، منذ أربعينيّات القرن الماضي، أن قضيّة فلسطين أكبَرُ من فلسطين– أكبَرُ تاريخاً وأكبَرُ جغرافيةً. فقارَبَها، على هدي ذلك، مقارَبةً تضمَّنتْ، في ما تضمَّنتْ، صفحاتٍ من عمقِ رؤياه الغدَ ويَّةِ الأبعاد.

فلمَّا توفّي ميشال شيحا سنة ١٩٥٤، قَبْلما ازدادت القضيّة الفلسطينيّة تأزّماً فأصبحتْ معضلةً عالميّة، كانت كتاباته فيها شبْهَ نبوءة عنها، إذ تَوقَّعَ غوائلَ الحروب وسائرِ البراكين التي فجَّرتْها معضلةُ فلسطين في أعوامنا الخمسين الأخيرة فضربتْ كثيراً من البلدان المجاورة والبعيدة ضرباً مباشراً أو غيْر مباشر. وكم كان لدينا عنها في لبنان من أخبارِ يقينٍ وفواجعِ اختبار!

ولو عاد إلينا ميشال شيحا في ألفيَّتنا هذه الثالثة فعاينَ فعانى ما لا ينفكّ يضطرب في المشارق والمغارب من خَلْفيّات فلسطين ومن مخلَّفاتها، لَما فجأتْه أحداثُها، بل ربما وجد رؤياه قد تحقَّقتْ كوابيسُها مرحلةً فمرحلة، فأمست حالاتُها على أسوإِ تَفاقم. وربما تبيَّنَ له أن خوفه على بعض المستقبل، ومنه، خوفٌ مُسَوَّغ. وذلك بأنّ شيحا كان في طليعة الذين استوعبوا مخطَّطاتِ إسرائيل– إسرائيل الكبرى–، فاستنطقوا تاريخها في ماضيه وحاضره وفي سوادِ زمنه الآتي. وربما خُيِّل إلى بعضهم أنّ مُرشدَهم كان يردِّد: «أنْجَسُ شيءٍ وأقدَسُ أرض».

فمِن أجْلِ ذلك كلّه حقَّ للعربيّة على ميشال شيحا – ما أمكنَ – أن تترجَم إليها مؤلَّفاتُه كتاباً فكتاباً، فيتاح لها القارئ الذي قلَّما يقع على مثْلها في لغته الأُم.

أليست الترجمة، هنا، واجباً وطنيّاً؟

خليل رامز سركيس

«إنّ قرار تقسيم فلسطين بإنشاء الدولة اليهوديّة
لمن أضخم الأخطاء في السياسة المعاصرة. إنّ أمراً
(كهذا) وإن بدا يسيراً في الظاهر، فلسوف
تستتبعه عواقب غير متوقّعة. وليس من باب
امتحان العقل إذا قلنا انّ هذا الحَدَث الصغير
سيُسهم في زعزعة أسس العالَم.»

ميشال شيحا

٥ كانون الأول ١٩٤٧

إشارة تمهيد

هذا هو المجلّد الأول من مجموعة سيتمّ فيها تصنيف كتابات ميشال شيحا التي لم تُجمع بعد بحسب الموضوعات، ولاسيّما افتتاحيّاته في صحيفة «لوجور». وإنّه مجلّد مكرّس للقضيّة الفلسطينيّة.

إنّ «مؤسّسة ميشال شيحا»، بإعطائها الأولويّة لهذه القضيّة، فإنّها تلبّي إحدى أمنيات الراحل وتستجيب لإحدى ضرورات الساعة.

لقد بات ثابتاً، حقاً، أن الأحداث الخطيرة التي شهدها الشرقان الأدنى والأوسط، والوضعيّة التي نتجت عنها، إنّما ترجع في مصدرها إلى إنشاء دولة إسرائيل. وإنّه لمن العبث ترجّي عودة العلاقات بين الغرب والعالم العربي إلى الوضع الذي تقتضيه طبيعة الأمور، كما يقتضيه الدفاع عن القيم الإنسانيّة الأساسيّة التي يتمسّك بها الجانبان، ما لم يُستدرَك، مسبقاً، وطبقاً لمبدئَي العدالة والحق، الخطأ الذي ارتُكب في فلسطين.

يحوي هذا المجلّد مجموعة مختارة من المقالات الوفيرة التي كرّسها ميشال شيحا لفلسطين، وكان قد كتب آخر هذه المقالات تحديداً عشيّة مرضه الذي قضى عليه.

أحد هذه المقالات، المؤرّخ في ١٥ حزيران ١٩٤٤، يصحّ اعتباره بمثابة مدخل إلى المجموعة.

إنّ الفاجعة الفلسطينيّة، منظوراً إليها بأفق التاريخ، وعبر هذه الكتابات الشواهد عليها، إنّما تمّت قسمتها إلى ثلاث حقب مندرجة تحت العناوين التالية:

١٩٤٥-١٩٤٧: الإفلاس الخُلُقي.

١٩٤٨-١٩٥٠: التنازل عن الأرض المقدّسة.

١٩٥١-١٩٥٤: إستمرار زحف النكبة.

إنّ هذه المرحلة الأخيرة ما فتأت تتطوّر باتجاه طالما رصدته بدقة بصيرة التوقّع لدى الكاتب.

بمثابة مدخل

ننسى أحياناً خصوصيّات هذا الجوار، وأن بين جميع البلدان ثمة بلد، مع بلدنا، هو من أكثرها إثارةً للدهشة. بين المتوسط والبحر الميت، وبين الصحراء وأول منحدرات لبنان بضع مساحات من الأرض تستهوي، لأسباب مختلفة، نصف البشريّة.

هذا الأمر عائد الى قوّة النفس وفي الوقت عينه إلى حشد مبهم من حركات الروح. أليس أن فلسطين هي واحد من الأمكنة الأكثر إجلالاً في العالم؟

ليست هي الثروات المادية ما يحرّك الشعوب حول هذه الأرض القاحلة. فالذهب يأتيها من الخارج مع شهوة الفتح. إنها غبار مقدّس، وبقايا خرائب مقدّسة يتمّ استرجاعها؛ والثلم الذي يُشقّ فيها يستدعي دفقاً من عرق الانسان.

في جنوب لبنان تقع فلسطين. فلسطين الصاخبة التي تولّد عواصف كتلك التي تولّدها بحيرة جناشارت (طبريّة) العذبة.

إننا ننظر من جهة وأخرى إلى بعضنا البعض منذ سنوات عبر الحدود التي تفصل بيننا. وليس أكيداً أننا كنا دائماً على تفاهم.

نحن هنا بلدٌ مكتظٌّ بالسكان، ونحن مدعوّون إلى زيادة في هذه الكثافة. وفي معادلة النسب، فإن لدى لبنان نسبة سكان أكثر كثافة من تلك التي لفلسطين اليوم، وهي نسبة تزداد بالتأكيد. وهل من الضروري أن نضيف بأن لبنان يودّ أن يعيش، وأنه مصمّم حتماً على العيش؟

إنّه لقدر فريد ذاك الذي يشدّ الانسان إلى أرض بعيدة بديل أن يربطه بمسقط رأسه (وهو إذ يضع أحياناً حيزات شاسعة بتصرف الأمم، فإنّه يحظّر عليها إشغالها) إن الذين اضناهم انتظار المجيء إلى فلسطين ينتمون في الغالب إلى أكثر الممالك غنىً. ومع ذلك، فلا الطبيعة الأجمل، ولا المناظر الأنبل تكفي لترسيخهم فيها. حتى ولا المناخات الأقلّ حرارة، التي توائم أكثر البشرات المتراخية والقادرة أيضاً على تجديد الأعراق الشائخة.

أما يخشى هؤلاء المدافعون عن الماضي، ان يفقدوا في هذه المغامرة أسمى فضائلهم، فيأتي الرعيل الثاني (إذا تعذّر على الأول)، و (يأتي) الرعيل الثالث في أكثر تقدير، شبيهاً رغم كل شيء، بإسرائيل العتيقة الراقدة، إسرائيل المتعبَة كما في الزمن الغابر.

نحن اللبنانيين، نشهد تطوّر المأساة بالمعنى الكلاسيكي، وبالمعنى الشكسبيري للكلمة. وليس لأحد أن يتّهمنا باللامبالاة أمام أهميّة ما يقوم به الأشخاص وما يجري بالفعل.

علينا، على الأقل، أن نتذكر أكثر بأن فلسطين مجاورة للبنان في الجنوب، وان لبنان، في هذا الاتجاه، كما في غيره من الاتجاهات الأخرى، هو بحاجة لكل أراضيه، ولآخر سنبلة من قمحه، كما ولآخر شجرة من زيتونه.

هذا لا يمنعنا نحن أيضاً من التفكّر بفلسطين وبوتيرة أكثر من الآخرين بداعي جوارنا المباشر، وعلى أنها أرضنا المقدسة، وعلى أنها الموضع المختار حيث سُلِّمتْ مفاتيحُ الملكوت.

١٥ حزيران ١٩٤٤

١٩٤٥-١٩٤٧
الإفلاس الخلقي

أرض الميعاد

ليس لأيّ موضوع سياسي كان أن يحوّل أنظارنا عن فلسطين! ففي جوارنا المباشر تتشكّل إحدى القضايا الأكثر قلقاً للعالم.

يمكن للمرء ان يتساءل عمّا إذا كان أصحاب الأمر والنهي في إسرائيل، إذ يحرّكون عواطف شعبهم، حتى الهيجان، نحو هذه البقعة من الأرض، فإنّهم، هم بالذات، يعملون ضّد مستقبل هذا الشعب.

إن تعداد اليهود اليوم هو خمسة عشر أو ستة عشر مليوناً؛ وسيصبحون في يوم ما عشرين أو ثلاثين مليوناً وأكثر في مختلف أنحاء العالم. فما الذي ستصبح عليه فلسطين الضيقة بالنسبة لهذا العدد؟ وإذا لم يكن لفلسطين مبرِّر وجود إلا أن تكون ملجأ لليهود المضطَّهدين، أليس في ذلك إغراء، في بعض البلدان المكتظة بالسكان، باضطهاد شعب اسرائيل؟..

من بين مواقف اليهود السياسيّة التي يصعب الدفاع عنها، سعيهم للحصول على جنسيّة ثانية في حين أن كل البلدان، حيث يعيشون، منحتهم جنسيّتها. وأن يكون المرء انكليزياً أو فرنسياً أو أميركياً أو هولندياً أو سويسرياً أو دنماركياً، أليس ذلك بكافٍ؟ أليس في ذلك ما يشرّف؟

لكن إذا كانت أوروبا الشرقيّة اليهوديّة هي التي ستؤمّن إعمار فلسطين، فلنصارَح بذلك. وعندها، سيكون هذا الأمر أكثر مثاراً للقلق من مفهوم أكثر تعميماً لهذه المشكلة الشائكة.

كيف يُراد ليهود اوربّا الشرقيّة الانتقال إلى فلسطين بالآلاف وبمئات الآلاف من دون أن يحرّك ذلك مشاعر عرب فلسطين وكل أهل الجوار معهم؟... وكيف يُراد للسلام أن يولد من مغامرة هي إلى هذا الحدّ متهوّرة ومليئة بالمخاطر؟

لدى اليهود إمكانية للتحكّم بالعديد من مظاهر الاقتدار. فلماذا يجازفون بهذه القدرة في مشروع تاريخي، ولكنّه مناقض للتاريخ على طول الخط؟...

إنّنا نعرض لهذه الأمور بشعور حيّ من التضامن الانساني ومن الشفقة التي تثيرها نكبات بني اسرائيل. ولكن، عندما تحوي مدينة كنيويورك لوحدها ثلاثة ملايين يهودي، وإن هذه الملايين الثلاثة في المدينة العملاقة ستضحي ستة ملايين بعد جيلين أو ثلاثة، وجب التساؤل عن جدوى إقامة فلسطين اليهوديّة، وبالتالي عن كل مأساة فلسطين؟

عندما تشرف الحرب على الانتهاء، فمن الطبيعي التفكير في السلام. إن لليهود الحق في أن يحلموا بهذا السلام شأنهم شأن غيرهم. فما الذي سيكون عليه سلام إسرائيل الآتي؟ تمكن الاجابة أن هذا السلام الخاص، سيتوقف، الى حد بعيد، على الموقف السياسي للجماعة اليهوديّة في العالم.

نحن من أولئك الذين يودّون، مخلصين، سعادة اليهود شريطة ألا يبتغي اليهود، مباشرة أو مداورة، شقاء الآخرين. ولكن، لا يبدو أن مبادرات معيَّنة كتلك التي تُطرح منذ حين، تنضح بالحكمة بحيث تؤدّي لبلوغ الوئام والوسلام.

١٩ نيسان ١٩٤٥

قصّة يهوديّة

يعمل اليهود المستحيل لجعل الناس يتكلّمون عنهم في هذه الآونة. ومن دون شك فهذا ليس أمراً جديداً. ولكن يجب التسليم أن ستة عشر مليون يهودي في العالم يحدثون من الضجيج ما يفوق عشرين ضعفاً من المسيحيّين أو المسلمين أو البوذيين. بهذه الطريقة وغيرها يسترعي اليهود الانتباه. هذا الشعب لديه القدرة على تحريك الأوضاع بشكل مدهش.

إنّه، منذ قرون الأكثر اهتماماً بحركيّة الثروة وبالقضايا المادية ويجعل من المال (التائه مثله) الرافعة الأساسية لقدرته. ولكنّه يستخدم العلم أيضاً كما الصحافة والفنون (بعض أسماء الكبار في العلم المعاصر هي من إسرائيل). ولكنّ المفارقة في أنه يستخدم النزعة الصوفية ليبني، قبل كل شيء، مملكة زمنية في حين أن الدين يفترض وجوداً قائماً في ما وراء هذا العالم.

لقد ألمحنا إلى أن ستة عشر مليون يهودي لا يمكن أن يكون لهم في فلسطين أكثر مما للعالم المسيحي وما للإسلام مجتمعَين. إلى هذا الواقع الساطع تمكن إضافة هذا الأمر وهو أن المسيحيين الأوائل تحدّروا هم أنفسهم من اليهودية، وبهذه الصفة فإن الأدّعاء المسيحي حول فلسطين والقدس يساوي مثله مثل الادّعاء اليهودي حولهما.

ومع ذلك، فإنّا نتبيّن أن وزن الحجة التاريخيّة في تناقص لدى أسياد العالم. فلقد تدخّل الرئيس ترومن في الجدل وبنيّةٍ إنسانويّة جليّة إلى حد التعجّب كيف أن الولايات المتحدة ترفض أن تمنح السعادة والسلام، فوق أراضيها، لمئة ألف يهودي متواجدين في ألمانيا؛ وكيف ان السلطة

الأميركيّة تتخذ قراراً كهذا في مثل هذه القضيّة التي لم تكن لتستهويها البتّة لو لم يكن اليهود يشكّلون ثلاثة أو أربعة ملايين نسمة في نيويورك وجوارها.

ولأنّه يستحيل علينا، نحن اللبنانيين، أن نتجاهل هذه القضيّة بسبب جوارنا المباشر لفلسطين، وعلاقاتنا مع الدول العربية الأخرى، فإنّنا سنعود لنقاربها بقوة المنطق والفطرة السليمة. وعليه، أية لذة يستشعر بها اليهود إذ يؤلّبون عليهم، حتى في عقر الدار التي بها يطالبون، هذا القدر من الشعوب الذين لديهم من الصفات أكثر مما لهم ومن العدد أكثر ممّا لديهم؟ ولماذا هذه «الفلسطين» الصغيرة الضيّقة الهزيلة القاحلة التاعسة والتي على وشك أن تكتظّ بالسكان، تكون، إلى هذه الدرجة، مادةً للمطامع والشهوات، في حين أن حيّزات في العالم الجديد وخارجه يطيب العيش فيها لا تزال خاوية؟

ما هو هذا الجنون القديم الذي يعود فيتبدّى عبر التاريخ كأنّه داء عضال أو كأنه بالضبط، السمة لتعصّبٍ جامح؟

مع اليهوديّة، وهو ما يؤكّده الكل بإخلاص، كنّا سنعيش بسلام. ولكن، ما الذي تعنيه هذه المؤسّسة الصهيونية التي تؤكد عمداً طبيعتها الاحتلاليّة والعدوانيّة واللاإنسانيّة؟

كيف تفهم أميركا العادلة هذا الأمر أو تبرّره؟ وماذا عن العمل المنهجي لنزع اليد عن الملكيّة، وهذا الاستبدال العنفي للسكّان، ولنَقُلْها جهاراً، هذا الاستئثار بالإرث عن طريق الاحتيال؟

فلو أخذنا بهذا الاعتبار من دون أن نجنح بشكل وقح، إلى الحد الأدنى للمقابلة العرقيّة، ألا يصبح الهنود الحمر، وهذا صحيح، الملاّكين الشرعيّين لأميركا وأول المتملّكين للأرض، وبالتالي يمكنهم أن يطالبوا باعتزاز باستعادة الكابيتول في واشنطن.

وبعد، فإنّ ما تنبغي المرافعة عنه كحجَّة دامغة (مهما كان رأي المؤرخين والمشترعين) هو أن هذه المغامرة، كما تبدو، قد تصبح داميةً ومهولة، وإن دور الأمم المتحدة، في آخر طبعة حديثة «للمبادئ الخالدة» هو في منع حدوث ذلك.

لم يحدث قط أنه من أجل إيديولوجيّة من هذا النوع نستشعر مثل هذا الاستبشار في إزاء مأساة كهذه. غداة حرب رهيبة، وفي هذا العصر الذي لُقّب بعصر الأنوار، هل سيتمّ نبذ العدالة والحكمة بشكل كامل؟

٢٦ أيلول ١٩٤٥

مدخل لتحقيق

هوذا التحقيق بشأن فلسطين الذي ستتولاّه لجنة أنغلو–أميركيّة. يمكن القول عن الانكليز إنهم تصرّفوا بحكمة، وعن الأميركيّين إنّهم لم يتقاعسوا عن واجب. فعندما تُقتَرح حلول لإحدى المشاكل، ينبغي التأكد أولاً من معرفتنا الكافية لمعطيات هذه المشكلة.

سيتبيّن الأميركيّون بشكل رسمي، حجم الصعوبات لما يطالبون به بشكل غير رسمي. فلسوف يدركون أن وجهات نظر اليهود الصهاينة الأميركيين حول فلسطين لا تنطبق حكماً على الواقع السياسي والعدالة الدوليّة ومصالح الولايات المتحدة.

لقد كان للولايات المتحدة دائماً، في العالم عامةً، وفي الشرق الأدنى خاصة، صورة الدولة التي تحصّل الحقوق المهضومة. إن القضيّة الفلسطينية بدّلت قليلاً من هذه الفكرة التي تكوّنت في الأذهان عن أعظم قوّة في العالَم. وبات في روع الناس أنه، حتى في واشنطن، يمكن

للحكم المسبق المنحاز أن يحجب النور عن الحق كما يمكن للمشاعر أن تتسلّط على العقل.

إن الموافقة الأميركيّة على العرض البريطاني جاءت بمثابة تعزية للضمير العالميّ. فلسوف ترى أميركا وتحكم عن قرب، وسيتبيّن لها عن كثب أن فلسطين هي حقاً جدّ صغيرة لاستقبال الدياسبورا اليهوديّة من دون أن يشكّل ذلك عمل عنف في مواجهة الطبيعة.

أجل، ستتبيّن أميركا ذلك، ومن دون شك ستكتشف أنه في الحق كما في الواقع، فإن المغامرة الصهيونيّة يصعب أن تجد مبرّراً إزاء الموقف المسيحي والموقف الإسلامي بخصوص الأرض المقدّسة.

لقد أشار السيد بيفن إلى أنه، حتى الآن، لم يهتدِ الى أيّ قاعدة تفاهم بخصوص فلسطين؛ وتحدث بقوة في مجلس العموم عن مصاعب «الدين واللغة والثقافة، ونمط الحياة وطريقة التفكير والتصرّف»، وناقش بموضوعيّة الحجة التاريخيّة وخلص إلى القول إنّه لا بدّ آن أوان التوفيق بين عدّة آراءٍ متضاربة.

إنّنا نتمنّى أن يكون ذلك ممكناً وأن تكون اللجنة المكلّفة بالتحقيق في فلسطين قادرة على تربيع الدائرة. وبانتظار ذلك، يتمّ كسب الوقت، وهو مكسب لا يُقدّر بثمن.

السيد بيفن أضاف أن بريطانيا ستردّ بالقوة على كل محاولة، من هذا الجانب أو ذاك، لفرض حلّ بالقوة. هذا موقف سليم إذ يعطي المحققين الوقت الكافي للتحقيق بهدوء كما يعطي الدول إمكانيّة فهم الموضوع والحكم عليه.

إنّ الولايات المتّحدة ستجد نفسها يوماً أمام الحقيقة الواضحة. وجلّ الأمل، أنّها في ذاك اليوم ستستخدم كلّ قدرتها لصالح فلسطين التقليديّة وليس ضدها. فالولايات المتحدة، قبل أن تضمّ خمسة ملايين يهودي، هي بلد مسيحي. لقد ذهب الرئيس ترومن إلى حدّ تأكيد ذلك في رسالته الأخيرة الى اليابانيين. وربّما سيفعل الأمر نفسه في أحد الأيام فيوجّه رسالة إلى العبرانيين.

١٥ تشرين الثاني ١٩٤٧

ما قاله رئيس أساقفة انكلترا

أن تجلب الدعاوى المقامة على مجرمي الحرب، في المانيا، ومواضع أخرى، بعض العزاء لليهود، فهذا ما نتفهّمه بطيبة خاطر. إنّه مجرّد بلسم يوضَع على جراح ثخينة. ولكن أن يُصار إلى التعويض على بني إسرائيل وتلبية طلبهم وبتسليمهم فلسطين، فهذه مسألة أخرى. إنّ ديوناً كهذه لا تُدفع من أراضي الغير. فلتطبّق شريعة الثأر حتى النهاية على الذين اضطهدوا اليهود وغيرهم من دون وجه حق. إنّنا نسلّم بذلك من دون تردّد؛ ولكنّنا نرجو أن يتذكّروا أنه لم يُسفك أي دم يهودي على يد فلسطين. وجلّ ما فعلته إذ هي محاصَرة ومهدّدة، أنّها دافعت عن نفسها.

ها هو رئيس أساقفة كنتربري «الذي أعرب تكراراً عن تعاطفه مع اليهود» يتخذ الأسبوع المنصرم، بحسب البرقيّات، موقفاً ضد الحركة الصهيونيّة.

فلقد أعلن رئيس أساقفة انكلترا أن المشكلة اليهوديّة لا يمكن أن تُحلّ «لا كليّاً ولا جزئياً في فلسطين». إنّه لجدير أن تُعلَّق في الصدر هذه الكلمات الخطيرة والعلنيّة. إنّها مؤشر لكلام جديد أكثر وضوحاً في قضيةٍ كان الكثيرون من الانكليز يعتقدون أنّها طُويت على يد «اللوردات الروحيين»، فإذا بها تُثار من جديد.

بهذا تذكّر كنيسة انكلترا العالم بأنها مسؤولة عن المسيحية أيضاً، ويتعيّن عليها، في الوقت عينه، أن تنصف الإسلام. إنّها تعطي ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه.

فلنحيِّ سيادته باحترام لأنّه حمل إلى المدافعين عن الحق عزاءً أكيداً، وجاء كلامه منسجماً مع التاريخ والعقل والإيمان.

هذا يسمح لنا مجدداً بأن نتأكد من أنّ القرار الانكليزي الأميركي للتحقيق في فلسطين قد أحدث ارتياحاً نسبياً في كل مكان، على الرغم ممّا أثار من ضجّة وجدل. إنّنا ننتظر بفارغ الصبر أن يقوم الأميركيّون بعملية مسح لأرض فلسطين وأن يقيسوا مجالها الضيّق مقارنةً بمجالهم الوسيع، وأن يروا بأمّ العين أنّه لأمر يفوق التصوّر ذاك الذي يهدف إلى حشر الفائض من يهود أوروبا وأميركا في هذه البقعة! إلاّ إذا عُلِّب الناس فيها كما تُعلّب أسماك الأرض الجديدة. لكنّ أميركا دولة متبصّرة، وهي بلاد الاحصاء. ففيها ينظر إلى الأمور باتساع أفق وشموليّة، والحل العامودي المبسّط ليس خيارها الوحيد. وحتى الآن، يصعب تصوّر الأرض المقدّسة وقد غزتها ناطحات السحاب في حين لا تزال هناك حيّزات كثيرة حرّة في العالمين القديم والجديد.

إنّ ما نخشاه حقاً، هو أن تضيق أنفاس الأميركيين من أعضاء لجنة التحقيق، بفعل نقصان الهواء، حين يتنقلون بين تل أبيب وحيفا بعد بضعة أسابيع.

هذا يساعد على إقناعهم بأن رئيس أساقفة انكلترا كان على حق عندما حكم وقال: «إنّ مشكلة اليهود لا يمكن أن تُحلّ لا كلياً ولا جزئياً في فلسطين».

٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٥

لا جديد في فلسطين

أعرب المحقّقون الآتون من أميركا وانكلترا عمّا يرونه بخصوص فلسطين والمشكلة اليهوديّة. وأمام العقدة الغورديّة[1] لم ينصحوا باستخدام السيف للإبقاء عليها، أقلّه إلى حين.

لقد وجدوا في سياق التحقيق وبعده، وفي حمّى الجدل والتأمل اللاحق، المسوّغ للمبادئ التالية (نعرضها كما تبدو لنا):

حيث أن فلسطين هي أرض مثلّة التقديس لدى المسيحيّة والاسلام وإسرائيل، فإنّها لهذا السبب، وأسباب أخَر، لا تتجزأ؛ وعليه ينبغي الاحتفاظ لفلسطين بصيغة وصاية دوليّة كي لا تتمكّن أي قوة، على الساحة، من السيطرة على القوة الأخرى، أو القوى الأخرى. ينبغي أن يكون الآن بمقدور مئة ألف يهوديّ من أوروبا دخول فلسطين. أما الهجرة المقبلة، فلا يمكن الجزم بشأنها بشكل قاطع، لأنّ المستقبل هو الذي سيحدّد المسار...

إنّه حلّ اصطبار وانتظار. فمن جهة يضغط عبء مئة ألف عائد جديد، ومن الجهة الثانية، لا شيء؛ ذلك أن أي احتمال لإسكان عرب من الخارج في فلسطين، لا يبدو في الأفق.

(١) العقدة الغوردية Noeud gordien : عقدة قطعها الاسكندر بسيفه وهي رمز المشكلة الصعبة والمعقدة.

إن الحجّة التي يقدّمها المحققون لتبرير الهجرة الجزئيّة اليهودية والتي يوصون بها، إنما هي قبل كل شيء حجة عاطفيّة. ونحن، في ما يخصّنا، نحترم الدافع النفسي الذي أوحى بها. فهو دافع مفعم بالانسانيّة تولّد وتأكد إزاء النكبة الكبرى التي مُني بها اليهود في أوروبا الوسطى والشرقيّة. لكن، لا بدّ من البحث عن الدافع السرّي الكامن وراء هذا الشعور. إنّ مدداً بمئة ألف رجل له شأنه حتى في بلد كبير؛ ومن سخريات القدر أن الشفقة والسياسة قد تلتقيان في ظروف غريبة!

لكنّ ما يتعذّر حصوله هذا الصيف قد يحصل في أوقات لاحقة. وذلك ضمن مستقبل سياسي يتمّ تحضيره خلسةً تحت شعار الشفقة والأخوّة الإنسانيّة.

لقد قيل ان المحققين الانغلو–أميركيين كانوا يتوقّعون أنهم لن يكسبوا مرضاة أحد. وكانوا يعملون ضمن حدّين: النهج الأسطوري الراسخ لديهم من جهة، ومفهوم الانصاف عندهم القائم على أن مؤشّر النجاح هو في عدم إرضاء كافة الأطراف من جهة ثانية. نحن نعتقد من جهتنا، وبدون تردّد، أنّ ذلك لم يرضِ أحداً. ونحن أيضاً في عداد غير الراضين، ونتجنّب في هذا المضمار، اعتبار ما حصل فوزاً للإنصاف.

نحن نقرّ فقط بأن الوضعيّة (الفلسطينية) تكاد تبدو مستحيلة الحل. ويمكن مقارنتها، في أحسن الحالات على الصعيد العملي، بأكثر المشكلات استعصاءً على الحلّ في كل العصور. وأن رمزها بالضبط هو هذه العقدة الغورديّة، التي قلنا إنه بديل حلّها بالقطع فإنّه، ويا للمفارقة، سيتمّ الدفاع عنها بحدّ السيف.

الحقيقة أن القضيّة الفلسطينيّة، بعد التحقيق، ستبقى تقريباً على حالها مع انتظار مئة ألف مهاجر في الأفق.

٣ أيار ١٩٤٦

حظوظ العقل في فلسطين

المشروع العربي لحلّ المشكلة الفلسطينية مليء بالوعود. فإذا قبل اليهود بقيام حياة سياسيّة مشتركة، تمّ الحل المطلوب. وإذا لم يقبلوا بذلك، كانوا على ضلال مبين. إنّ الخلاص يتراءى لهم كما أرض الميعاد بعد أربعين سنة من السَّيْر في الصحراء.

إنّ الصيغة التي طالبنا بها بقوّة منذ زمن بعيد هي هذه بالذات المقترحة في لندن. إنّها الصوابُ بعينه: حكومةٌ واحدة، ومجلس واحد، وأحوالٌ شخصيّة مصوغةٌ ضمن إطارٍ من الانفتاح.

في المحصّلة، إنّه الحّل اللبناني مع بعض المحاذير الخاصة بفلسطين. إن الجمعيّة المشتركة هي التي تمثّل إرادة العيش المشترك في بلد مؤلف من أقليّات مشتركة.

إن لدى العرب واليهود بديل رفع الحائط الذي يفصل بينهم، أو تعميق الهوّة من الجانبين في ما بينهما، لديهم الحظ الآن للعيش سياسياً سويّة، ولتنمية بلدهم سوية. هذا أفضل بالتأكيد من تقطيع البلد إلى شطرين وتركه فريسة لجنون الحرب الأهليّة.

إذا كان زعماء إسرائيل يبتغون إسعاد الشعب اليهودي في إطار السلام، وإذا كان المستقبل لديهم يتحقق ليس في الغطرسة وإنّما بالعمل والوئام، فإنّ المأساة في فلسطين قد أشرفت على النهاية، وجاء زمن الحصاد. ومن الضروري توجيه التحيّة إلى رحابة النظرة لدى العرب التي سمحت بالتوصل إلى هذا الحل الذي هو حقيقة حلّ إنسانيّ، إلى هذا المخرج المناسب الواقع في أوانه.

هل يفكّر زعماء الصهيونية هكذا؟ أم أن سيكولوجيّتهم، وبالرغم ممّا هم عليه من شجاعة وذكاء، ستخونهم مرّةً أخرى؟ إننا نأمل أن لا يحدث ذلك، وأن يتغلّب العقل فيهم على الأوهام والنزوات.

لقد عاد الأمل بأن نجعل من فلسطين بيتاً آخر لله. وليس بمقدور أحد أي يقيس مدى ما يستطيع الزمن أن يحقّقه في العظمةكما في الجمال. وهكذا بإمكان السلام السياسي والسلام الديني أن يزدهرا سويّة في كنف إسرائيل.

فيا ربّ، لا تدع الظلام يغشى أفكار أولئك الذين باتوا يتصرّفون بعد الآن بأمور الحرب والسلام.

٧ تشرين الأول ١٩٤٦

نقص في المنطق

الغيرة الأميركية على الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، من اليسير شرحها وفهمها أيضاً.

إن المزايدة التي كرّس نفسه لأجلها رئيس الولايات المتحدة وحاكم ولاية نيويورك تكشف إلى أيّ حدّ ينبغي التنبّه إلى الجماهير في الفترة السابقة للانتخابات. إن مدينة نيويورك وولايتها هما حقاً من حيث العدد، حاضرة اليهود في العالم.

لكن عندما يعيش ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي بسلام في نيويورك، نتساءل عن الحكمة من توطين مئة ألف منهم أو أكثر، على وقع دويّ المدافع في فلسطين.

وفيما يقترح الرئيس ترومان والحاكم ديوي، ولكن بخجل، ضرورة تليين القوانين الأميركيّة الجائرة حيال الهجرة، فإنّهما يظهران إنزعاجهما على صعيد البرهان والمنطق.

فلماذا لا يفتحان أبواب الولايات المتحدة على مصاريعها أمام جميع اليهود ومن جميع البلدان؟ فلئن كانا مقتنعين، فهذا واجبهم. ونحن نعتقد أن يهود أوربا، الذين يبتغون مغادرة أوربا، سيكونون في الولايات المتحدة أفضل حالاً حيثما حلّوا من حشرهم في فلسطين الضيقة، الهزيلة، القحطاء، والتي تغصّ فوق ذلك بالسكان.

هذه الحجة الكبرى والدامغة لا تحرّك ساكناً، كما يبدو، لدى السيّدين ترومان وديوي، إذ هما لا يحفلان بها. فنحن نؤمن أكثر من أي إنسان بفضيلة هذين السيّدين وننحني أمام هذه الفضيلة بالإجلال الواجب؛ لكنّ عجبنا يبقى كبيراً إذ نجدهما على مثل هذا التصلّب في الرأي.

عندما نتدخّل بقضايا الآخرين بهذه الطريقة، وإلى هذا الحدّ، أليس مطلوباً أن نكون قادرين على الإقناع وأن يكون الحق الساطع إلى جانبنا بحيث لا يكون بمقدور أحد أن يشكّك أو يناقش؟

إن المداخلات الأميركية في فلسطين تأخذ شيئاً فشيئاً طابع القضية الأميركية البحته. ومن المؤسف أن يقوم الشعب الأميركي، وهو اليوم أقوى شعوب العالم، بتأمين الغطاء لمغامرة كهذه، إنّه بالتأكيد يضع نفسه في تناقض مع أقدس مبادئه الخلقيّة والسياسيّة.

٩ تشرين الأول ١٩٤٦

آفاق فلسطينيّة

جميع المقترحات الصادرة عن الجانب الأنغلو ـ أميركي، بشأن فلسطين، وجميع التدابير والتنظيمات المطلوبة، وجميع الحلول تستوجب، بدايةً، إسكان مئة ألف يهودي إضافي في أرض فلسطين.

هذا التعزيز المسبق للوضع اليهودي في فلسطين خليق بأن يجرَّد من كل طلاء خارجي، فالغرض المقصود منه جليّ وواضح.

الجانب الثاني من المشروع الانكليزي، في صيغته الأخيرة، هو طابعه المؤقت. هذا الأمر مفهوم وواضح، ذلك أن صيغاً خطرة ومعقَّدة كتلك التي يعلنون إنّما هي بطبيعتها مؤقتة. وفي ذهن واضعي المشروع الجديد أن إنشاء كانتونين إثنين يمكن أن يهيِّئ أو يسهِّل في المستقبل تقسيم الأرض المقدسة إلى دولتَين. في الاتجاه المقابل، فإنّ تأليف حكومة مركزيّة «ثلاثية» يجعل بالإمكان، مع الوقت، قبول فكرة «إرادة العيش المشترك» في دولة موحّدة بديل الدولة الفدراليّة.

وإذا ما آستثنينا بعض الأماكن من أرض فلسطين، وتحديداً مدينة تل أبيب التي هي يهوديّة بالكامل، فإنّ التداخل الطائفي في فلسطين يجعل من العسير الإقدام على تقسيم البلاد باسم الايمان (الديني).

بالنسبة لرجل عاقل كالذي يرى الأمور من قمّة حرمون، فإن على المسيحيين والمسلمين واليهود في فلسطين، أن يتمكّنوا من العيش سوية كمواطنين في دولة واحدة متمتّعين بحقوق حتماً متساوية، مع مزيّة نظام أحوال شخصيّة موسّعة.

هذا هو الحلّ السويّ، هذا هو الحلّ الإنساني، وهو الذي سيقود فلسطين إلى مستوى رفيع من التنظيم والازدهار.

ولكن، كما يحدث عادة، فإنّ الأمور الأكثر معقولية تُرَدّ، والأمور الأكثر منطقيّةً تُستبعَد.

غير أن الأقليّة اليهودية في فلسطين (ورؤساءها المنتشرين في العالم) تتمتّع بمكانةٍ رفيعة لتوجيه مصير العبرانيين داخل فلسطين غير مقسّمة. فهذه الأقليّة اليهودية تمتلك بوضوح جميع عناصر القدرة.

وهذه الأقليّة عينها المجلببة بالسلاح، بالرغم من عمل الزمن الوئيد والتطور الطبيعي والهادئ للأمور، فإنّها ستفضّل مع ذلك الخلاف والحرب ووضعية خلقيّة مجازفة تتولّد عنها لتطال يهود العالم أجمع. (لأنّه)، بحسب ادّعاءات الصهيونيّة، فإن الهويّة المزدوجة لإسرائيل لن تكون مفهومة ومقبولةً، كما ينبغي، في كل مكان.

أن يُفرض المشروع البريطاني، فمن الممكن أن يستمرّ لزمن محدود. لكن أن تُقسّم فلسطين إلى اثنتين والقدس إلى ثلاث والشعيرات إلى أربع، مع ١٠٠,٠٠٠ يهودي إضافي في الأرض المقدسة، فهذا سيكون صعب التحقيق ويحمل مخاطر جمّة.

إنّ مشروع لندن هو صيغة قرن-أوسطيّة، صيغة الغيتو. وستكون هذه خطيئة اليهود إذا استطاعوا إحراج الحكومات والأذهان الأكثر اعتدالاً في العالم، بمثل هذه التركيبات المخالفة للصواب.

٨ شباط ١٩٤٧

شهادة

منذ أيام، حظي مراسل صحيفة «التلغراف» اللبنانية في القاهرة، والتي تصدر باللغة العربية، بمقابلة مفتي فلسطين الأكبر. وقد أطلق المفتي كلاماً مهماً في موضوع العلاقات بين الدول العربيّة والفاتيكان. قال الحاج أمين الحسيني: «أتمنّى أن أرى كل الدول العربيّة تسارع لإقامة علاقات ديبلوماسيّة مع الفاتيكان، كما فعل لبنان، لأنّي أدرك الفائدة الكبرى لهذا التمثيل بالنسبة للتطوّر الملائم للقضية الفلسطينيّة».

«إنّ دعم قداسته لمطالب فلسطين يعني مساندة ٤٠٠ مليون كاثوليكي». ذاك تعبير عن ذكاء صاحٍ، إنّها لغة رجل دولة.

فالحاج أمين الحسيني الذي يكنّ له لبنان بأسره (لبنان الذي حلّ ضيفاً عليه) مشاعر المودّة والاحترام العميق، قد أظهر بذلك، مرةً أخرى، معرفته الخارقة بحقائق هذا الزمان. وما يتمنّاه لفلسطين، مسقط رأسه،

نتمنّاه نحن، ونفتّش معه من دون ملل، عن الوسائل المؤدية إلى انتصار قضية عادلة في فلسطين.

من المفيد أن نضيف، ولمزيد من الإيضاح، أن القضية الفلسطينية ستعرض في شهر حزيران أمام هيئة الأمم المتحدة، وأن عدداً مؤثّراً من أعضاء الأمم المتحدة – إلى حدّ ما جميع أصوات أميركا اللاتينيّة مثلاً – يأخذون في الاعتبار سياسة الكرسي الرسولي ويتخّذون من مراعاة أمانيه مدعاةً للاعتزاز. والحق أن لسياسة الفاتيكان أصداء بعيدة تمتدّ إلى ما وراء العالم الكاثوليكي. إنّها من السياسات الأكثر اتساعاً وعلى الأرجح من أكثرها اطّلاعاً في المعمورة. ويعلم العرب، كما أكّد صراحة الحاج أمين الحسيني، أن الوفود الفلسطينية التي ذهبت إلى روما (واحدة منها في الصيف المنصرم)، لاقت دائماً لدى الفاتيكان أُذناً صاغية.

لقد أعاد الحاج أمين الحسيني إلى الأذهان الموقف الشديد الوضوح لقداسة المثلّث الرحمات البابا بيوس الحادي عشر حول فلسطين وأكّد قناعته بأن قداسة البابا بيوس الثاني عشر يقتفي أثر سَلَفه اليوم في ما يفكّر ويعمل.

إنّه ليسعدنا أن نرى سياسة البلدان العربيّة تتسع حتى تبلغ أبعاداً عالميّة وتقيم علاقات تشدّ إزرها ويكون لنا منها دعم حاسم في الأيام الصعبة. إنّ حكمة الحاج أمين الحسيني وبُعد نظره يشرّفان هذا الرجل المجرّب، هذا القائدَ ذا الأفكار الواسعة والقلب الكبير، وهي تشرِّف معه الإسلام بأسره.

٢٩ آذار ١٩٤٧

إسرائيل أمام الأمم

القضيّة الفلسطينيّة أمام الأمم المتحدة هي محاكمة لإسرائيل أمام الأمم. أجل، إنّها محاكمة كبرى ينبغي أن تثير حماس العالَم.

خمسون بلداً سيكونون مدعوّين إلى التساؤل لماذا يرغب اليهود في أن تكون لهم دولة، وأن يحصلوا على جنسيّة بديل باسم الايمان (الديني) في حين أنّهم أصبحوا مواطنين حيثما كانوا، يتمتّعون بالحرية وبالغنى وبجميع أشكال القدرة الخفيّة، إذ هم أسياد المال والصحافة والسينما وعدة أمور أخرى أيضاً. لماذا، هذا الشعب الأكثر تشتّتاً في العالم حيث ينزرع ستة عشر مليون إنسان، منذ عصور، في جهات الأرض الأربع، وقد ترسّخت لهم جذور تحت كل سماء، لماذا يستمرّون يتصرّفون وكأنّهم مشرّدون، في حين أن لديهم جوازات سفر هي مثار اعزاز لحامليها.

إنّ ممثّلي خمسين بلداً سيكونون مدعوّين إلى التفكير في مثل هذه الأمور والبتّ في ما إذا كانت فلسطين ذات الكثافة السكانيّة، وأهلوها المحرّرون من الهيمنة اليهوديّة منذ عهد طيطوس على الأقلّ، سيكونون ملزمين باحتمال ثقل الغزوة الصهيونيّة تحت ستار الدعاوات المختلفة التي يتذرّع بها هذا الشكل الحادّ من العرقيّة.

أمّا أن تكون حالة اليهود حالة كلاسيكيّة، وأن تكون مغامرتهم الجماعيّة من أشهر المغامرات على الإطلاق، فلسوف يتبيّن لممثّلي الأمم،

أنهم لم يتعرّفوا إلى هذه القضية إلا بشكل سطحي، هي التي لا تعادلها أية قضيّة في التاريخ.

إنّ مطالبة اليهود الحماسيّة بزاوية ضيّقة من الأرض هي عندهم ضائعة منذ تسعة عشر قرناً (في حين تقدر عدة امبراطوريات منحهم الآن ملاجئ أرضيّة شاسعة)، إنّما هي مطالبة محيّرة. فباي الذرائع، إن لم تكن ذرائع تجانب الصواب وتتحكم بها النزوات العاطفيّة، يمكن إقناع قضاة الأمم المتحدة لوضع كامل فلسطين، اعتباطاً، تحت حكم إسرائيل، او تجزئة أرضها الفقيرة بشكل مأساويّ؟

إنّ ملف هذه القضية سيكون مقلقاً للصهيونية إذا كانت الصهيونية تأخذ في الاعتبار الحكمة والعدالة. إن ما تطالب به الصهيونية هو تحدّ ظاهر للحضارة وللمقوّمات الخلقية التي برّرت الحرب الأخيرة.

لقد أيّد الحاج أمين الحسيني المفتي الأكبر لفلسطين، عرض العرب بأن يعيش جميع أبناء فلسطين بأخوّة تحت حكم قانون واحد وبمقتضى أحوال شخصيّة موسّعة.

منطقياً، وإنسانياً، ما الذي يمكن أن تقوله الأمم المتّحدة ضدّ هذا الطرح؟

١٦ نيسان ١٩٤٧

قضاة إسرائيل

من الواضح أن المسألة الفلسطينيّة تجري مقاربتها بحذر، من كافة جوانبها، أمام الأمم المتّحدة. فالتحفّظات الخطابيّة تتعدّد والتصريحات تكتسي كافة أشكال الاحتراس والريبة.

و لم يحصل أبداً أن كانت القوى الخفيّة جاهزة يوماً مثل حضورها هذه المرّة في كواليس مشكلة دوليّة كبرى. فالمقصود فعلاً هو المزيج الذي لا شبيه له والمركّب مما هو أكثر دوليّة وعرقيّة في آن: إنّه شعب إسرائيل.

إذا ما نظرنا إلى الأمر عن كثب، لَبَدَتْ الحالة فريدةً من نوعها:

إنّ يهود العالَم، وقد أبحروا بجرأة في ظلّ حالة وضمن مشروع سياسيّ هدفه إنشاء دولة يهوديّة على حساب شعب آخر، يحالون بواسطة انكلترا التي يتمرّدون عليها، أمام محكمة الأمم؛ أجل، انكلترا التي كان يُظنّ أنّها في طليعة من أحسن إليهم فإذا بها تعامل من جانبهم كما لو أنها من ألدّ أعدائهم.

إنّ موقف اليهود تجاه انكلترا هو أشبه ما يكون بموقف إسرائيل إزاء يهوه (مع فارق في دقّة التشبيه طبعاً).

فطوال القصص التي ترويها البيبليا، يتبيّن بشكل دائم هذا الكفر القاتم بالنعمة لدى شعب الله، إلى حدّ استجلاب الأسوأ في العقوبات.

لهيئة الأمم المتحدة الآن أن تقول الحق في وضع يستدعي قطعاً التوجّه إلى العزّة الإلهيّة. إنّ تشتّت شعب إسرائيل فيه من الإثارة بحيث يمكن اعتباره ظاهرةً فوق- بشريّة. لكن، حتى على الصعيد الانساني البحت، فمن الواضح أنه لا يمكن لفلسطين إيواء ما يعادل عشر عدد اليهود في العالم. في الواقع، إنّ عدد اليهود يتراوح بين خمسة عشر إلى ستة عشر مليوناً، فأية جدوى من إرسال المزيد منهم إلى فلسطين، في حين أنّهم فيها، على ضيق مكان، وفي خارجها على الرحب والسعة.

وسيكون من المستغرب إن لم يقل ممثّلو الأمم في أنفسهم مثل هذا القول في ختام منطقهم ومداخلاتهم.

إنّ الوضع يتمثّل تقريباً على الشكل التالي:

١- من غير المحتمل البتة أن يرغب معظم اليهود، ومن كلّ مكان، في التجمّع على أرضٍ يهوديّة، متخلياً، كل فرد منهم، عن جنسيّته ومسقط رأسه.

٢- ولئن كان هذا محتمل الحدوث، فإنّه يتعذّر أن تكون فلسطين هي هذه الأرض نظراً لصغرها المفرط.

٣- ما الجدوى، بالتالي، من وضع العالم العربي، والعالم أجمع، في دوّامة العمل المرهق، بفعل المطالبة اليهوديّة بشأن فلسطين، ومن الإصرار المتعمّد على المضي في مواجهة مصيبة مؤكّدة.

فإذا لم يكن اليهود راضين بأن يكونوا انكليزاً أو أميركيين أو فرنسيين، فلِمَ لا يُمنحون أرضاً تكون متناسبةً وعددهم ومطامحهم ودعايتهم؟

ومن دون استباق عدالة الأمم المتحدة، فإنّ إصرارنا على التأكيد بأن ممثلي الأمم يعرفون ويفقهون كل ذلك يجعلنا، كما نعتقد، نحيّي الذكاء الذي به يمتازون.

٣٠ نيسان ١٩٤٧

واحدة لا تتجزأ

هل سترى لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة في فلسطين ما لم ترَه سابقاتها من لجان التحقيق؟ وهل ستلج إلى داخل اللغز وحلّ ما كان يبدو للآخرين عصيّاً على الفهم؟

ومهما يكن من أمر، فالمخارج لا تعدو أن تكون ثلاثة:

أمّا أن تُترك فلسطين بكاملها، أياً كان شكلها، لسكانها الحاليين باعتبارهم شعباً واحداً.

وأمّا ان يتمّ شطرها فتخصص حصة لليهود وأخرى للعرب،

وأمّا أن تُعطى أخيراً لليهود، مما سيعني للآخرين اغتصاباً واستعباداً.

إنّ الاحتمال الأخير مخالف للصواب إلى حدّ أنّ مجرّد التفكير فيه يُعدّ ضرباً من الجنون. أما الاحتمال الثاني فهو تعسّفيّ إلى حدّ أن رجال الدولة في هذا العصر، أو حتى مجرد أشخاص متحضّرين، لا يمكنهم التوقّف عنده طوعاً ما لم يهينوا العقل والمنطق.

وكيف تشطر أرض بهذا الصِغَر، وهي مكتظّة بالسكان، أرضٌ حيث كل شيء فيها بهذا المقدار من التشابك والتعقيد.

إنّ اليهود أنفسهم، الذين لديهم الحلم الرحب المعروف وقفوا حتى الآن ضد التقسيم (لأنّ شعب إسرائيل يعلّل النفس بأن أحد أبناء داود سيملك يوماً على امبراطوريّة تمتدّ حتى «أور» في أرض كلدان).

إن تقسيم فلسطين إلى شطرين سيكون تجديداً لقضية «السودات»[1] Sudètes في تشيكوسلوفاكيا وسيؤدي، عاجلاً أم آجلاً، إلى مأساة قابلة لأن تتّسع على نطاق كوني.

في الوقت الذي يحتفي المفوّض السامي لصاحب الجلالة البريطانية بلجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة على وقع فتوحات الأرغون، فقد بدت اللجنة مرتبكة وحائرة. وذلك أن المهمّة التي كُلّفت بها إنما هي اجتراح معجزة (معجزة لم يُرَ شبيهٌ لها في التوراة كلّها).

وفيما يستعيد المفوض السامي ذكرى «أوليس»، فإنّه مدعوّ إلى القول في قرارة نفسه، بأنه من غير المحتمل أن يظهر المحققون المشهورون المرسلون من قبل الأمم، وكأنهم أكثر مهارة من الانكليز لوحدهم.

إنّ المحققين سيتساءلون عمّا قريب: ما الذي أقحم الأمم في سجن الأشغال الشاقّة هذا؟

ومع هذا، فهناك ميل إلى الاعتقاد بأن حكمة الكون لن يُحكم عليها غيابياً؛ ولن تغيب منه روح العدالة؛ وان السفر إلى فلسطين لم يقم به رجال بارزون آتون من كل أقاصي الأرض ليقترحوا الجور ويكرّسوا الطغيان.

إنّ الأمم سترى وتدرك بشكل نهائيّ، ومن دون شكّ، بأن فلسطين هي واحدة لا تتجزّأ.

٢٠ حزيران ١٩٤٧

(١) قضيّة السودات :Sudètes قضية أقلية المانية في تشيكوسلوفاكيا أخذت اسمها Sudètes من جبل في بوهيميا وطالبت بأن تُضمّ إلى المانيا واتخذها هتلر حجةً للتّدخل في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨، وتبعها ضمّ منطقتها (البوهيم–Bohème) إلى المانيا. في العام ١٩٤٥، استعادت تشيكوسلوفاكيا المنطقة وهجّرت بشكل شبه كامل أقليّة «السودات» نحو المانيا.

من أجل لجنة التحقيق

كلّنا يذكر ما خاطب به الأب «دي فرتو» شخصاً كان يحمل إليه مستنداً مهمّاً يتعلّق بكتابه حول حصار مالطا، إذ قال: «مع أسفي الشديد، سيّدي لكنّ حصاري قد تمّ».

شريطة ألا تكون ذهنيّة لجنة التحقيق الوافدة إلينا من فلسطين هي ذاتها ذهنيّة الأب دي فرتو؛ وأن «لا يكون حصارها قد تمّ».

فهل تصطدم حجج الأقطار العربيّة برأي معطّل أم بقرار متّخذ؟ معاذ الله أن نشكّك بحسن نيّة زائرينا البارزين وبموضوعيّتهم. فلجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة تستحق كل الاحترام. إنّها رمز العدالة الكونيّة بالذات وآيتها في الأرض. غير أنّ آراءً مقلقةً تأتينا من كل جهة حول القضيّة الفلسطينية. ففي العديد من العواصم يتحدّثون عن امرٍ واقعٍ وعندهم أنّ التقسيم قد حصل وأن الدولة اليهوديّة قد أنشئت. حتى بتنا نرتقب على ريبة وحذر ما يُهيّأ من اختبار خطابي وجدلي في إحدى بقاع جبل لبنان بما يشرّف تلك البقعة.

لقد داروا حول القضية الفلسطينية مئة مرة. وسبروا أرضها بكل الطرق. وبسطوا كل أنواع الحجج في غرّة الضحى. والكل يرى بوضوح أن القضية هي مسألة أمر واقع وقوة تمارس العنف ضد مسألة

حق. والكل يرى أيضاً، أن الغرض، من أية جهة نظرنا إليه، إنّما هو الدعم العددي للموقف اليهودي في الأرض المقدّسة ولكن بشكل مرحلي، على أن يصل في نهاية المطاف إلى تحقيق السيادة اليهوديّة على تلك الأرض.

لكن، وأخيراً أليست الأرض المقدسة، مقدَّسةً إلا لليهود؟ أليست مدعاةً للإجلال إلا بالنسبة إليهم؟ وهل يعني التقسيم التعسّفي والظالم للقطعة الأكثر قداسةً على الكرة الأرضية، شيئاً آخر، سوى استسلام الروح وامتهان الذكاء والاتّجار في سوق النخاسة؟

وبينما ينزع العالم المقسّم والجريح (لما بعد الحرب)، في كل مكان، إلى ضمّ ما تجزّأ، وإلى التعاون، وإلى توسيع فكرة المدى، فإنّ ما يحدث في فلسطين هو العكس تماماً: إنّه تقسيم لا إنسانيّ لجسد حيّ. إنّها تجربة تشريح وحشيّة وعبثيّة لكائنٍ حيّ.

فقد تخيّلنا للحظة (بالاستناد إلى أعمال لجنة سابقة) أن التقسيم قد أنجز، وأن المناطق صارت متداخلة، وتعمّم التشابك والتعقيد في كل مكان، وتفكّرنا في القدس والجليل، في السهول والهضاب والمدن البحرية، وقد أضحت لوحة شطرنج، وأحجية، ومتاهة، وتحدياً لكل ما يعلّمه العقل في هذا العصر إذن لحُملنا على الحزن والتمرّد. وعليه، سيتراءى لنا سيل متواتر من الهجرة المبنيّة على عرقيّة ساخطة والتي

ستطيح بكافة الأطر خلال فترة وجيزة لا حساب لها على مستوى التاريخ.

هل ستُحلُّ المشكلة عندما تستوعب الدولة اليهوديّة في فلسطين مليون يهوديّ إضافي أو مليونين إن شئت؟ كلاّ ثم كلاّ. إذن ما العمل، ما تُراهم يعملون، وأية حماقة سيرتكبون؟ حينئذٍ سوف تستغيث اسرائيل أكثر مما تفعل اليوم لمواجهة الجور والإضطهاد. وستكون أيام أشبه بالقيامة في الشرق وفي الغرب.

ليس من المحتَّم أن نكون مقادين بواسطة الأمم المتحدة ذاتها إلى مثل هذا التطرف، وأن تجعل المؤسّسة الدولية من نفسها أداة لخلاف متفاقم ولنكبات آتية بما لا يُقاس، وهي الهادفة، في أقصى ما تهدف، الى بسط السلام في العالم.

إنّ المشهد الطبيعيّ اللبنانيّ، حيث الطرف يُبسط إلى البعيد، سيساعد ضيوفنا من موفدي الأمم على قياس المستقبل لإرسائه على أسس المنطق والانصاف.

لكم كان يبدو طبيعياً أكثر لو ارتضى اليهود أن يجعلوا من كل سكان فلسطين الحاليّين شعباً واحداً! فأيّ رجاء لا يتولّد آنذاك من التعبّد الثلاثي الهادئ والأخوي للإله الواحد!

٢١ تموز ١٩٤٧

مفكرة لمحقّقي الأمم المتحدة

إنّه الموعد الملائم للتذكير بأن قضية فلسطين التي هي هدف أعمال اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة والجارية حالياً فوق الأرض اللبنانيّة، إنّما هي واحدة من أهم قضايا العالم.

وإذا ما بدت مشاكل دوليّة أخرى ذات أبعاد أوسع، فإنّ المشكلة الصهيونيّة تذهب بعيداً في العمق إذ هي أشدّ القضايا ارتهاناً للمستقبل، فهي تقرن ما بين أعراض السياسة اليوميّة وموادها المتحركة وبين سمة دائمة هي الأكثر غموضاً في تحديد المصير.

هذا الأمر لا يخفى على ممثّلي الأمم المتحدة طبعاً. فهم يَقْدرون خطورة مهمّتهم. وسيكون من السفه أن نطلب إليها مقاربتها بالمزيد من الجديّة أيضاً. غير أننا لا نرى في الإلحاح إسرافاً حين نتذكر أن سلام الأمم يمكن أن يتوقف، يوماً، على استنتاجات التقرير الذي يستجمع محقّقو الأمم المتحدة عناصره.

أجل، ان القضية الصهيونية سيكون لها بالتأكيد وقعها على مستقبل اليهوديّة العالميّة، وذلك تبعاً للطريقة التي ستعتمد لمعالجتها. فإذا أدت إلى شقاق في الشرق فلسوف تؤدي إلى مثله في الغرب أيضاً.

وقد تكون العاقبة أكثر سوءاً من أضنى ما رأيناه حتى الآن. ففيما يعني ممثّلي الأمم المتحدة (وضد قيام دولة يهوديّة مصطنعة وتعسفيّة)، فإنّ الحجج، تبعاً للفطرة السليمة، تبقى حاسمة: هل يمكن تصحيح مظلمة بارتكاب أخرى بما يؤدي إلى تبعاتٍ لا حصر لها؟ وما هي الجدوى من حلّ المسألة اليهوديّة في فلسطين من طرفها وبشكل جزئيّ، فيما هذه المسألة تبقى كما هي، بل تبرز بمظهر أكثر حدّةً في بقية أرجاء العالم.

ومَن هم يهود العالم الذين لا يخالج مواطني كل البلدان أن يقولوا لهم يوماً من الأيام: ماذا تفعلون هنا؟ عودوا إلى داركم، إلى الغيتو السياسي الخاص بكم. وبديل الادّعاء بحكم انكلترا والولايات المتحدة أو فرنسا، إذهبوا إذن واحكموا فلسطين.

بناءً عليه، لماذا تعامَل المسيحيّة والاسلام سوية بالعنف، لماذا إلى هذا الحدّ تُجرَّح الدول العربية كما تجرّح العدالة والعقل من أجل نتيجة عابرة ومخيِّبة للآمال؟

إننا لا نتخيّل، ولا لبرهة، أن الأشخاص الأفذاذ، العاملين هنا لحساب هيئة الأمم المتحدة، التي تعني بالقضية الفلسطينية، لن يوظِّفوا جميع قدراتهم النفسية لاقتراح حلٍّ هادئ ومنطقيّ قادر على تجاوز الحاضر والتحسّب لتقلبات الزمن في المستقبل.

لم يحصل أبداً، والحق يُقال، أن وجدَ محقّقون رسميّون أنفسهم أمام مشكلة ضميرية بمثل هذا الاتساع...

٢٣ تموز ١٩٤٧

عن رسالة تاريخيّة

الرسالة التي وجّهها مفتي فلسطين الأكبر إلى صاحب القداسة بيوس الثاني عشر، تظلّ رسالة مؤثّرة حتى بعد قراءتها مرتين أو ثلاثاً. ففي تقديمه وفد عرب فلسطين إلى قداسته منذ ثلاثة أسابيع برئاسة متروبوليت عكا المطران جورج حكيم، كتب الحاج أمين الحسيني يقول:

«نحن على يقين أن توثيق عرى الصداقة بين كرسيّكم السامي الاحترام والعالمين العربي والاسلامي – وهو توثيق تمنّيناه من كل قلوبنا وصبونا إليه بكل قوانا – سيكون له أفضل النتائج كي نتمكن، سوية، من تجنّب مخاطر المبادئ الهدّامة، الخطرة جدّاً، التي تهدّد جميع الأديان وجميع المعتقدات، وجميع الأخلاق، وتنذر بأخطار فادحة».

فمن من الذين لا يقصرون حياة الروح وقدرة النفس على حدود هذا العالم لا يشاطرونه لغة الايمان والرجاء هذه؟ وإذ تُصاب مسوّغات وجود الشعوب برمّتها بالانحلال وحيث تغور أجزاء شاسعة من الإنسانية في هاوية الشقاء، نجد العزاء في هذا الحوار الودود الذي يدور بين «العالمين العربي والاسلامي» والكرسي الرسولي. إذ المقصود أولاً اعتراف بالله، ومن بعده دفاع عن الحق. غايتان تفوقان كل شيء. ففي مواجهة الإلحاد العدواني، فإن جميع الذين يعبدون الله يتواصلون ويتلاقون. وبما يخصّ الحق المهدّد، فإن الدفاع عنه ينتظم حول الأرض المقدّسة، حول هذه الفلسطين التي تريد سياسةٌ غاشمة تقطيعَها وتقوم العرقيّة بتهديدها.

ليس في هذا الظرف حدثٌ أبرز من آفاق تقارب لا يزال يختمر منذ عصور. وليس في مجريات الأحداث الكبرى لهذا العصر ما هو أكثر جوهريّة منه. وفي ما يتخطّى منازعات هذا العالم، وفي ظلّ العناية الإلهيّة، فإنّ فضيلة الاحسان والمحبة تظلّ تفعل فعلها.

٢٣ آب ١٩٤٧

المأساة الفلسطينيّة

يعزّ علينا أن نرى فلسطين مشرّحةً ومقطّعة إرباً. ويشقّ علينا أن نرى هذه الأرض المقدّسة خاضعة لعمليّة فيها الكثير من العنف والتعسّف. لقد أقرّ أعضاء لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، وبالأكثرية، حلاً لصالح التقسيم ومن أجل قيام دولتَين مستقلّتين. فالهواء الطلق للجبل السويسري لم يلهمهم في شيء. ولم يتذكّروا الرغبة العميقة بالتلاحم التي تشغل العالم. وأكثر حكمة من ذلك، اقتراح الأقليّة باعتماد الحل الفدرالي.

إنّ الجمعيّة العامة سوف تقرّر. ولكننا نكاد نسمع، منذ الآن، صراخ العرب وصياح اليهود. فالاحتجاجات ترتفع من كلي الطرفين. إن

تقسيم فلسطين المرتقب، وهو على هذا القدر من القبح، يجد صورته الحقة في حكم سليمان الذي أشرنا إليه قبل وصول البرقيات: هذا الطفل الحيّ الذي آثرت أمُّه الشرعية أن تقدّمه للمرأة المغامرة بديل أن تراه وقد شُطر شطرين. لكن القاضي ليس سليمان بحيث يهتّز لنداء أحشاء الأمومة.

دولتان تكوّنت أرضهما بما يشبه اللغز، ووضعت القدس وحدها تحت سلطة دوليّة، وشوّه الجليل، وجرّح وجه المسيحية والاسلام، فأية ذلة جديدة، وأيّ إثم به تستحق فلسطين أن تصاب بهذه النكبة؟ كل هذا إرضاءً لهوى عابر لدى إسرائيل ولهوسها بالرجوع إلى أرضٍ تركتها منذ عهد «تيطس»[1]، أرض لا تتّسع لسدس اليهود المشرّدين في المعمور.

إنّ موقف لجنة التحقيق يعني أن أية حجة لم تثمر وأية استعانة بالعقل لم تنجح، لا ولا أية أمثولة مستمدة من الجغرافيا والتاريخ، ولا أي أمر مبنيّ على تقدّم العصر وعلى ضروريّات الحياة. وبديل إحلال السلام يجري التمهيد للحرب. لقد قوي اليهود في كل مكان بحيث باتوا يعملون بقوة لإنشاء بلد أصلي لهم وجنسيّة رئيسة حيث بقيّة الجنسيات هي الاحتياط. إنّها لمغامرة مدهشة.

لكن، أيدري الساخطون ما الذي ينتظرهم في فلسطين إذا تمّ التقسيم وهم، هم تحت أسماء مختلفة وطوال تاريخهم أثاروا يهوه ضدّهم وحيث

(١) تيطس Titus امبراطور روما (٧٩–٨١ م). كان قائداً عسكرياً في عهد سلفه الامبراطور فسبسيان Vespasien (٦٩–٧٩م) فقام بحصار اورشليم وتدميرها عام ٧٠م.

اللعنة عليهم فتفرّقوا أيدي سبأ؟ إنّهم سرعان ما سينقسمون على أنفسهم. فالصهيونية في أرض الميعاد ليست سوى هباء من الأحزاب والقبائل. ويوجد منها ثلاثون نوعاً على الأقل، وحدّثوننا عن أن فيها يهوداً أصلاء، وورثة الحكمة القديمة، وقد شرعوا في فلسطين يصطكون خوفاً على مستقبلهم ويفكرون بمغادرة الدولة اليهوديّة التي جهّزت لهم. وها هم يبصرون فيها منذ الآن الخلاف والتعاسة، وبلبلة الألسن، واستحالة الدمج، وغلبة العناصر المتطرّفة، وكلّها مؤشرات نذير بالحقد والاضطهاد. وبالنسبة لهم، فإنّ مطامع إسرئيل غير الواضحة ليست سوى كارثة إضافيّة.

إنّ الهدف الوحيد لليهود الحقيقيّين، المتديّنين والحكماء ينبغي أن يكون القدس والهيكل؛ ولكنّنا نعرف ما الذي بقي من الهيكل. كما نعرف أن القدس ستظلّ في جميع الأحوال تحت سلطة جمعيّة الأمم. ماذا تعني إذن مغامرة إسرائيل وإلى أية مرثيّات جديدة سوف تقود الشعب المختار!

إنّ الخطأ الذي يجري ارتكابه إنّما هو خطأ فادح. ولئن بدا العقل عاجزاً (عن فرض نفسه) على الرغم من الحق الصريح، فينبغي أن نرى في ذلك، مرة أخرى، دوراً ليدِ الخالق وشكلاً غير متوقّع من أشكال الغضب والعقوبة.

٥ أيلول ١٩٤٧

أميركا في الميزان

أبدت الولايات المتحدة رأيها علانية، أمام الأمم المتحدة، وعلى لسان الجنرال مارشال، بتأييد تقسيم فلسطين. الجنرال أكّد من دون تردّد، وفي مستهلّ كلمته، على وجود دولتين: واحدة عربيّة والأخرى يهوديّة. ويبدو أنه ليس بين الأمم التي تضمّها المنظمة الدوليّة واحدةٌ لها قدرات الولايات المتحدة (وبالحجم المطلوب) لكي تطلب، ولحساب اليهود، قسمة ولاية نيويورك إلى دولتين.

حجة الأقوى هي الفضلى دائماً، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تتجلّى، بشكل صارخ، الحقيقة الأزليّة بين البشر. وعندها ستنتصر حجة الأقوى نهائياً، وإنما ستكون حجة معقولة على الأقل.

في وادي يوشفاط، سيؤدي الأميركيون، يوماً، حساباً عمّا في سياستهم الفلسطينية من ظلمٍ وتقلّبٍ أيضاً؛ وسيستجلبون اللعنة لأنفسهم، بما فيها لعنة قضاة إسرائيل لموقفهم الذي لا تبصّر فيه ولرأيهم المتصلّب. إن امتثالهم، بمثل هذا الحبور لرأي الأكثرية من أعضاء لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، يدلّ إلى أي حدّ كانوا يرغبون أن يصير هذا الرأي ما صار إليه. لقد تمّت محاصرتهم منذ زمن بعيد. ولكن، عاجلاً أم آجلاً، سيكون ندمهم أقوى من تصلّبهم الحالي، إذ أنهم لا يحقّقون السعادة لليهود في ما يصنعون؛

إذ ان سياستهم محكومة بالانتهازيّة؛ وشأنها شأن أي عمل تجاريٍّ وهي أشبه ما تكون بخطيئة مميتة.

بالنسبة للصهاينة، فبينما يناهض المتطرّفون منه التقسيم، ينتظر الآخرون على أحرّ من الجمر أن تقوم لهم دولة ذات سيادة؛ إنّهم يرون منذ الآن أنفسهم في الأمم المتحدة، وعشية استعادة مجد بيت داود. نتساءل حينئذٍ ما تراه يكون موقف اليهودي ذي الجنسية الفلسطينية إزاء اليهودي ذي الجنسية الأميركية أو الانكليزية أو الفرنسية، وما إذا كان بإمكانهم التواجه من دون تبسّم سخرية، وما إذا كانت موجة الإرتياب المتسعة (حول قرار اللجنة) سوف تطاول حينئذ تلقائياً هؤلاء الأخيرين، وكل الناس.

١٩ أيلول ١٩٤٧

مسيرة القَدَر

ولا أيُّ اهتمامٍ يُشغل البال، يمكن أن يتخطّى، في هذه الآونة، القلق المبرّر الذي يشعر به كل لبناني إزاء حاضر فلسطين ومستقبلها. بالأمس، ارتفع احتجاجٌ جماعيٌّ آخر من الأرض المقدسة المسيحية والاسلامية ومن بلدان الجوار. وفي حين أُبلغ أن الوكالة اليهودية قبلت التقسيم، عاود العالم العربي إقفال المدن.

لا يبدو أن أكثرية لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة التي اتخذت قراراً لصالح عمليّة التقسيم، قد قدّرت نتائج قرارها ولاسيما تلك التي على المدى البعيد. غير أن الوكالة اليهوديّة شرحت قبولها للقرار. وعدّته تضحية قاسية، إلا أنّها أبرزت أهمية تأمين الاستقلال لليهود على الأرض الفلسطينية والجلوس كدولة سيّدة غير محدودة؛ أو هي ضرورة يقتضيها صالح اسرائيل.

وإذا ما تمّ التقسيم، فإن الدولة اليهودية، وقد أضحت معقلاً، سوف تشهد بسرعة، النموّ السكاني والكثافة الأغرب في المعمور. ولئن صمد ال ٤٧٠٠ يهودي سحابة ستة أسابيع على الإكزودس Exodus[1]، فلسوف يصمد ألف ضعف منهم ما يكفيه من الزمن ليملأ الكون ضجيجاً وصياحاً ولاجتياح الأرض المجاورة مقوِّلاً وعد بلفور ما لم يقله الوعد أبداً.

إنّ قراراً بخطورة ذاك الذي اتخذته بالأكثرية لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة لن يدرك صداه إلا على مدى عشرين إلى ثلاثين سنة على الأقل. فإذا ما أنشئت الدولة اليهودية في فلسطين بموجب توصيات اللجنة، فلن يمضي عليها عشرون عاماً حتى يضحي عدد سكانها ما بين مليونين وثلاثة ملايين (على افتراض أنه في غضون عشرين عاماً لن تقع أية كارثة). ذلك أن عدد اليهود في فلسطين سينمو على إيقاع مثير بفعل

(١) الإكزودس Exodus : اسم «سفر الخروج» أطلقه الموساد على باخرة كانت تقل ٤٧٠٠ مهاجراً يهودياً الى اسرائيل بطريقة غير شرعية (اواخر ١٩٤٦ – اوائل ١٩٤٧). وقد رفضت سلطات الإنتداب البريطاني السماح للمهاجرين بالنزول في ميناء حيفا – وأعيدت السفينة ادراجها الى اوروبا (الى ميناء هامبورغ) وقد اثار وضع السفينة وركابها ضجة عالمية أطلقها اليهود انذاك.

الهجرة ونسبة ولادات استثنائية عالية (إذ ان المهاجرين إلى فلسطين هم إجمالاً من الشباب). وهكذا، منذ اليوم الأول، سيزداد الضغط عبر جميع حدود الدولة اليهودية، بما فيها حدودنا بالتأكيد، وهو ضغط لن يكون بمقدور أحد أن يتبيّن مدى تطوّره ونهائيّته. فإذا أضفنا إلى ذلك قوّة اليهود المالية ودسهم الدائم في السياسة الدولية، وعددهم وقوتهم في فلسطين أمكن القول انه لن يكون بمقدور أية دولة مجاورة احتواء التيّار الجارف.

تعيش اسرائيل الحلم المدهش بإنشاء مملكة تصل إلى حدود الفرات وتجمع ما بين «أور» في أرض الكلدان وأورشليم. إنّ مشاريعها هي مشاريع إنشاء امبراطورية. إنّها في هذا تواجه مخاطر جمّة وقد تدفع غالياً ثمن مجازفتها تلك. ومع ذلك، فهذا هو حلمها.

على كل لبنانيّ، كما على كل سوريّ، أن يتذكّر أننا الجيران المباشرون لهذا المطمع ولهذه القوة، وان المشروع اليهودي لن يعرف التوسّع المأمول إلا بمروره على جسدنا...

هذا هو الأوان، ربّما، لإعادة قراءة الكتاب المقدس والتفكّر بهدوء في نهاية العالم.

٤ تشرين الأول ١٩٤٧

فلسطين والجغرافيا

كتب السيد سيريل فولز M. Cyril Falls النقّادة العسكري المعروف، ومدرّس تاريخ الحرب في جامعة أوكسفورد في إحدى مقالاته الأسبوعية الحديثة في نشرة «أخبار لندن المصورة» London News Illustrated يقول: «لتكن الخرائط وخرائط الكرة الأرضية أدوات العمل لدى الرجل السياسي ولا سيما خرائط الكرة». هذه هي الحقيقة الواضحة. إذ لن يكون ممكناً الانشغال بزاوية معيّنة من الأرض ما لم تعرف بالضبط ماهية طبيعتها الفيزيائية وكيف تبدو بالنسبة لعلاقتها بالعالم. وبطبيعة الحال، لا بدّ من إضافة الجغرافيا بمعناها الحصري إلى الجغرافيا البشرية.

فلو أن رجال الدولة والسياسة البارعين الذين يعملون في هيئة الأمم المتحدة لإسعاد الجنس البشري، قد تقبّلوا هذا النظام (هذا الطرح) بأفضل ما يكون، ولو انكبّوا أكثر على الخريطة وعلى الخارطة النصفية للكرة الأرضية بديل التفلسف في المجرّد والاقتصار على تصوّرات الذهن، إذن لتكوّنت لديهم فكرة أدقّ عن الحقائق الأرضيّة.

ان على مفصّلي فلسطين إلى اثنتين أو ثلاث، قبل التجرّؤ على صنع التاريخ، بذل الاهتمام المباشر والجدّي فيتضح لهم، أخيراً، أن هذا البلد الصغير لا يمكن أن يُجزّأ إلا بضرب من الجنون؛ وان يقتنعوا بأن التوصيات التي خرجت بها أكثريّة لجنة التحقيق عن حسن نيّة، هي إساءة للمنطق وللنظام الخلقي. غير أنّه لم يكن بدّ من مرضاة الصهاينة مهما كلّف الأمر لأنّ هؤلاء قوة وقادرون بدسائسهم وتصرّفاتهم وصياحهم على إرباك الأرض كلّها، فجاء الحلّ المقترح هجيناً من دون تقدير العواقب.

فإذا ما اتُبّعت توصيات لجنة التحقيق ستصبح فلسطين ممزّقةً على نحو ما صارت إليه تشيكوسلوفاكيا من قبل، ولكن في ظروف أكثر مأساويّة وأكثر قساوة أيضاً؛ ذلك أن المعضلة التشيكية كانت، من حيث المبدأ على الأقلّ، وإذا سُمح القول، أمراً يسير الشأن إلى جانب المعضلة التي يعالجها علم السياسة بهذا الحدّ من الفرادة (او الاستخفاف) في هذه الآونة.

إنّ الأمر الأكثر حكمةً الذي قيل في الأمم المتحدة في المدة الأخيرة، هو أن العرب واليهود يصيبون إذ يتحادثون لتأكيد عزمهم على إقامة نظام مشترك. وعليهم الشروع في محادثة كأكثرية وأقلية حتى الوصول إلى تهدئة الأمور، ومن ثمّ إلى السلام. ويفرض المنطق أن يعيش سكان

فلسطين الحاليّون سويةً نظراً للبلبلة التي هم عليها ونظراً لطبيعة الأرض. ولأنهم يعيشون جنباً إلى جنب، فإنّهم، سياسياً، سيجدون في توسيع قوانين الأحوال الشخصيّة مخارج للمشاكل المطروحة عليهم. لقد ذهب العرب بعيداً في هذا المسار. وقدّموا العروض الأكثر ليبراليّة. وتفادوا إقامة جدار أمام «الفرع الآخر من العائلة الساميّة» على نحو ما عبّر السيد مازاريك Masaryk أول أمس، أمام الأمم المتحدة. بيد أن اليهود صمّوا آذانهم. وبعد أن انتحلوا كل الجنسيّات وتسلّلوا إلى كل الحكومات، ها هم يعملون لمضاعفة قدرتهم فيداعون، بكل قوتهم، بدولة مستقلّة يكون ثمنها تجزئة تعسّفية لفلسطين.

ولو لم يكن ثمة داع لتفادي هذه التجزئة سوى الداعي الجغرافي، لكفى. إنّ الحروب والمآسي التي مُنيت بها معظم الأمم إنّما كانت وليدة أخطاء من مثل هذا النوع.

إنّ ممثّلي الدول العربية، الذين يعقدون حالياً دورتهم في لبنان سيناهضون التقسيم حتماً. وسيمضون، بالتأكيد إلى آخر حدود المقاومة. فما في العالم مثلهم أبداً، من هو في حال الدفاع المشروع عن النفس.

١٠ تشرين الأول ١٩٤٧

الأمم المتحدة وفلسطين دائماً وأبداً!

إن أكثر ما تفتقر إليه هيئة الأمم المتحدة هو التجرّد.

وسيكون من الوقاحة أن نضع أيضاً حسن نيّتها موضع الشك؛ ولكن، حيثما تغيب الموضوعيّة، وحيثما تزكّي المصالح الشهوات، يضحي من العسير الاستمرار في الاعتماد على حسن النيّة حتى النهاية.

إنّ لدى الأمم ذات نقاط الضعف التي لدى الأفراد. بل هي أكثر تحوّلاً منهم استجابة لمستلزمات الضمير. فمنطق الدولة المتصلّب له خدّامه في جميع الدول.

لكن إذا فات منظمة الأمم المتحدة أن تظهر بمظهر النزاهة، وفاتها أن تحكم بالعدل، تكون قد حكمت على نفسها. ويزول أول مبرٍّ لوجودها ألا وهو تصحيح الأخطاء. فإن كانت هيئة الأمم المتحدة تأبى أن «تقول الحق»، فما الجدوى من وجودها وأية مهنة هي مهنتها؟ وإزاء الظلم والامتناع عن الحكم بالحق أي مستقبل سيكون مستقبلها؟

منذ أيام، صرّح ممثّل الاتحاد السوفياتي أمام الجمعيّة العامة للأمم المتحدة أن الولايات المتحدة تسيطر على ثلث الأصوات في الجمعيّة. فهل هي مساومة غامضة بالصدفة، أم هو مشروع (تجاري) حيث نصوّت للأسهم التي نملكها فيه بواسطة شخص ثالث مسخَّر؟ والحق يُقال ان الطريقة التي تصوّت فيها يوغوسلافيا وبولندا وأوكرانيا «كرجل واحد» مع الاتحاد السوفياتي، هي طريقة تأييد مطلق مثير للقلق. ومن حقنا أن نبدي إزاءها الاستغراب.

بئس العدالة حيث ذات الأصوات تجتمع دائماً في الجانب نفسه. بئس العدالة حيث شخصيّة القضاة (الحاكمين) تبدو هزيلةً ومجرّحة إلى هذا الحدّ! لكن، في أقصى حالات التفاؤل، هل يمكن في ظلّ خلقيّة دوليّة نسبيّة وتفاوت في القوى المادي، أن نأمل غير ذلك؟ وإذا كان لا بدّ من عقوبة مستَحقَّة تستدعيها جملة الممارسات المناهضة للأمل الأساسي للإنسانية، فمَن سيقوم بها؟

يُضاف إليه، وفوق كلّ شيء، أن الرياء هو الخطيئة التي تجتاح العالم.

نحن لا يسعنا التصديق بأن الأمم التي أعلنت موقفها لصالح تقسيم فلسطين إنّما فعلته عن قناعة عميقة. وسيكون من الأسوأ، بعد هذا الكم من الأعمال، أن نضع تصلّب رأيهم في خانة الجهالة.

إنّ ثمة بلداناً بها لليهود حاجة أو هي مرتهنة لهم؛ وبلداناً أخرى تودّ التخلّص منهم. آنذاك، بدا من السهل جداً أن يجعلوا من فلسطين ما نووا فعله: جسماً مقطَّعاً، وبؤرة للخصومة بالذات؛ أرضاً فقيرة ضيّقة سقيمة محرومة حيث رمت القوى (الكبرى) التي لديها سعة الأرض والثروات، من دون أيّ تبكيت لضميرها، رمت شعباً متعصّباً في ما يناهض المصالح الخفيّة لهذا الشعب بالذات.

أجل، إنّ الإرغون[1] على صواب في ما رأت، هذه المرة، من أن التقسيم العبثي لفلسطين يمثّل ما هو أقسى من القسوة بالنسبة إلى عرق يبغي إنشاء أمبراطورية؛ ويحلم بأن يحلّ مكان المسيحيّة والاسلام المتواجدين هنا ويطرحهما بدورهما على دروب العالم الكبرى.

بالنسبة للولايات المتحدة، فإن الدليل الساطع والبرهان المحال (المخالف للعقل) على ضلالها هو أن الاتحاد السوفياتي يوافق ولو لمرة على قرارها.

لقد أظهرت موسكو بُعد نظر أكثر من واشنطن. ولو أنّا مكان الأميركيين لكنّا سنفكّر ملياً أكثر.

١٧ تشرين الأول ١٩٤٧

فلسطين ليست أرضاً خاوية

يعالج كلّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مستقبل فلسطين، في ما بينهما، تماماً كما لو أن فلسطين كانت أرضاً غير مأهولة. أما إرادة الأكثريّة من السكان الشرعيّين، فلا يُحفل بها. والبَلَدان الأكثر اتساعاً في الأرض، والبلَدان اللذان يمتلكان الأراضي غير المسكونة الأكثر رحابة، ينشغلان بتقطيع أرضٍ صغيرةٍ جداً مع ما في ذلك من خطورة، أرض مثلثة التقديس، وتجزئة بلدٍ صغير جداً ذي كثافةٍ سكانيّة عالية.

(١) الإرغون: حركة صهيونيّة سياسيّة / عسكريّة.

فإزاء فلسطين التي تطالب بحقها، وإزاء فلسطين التي تطالب بالسلام، ترفع الدولتان الأقوى في العالم معارضتهما القاسية وإرادتهما المتصلّبة ضد المطلبين (مع أنهما تبشّران بالديمقراطية وتطبّقانها على نحو متناقض أحياناً).

فإذا كان للستة عشر مليون يهودي في العالم تأثير إلى هذا الحدّ على حكومَتي واشنطن وموسكو، فما الذي لا يمكن توقّعه من أساليب إسرائيل ومشاريعها؟ ومرة أخرى، ما هي هذه الديمقراطيّة (المتناقضة) لدى موسكو وواشنطن إذا ما كان مطلوباً أن تترجم بمثل أعمال العنف هذه؟

علينا التنبّه إلى هذا، وهو أن فلسطين لم تقطَّع بعد، وأن أميركا نفسها والاتحاد السوفياتي يخطئان إذا هما جازفا ببيع جلد الدبّ قبل قتله على نحو ما يجتهدان لفعله بكل نشاط.

هذه القوى الكبرى لم تدرك بعد، على ما يبدو، مدى المغامرة التي تساندها. وكيف لها ذلك، وهي بعيدة جداً عنها. إنّ إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين (في رأينا، ولسوء طالع الجميع)، لمن أخطر أحداث التاريخ. وبحسبما سيعيش العرب واليهود في فلسطين سوية وبهدوء، أو منفصلين ومتناحرين، سيتقرّر مستقبل السلام.

أجل، مع التقسيم، ستولّد حتماً في فلسطين بؤرة دسيسة دائمة تمدّ خيوط عناكبها إلى جميع المواطن الحيويّة في العالم.

إن المسألة الفلسطينية ليست قضية اقتصاد سياسي كما يميل الأميركيون إلى الاعتقاد. وليست قضية انتهازية كما ينظر إليها بشكل ساخر في موسكو.. إنّها من العقبات الحقيقيّة الأكثر صعوبة في العالم. ولا سمح الله أن يحمل إلينا الزمن الآتي هذه الحقيقة بكل جلائها.

إنّ الدولة اليهوديّة، كما تريدها واشنطن وموسكو، ستكون حتماً موضوع خلاف دائم داخل وخارج كل حدود الشرق الأدنى. فلأيٍ منهما يلائم هذا الأمر حقاً، ألواشنطن أم لموسكو؟

١٣ تشرين الثاني ١٩٤٧

النكبة زاحفة

جميع الحجج التي رُوِّج لها ضد تقسيم فلسطين قد قُلِّبت على جميع الوجوه. وإذا كان ثمة برهان قاطع، فهذا هو البرهان. ومع ذلك رأينا في داخل اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة خمساً وعشرين دولة تصوّت لصالح التقسيم وسبع عشرة دولة تمتنع. ومن أصل الخمس والعشرين دولة، توجد إثنتا عشرة دولة أميركية. وفي عداد الدول التي امتنعت عن التصويت توجد دول كبيرة جداً، وكان يُنتظر منها أن تصوّت بلا أو بنعم. فلا يحقّ لها الامتناع عن البتّ بالحق عندما تكون المرجع الأخير للحق في العالم. فمن السهل جداً غسل اليدين من مشكلة كهذه المشكلة.

الآن، على الأمم المتحدة إصدار حكمها. فإن كان لصالح التقسيم

استوجب أكثرية الثلثين واقتضى ذلك تغييراً في موقف بعض الذين امتنعوا. ولكن علينا الانتظار، فقد يحدث ما ليس متوقعاً، وسنشاهد عما قريب كيف ستكتب هذه الصفحة التي لا تنسى من التاريخ.

إذن، إذا أفلست الحكمة الانسانية (وهذا حاصل على ما يظهر)، فستولد دولة يهوديّة حيث يتواجد أربعماية ألف عربي بإزاء ستماية ألف يهودي في أوضاع جغرافية لا تصدّق. فإذا ما تمّ ذلك، وإذا كانت الأمم صادقة مع ذاتها، فإن عرب الدولة اليهودية سيكون لديهم المبرِّر ليطالبوا بدورهم، ولأسباب جدّ مناسبة، بعدالة أفضل وبتقسيم جديد.

لم نرَ أبداً ما هو أشدّ تكلّفاً، وما هو أكثر شذوذاً مما يهيّأ هذه الفترة لمسألة فلسطين. ولا مرة رأينا التعسّف والتحيّز يتحدّيان الحق إلى هذا الحدّ.

لا بدّ حقاً من تدخّل القدر، أو تدخّل مشيئة تسمو على إرادات البشر، في هذه المسألة، كمثل ما تمّ منذ تسعة عشر قرناً عندما دُمّرت أورشليم.

فتحت ستار التفتيش عن حلّ للمسألة، سيجعلون خطرها أشدّ وحلّها أعسر.

وكيف لنا بذهنيّة كهذه أن نأمل بالسلام في هذا العالم؟

٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧

النكبة زاحفة (تابع)

إن عمىً في أقصى حدّه الأقصى قد دفع أغلبيّة الأمم للتصويت لصالح دولة يهوديّة في فلسطين، وغالبيّة اليهود ابتهجت بذلك على صوت المزهر والصنوج.

يشهد الله، أننا عبر الجدل الطويل، ولأنّنا نعرف ربّما، أكثر من غيرنا حقيقة المسألة، لم نستهدف غير سعادة الجميع، والنظام والعدل والسلام. وكان للبنان، الذي هو الجار المباشر لفلسطين، الحق والواجب بأن يُسمعَ صوته في هذا الموضوع حتى النهاية.

ولكن هوذا الخطأ الفكري يضحي خطأً تاريخياً. وآخر بادرة عربيّة بإنشاء دولة فدرالية، لم تلقَ صدىً. وهوذا الصراخ يرتفع من كل جانب.

فمن إذاعتها اعترفت لندن بأن تصويت البعض قد جرى في ظروف لا يمكن تفسيرها. «فهاييتي» والفيليبين، مثلاً، بعد أن جاهرتا بأنهما ستقترعان ضد التقسيم، عادتا في اللحظة الأخيرة وصوّتتا لصالحه. وكان مؤكداً لكل من حضر أن جواً من الامتعاض والإكراه يسيطر على الجمعيّة العموميّة. ومن المفارقة، أنه، بينما كان الانكليز يمتنعون عن التصويت، كانت جميع الدول المرتبطة بالتاج البريطاني (الدومينيون) أي: كندا وأوستراليا وزيلنده الجديدة، وافريقيا الجنوبية تصوّت لصالح التقسيم. وأخيراً رأينا فرنسا تصوّت له وكذلك بلجيكا واللوكسمبورغ.

ولربما ارتعشت في القبر أرواح «غودفروا» Godefroy و«بودوين» و«فيليب أوغست» Philippe Auguste و «ريكاردوس» Richard[1].

إنّ المستقبل، المستقبل الممنّع، سوف يظهر العواقب الجسيمة لهذا الخطأ. وسيُظهرها للجميع، لليهود أولاً، وقد كتبناه عدة مرات. فاليهود الذين هدفهم أورشليم، ولا يمكن إلا أن يكون كذلك، سيبكون أورشليم أيضاً. سيبكون في النكبة وفي الصخب لأنّهم اعتمدوا العنف ضد طبيعة الأشياء.

ولكيما نتعزّى بالروحيِّ عن الزمنيِّ، لنفتح الكتاب المقدسّ بلا تبصّر: إنّه الاصحاح ٢٩ من نبوءة أشعيا القائل:

«توالوا ودهشوا، تعاموا واعموا» (٩)، «يا لعوجكم، أيحسب الجابل كالطين، حتى يقول المصنوع في صانعه «لِمَ يصنعني»، ويقول المجبول في جابله «لا عقل له» (١٦).

هذا ما سوف نراه، وهذا هو الكلام الذي به سيخاطب الإناء جابلَه.

ويا أسفاه ثلاثاً! لقد ظنّت أميركا أنها تعالج هذه المسألة كما لو كانت تعالج مشروعاً صناعياً. إنّ الحقيقة الحيّة سوف تفتح عينيها. والاتحاد السوفياتي، سيندم من دون شك، عاجلاً أم آجلاً، وبدواعي السياسة العالميّة، على هذه المغامرة الفظيعة.

(١) من قادة الحملات الصليبيّة: غودفروا، ملك القدس، شارك في الحملة الصليبيّة الأولى سنة ١٠٩٩؛ بودوان، ملك القدس (١١٧٤–١١٨٥)؛ فيليب أوغست، ملك فرنسا (١١٨٠–١٢٢٣)، وريكاردوس المعروف بقلب الأسد، ملك انكلترا (١١٥٧–١١٩٩)، شاركا في الحملة الصليبية الثالثة.

لقد ذاقت الأمم، مرة أخرى، وعلى وجه التقريب، الثمرة المحرّمة؛ ففيما يتعلّق بالغرب، فهو الذي منع اليهودي، الذي طالما نكّل به، من عقد السلام مع أخيه العربيّ الذي لم يؤذِه البتة. وها هو الغرب اليوم، ويا للعجب، يطرح نفسه الداعم لإسرائيل. ويبتغي من أجل إسرائيل أن يستعيد عهد صلاح الدين معكوساً.

إنّ اليهود حتى ولو كانوا أقليّة، فإنهم في فلسطين موحّدة، يكونون قادرين على فرض الاحترام لكل ما هو جدير بالاحترام في قضيّتهم. لقد كان يتوقف عليهم في المجالس وفي داخل الحكومة الفلسطينية العربية – اليهوديّة، أن يتعاونوا بهدوء وبقوّة، بحيث يصبح تعاونهم حاسماً في وقت قريب.

إنّهم لا يريدون. هكذا شاء القدر. ولكن ما الذي سيكون عليه الغد؟

٢ كانون الأول ١٩٤٧

سياسةٌ ضالّة

إنّ الإحتجاج الجماعي ضدّ «الأمر المفروض» من جانب هيئة الأمم المتحدة يزداد تأثيره أكثر فأكثر. ويبدو القرار القاضي بإنشاء دولة يهوديّة في فلسطين، باطلاً مذ عُلم أن بعض الأمم لم تقترع بحريّة. وستبقى دموع ممثل «هاييتي» شهيرة في التاريخ. وعبثاً تحاول الدعاوة اليهودية، مهما حفلت بأشكال التفنّن، أن تعمد، وسوف تعمد، إلى مرافعات انفعاليّة.

إنّ ثالثة الأثافي هي أن يُقال اليوم بأن البلدان العربية قد فقدت المرونة وروح المصالحة بسبب نزعتها العرقيّة. أحد محرِّري وكالة الصحافة

الفرنسيّة كان يخاطر أمس بإبلاغ وكالته بما يلي: «يصعب التهرّب من الشعور، لدى الرأي العام الدولي الأكثر ميلاً إلى العرب، من أن ممثّلي هذه الدول قد فوّتوا، بفعل الإسراف في تشبثهم العرقي، فرصاً طالما أتاحها لهم النقاش لحملهم على اعتماد حلّ يكون أكثر ملاءمةً للمصالح التي يدافعون عنها».

فلو كان محرّر وكالة الصحافة الفرنسيّة هذا من أكثر أبناء إسرائيل رهافةً لما عبّر عن نفسه بشكل آخر؛ ولما كتب نصّاً أكثر جسارةً. ذلك يعني حرفياً إلصاق تهمة بالخصوم في ما هم عليه اليهود أنفسهم، أي انهم الممثّلون الغلاة للعرقيّة الأكثر توسّعاً والأكثر تحيّزاً لرأيها في الأرض.

إنّ التجرّؤ على كتابة مثل هذا القول يعني بالتأكيد الذهاب بعيداً. إن موقف فرنسا في النقاش، فرنسا «التي هي أيضاً قوّة إسلاميّة»، على حدّ ما ذكر محرّر وكالة الصحافة الفرنسية، لن يربح شيئاً إذا ما تمّ الدفاع عنه بهذه الطريقة.

إن قرار تقسيم فلسطين بإنشاء الدولة اليهوديّة لمن أضخم الأخطاء في السياسة المعاصرة. إنّ أمراً كهذا، وإن بدا يسيراً في الظاهر، فلسوف تستتبعه عواقب غير متوقّعة. وليس من باب امتحان العقل إذا قلنا إنّ هذا الحدث الصغير سيسهم في زعزعة أسس العالم.

إنّ صوت البلدان العربيّة سيترسخ منذ اليوم، وعملها سيتّسع.

إنّ الشكوى الصاعدة باتجاه العدالة المعاقة للبشر ستشتدّ وتكون أكثر إلحاحاً. وبحجة توفير وطن لشعب تائه، والذي لا تتّسع أيّ فلسطين

لاحتوائه، ها هي أوطان شعوب أخرى مزعزعة ومهدَّدة ومدمَّرة؛ وها هي السيادة اليهوديّة وقد استوت على سطح الأرض كحدث شرعيّ ثمنه تقسيم جغرافيّ وعملٌ تعسّفي لا مثيل له.

سيقول لنا الغد ما سيمثله ضغط إسرائيل وضغط المليون ونصف من المهاجرين على حدود فلسطين البريّة وهم الذين أعلن اليهود أنهم قادمون (إلى فلسطين) في خلال الأعوام القريبة القادمة.

ليس من مزاجنا أن ننعي النكبة على طريقة النبيّ إرميا، ولكن من باب التبصّر أن نتوقّع، في منتهى طفرات الجنون التي نشاهد، أياماً مفجعة وديا‌سبورا جديدة.

لم يكن اليهود بحاجة إلى كل هذا لتأكيد شخصيّتهم الجماعيّة في السلم وفي الوئام.

٥ كانون الأول ١٩٤٧

«عملٌ إنسانيّ» قاتل

هل حصل قطّ أن وُلدت دولة كما ولدت الدولة اليهوديّة في فلسطين؟ لسنا نعرف من جميع الولادات الشاذّة مَن هي أكثر إثارةً للدهشة.

فبعد بهلوانيات بلغت حدود الألف، أبقيت الدولة اليهودية، وقد

اختلط فيها الحابل بالنابل مع ستماية ألف يهودي وأربعماية ألف عربي، أي شبه معادلة بين إخوان ألدّاء. ومنحوا هذه الدولة حدوداً تحدّوا بها المنطق السليم. ثم إنّهم شرعنوا نقائض الصواب وتجاسروا، فبسّطوها على أنّها عمل إنساني. ثم شرعوا يكرزون بحرب مقدّسة حباً بهذي الدولة – المسخ، فأحرجوا بعضاً من أعرق الجماعات في العالم. هذا هو الأمر الغريب الذي قرّرته أو افتعلته غالبيّة الأمم، حرةً أم بالإكراه.

مع ذلك، كان بإمكان العرب واليهود العيش بسلام في فلسطين. وخير دليل عليه ما حقّقه اليهود من ازدهار في أرض المقدس. لكنّ ميل إسرائيل إلى الهيمنة أخذ في طريقه كل شيء.

وكرّد فعل عكسي، يتحدثون الآن عما ينقذ شرف أوروبا والعالم الجديد، بإنشاء فرقة متطوّعين من الغرب تقاتل دفاعاً عن العرب. هوذا حرب في الأفق، هي بالنسبة للأمم، أسوأ من حرب في «الترانسفال».

إنّه مشروع جيّد من حيث النتيجة ولكن ليس من سبب يجبر عليه، كما يدينه العقل!

وإنّنا لنتساءل حقاً، مع عظيم احترامنا للمهابة الأميركية، ما الذي راحت تنشره (أميركا) في هذه المتاهة؛ وكيف تراها ورّطت نفسها في المأزق حيث الاتحاد السوفياتي ينظر إليها ساخراً في الوقت الحاضر.

لقد كان من العجب رؤية الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، ولو لمرة، على وفاق. وكل واحد يلحظ الآن أن الاتحاد السوفياتي كان يلعب دوره من دون مخاطرة. أما الولايات المتحدة فقد كان عليها إمّا أن تغيظ

اليهود لديها، مما يعرّضها لإثارهم، وإمّا أن تسترضيهم في فلسطين فتقلب الشرق رأساً على عقب. فهي (الولايات المتحدة)، إذ سارت على النهج الذي سلكته، فإنها قد زجتنا في الصعاب التي نحن فيها الآن. وإذا أرادت، فإنه لا يزال بمقدورها أن تغيّر مسار الأحداث. وهي جدّ قوية وقادرة على القيام بذلك. وهذه هي الساعة المناسبة بالنسبة لنا لمناشدتها المساعدة على تعديل سياسة قاتلة.

١٢ كانون الأول ١٩٤٧

أفقٌ من دون ضوء

إن موقف البلدان العربية إزاء فلسطين لا يترك مجالاً لأيّ التباس. وسيبقى الدفاع عن فلسطين ضد الصهيونية مستمراً إمّا مباشرةً وإمّا مداورة. وفي جميع الأحوال، فإنّ الدولة اليهوديّة ستحارَب. والعرب يعتبرون أنفسهم في حال الدفاع المشروع عن النفس، ولا يمكن لأيّ مُلمّ بالأمور أو ذي ضمير عادل أن يقول إنّهم على خطأ. وليس مَن يرتضي التسليم بأن اليهود الذي استقرّوا على أرض فلسطين بعدد وفير طوال ثلاثين سنة، سيستغلّون ضيافة الاستقبال في فلسطين ليمارسوا السيادة اليهوديّة على أرضها بما يخالف المنطق. وفضلاً عن ذلك، فإنّ الأحداث كفيلة بأن تكشف عمّا في المشروع من مصاعب. ومنذ خمسة عشر يوماً يثير الحضور الفلسطيني جواً من عدم الارتياح داخل الأمم المتحدة. فالدول التي فضّلت مجرّدات النفس على الوقائع، وصداقة الولايات المتحدة على الحق، بدأت تندم على المعجزة (التي أنجزتها).

سيزداد ندم (هذه الدول) أكثر فأكثر، إذ ما من شيء أقسى وأوهن للعزيمة على مرور الزمن، من معاندة الحق. حتى الولايات المتحدة نفسها ستجد من دون شك طريقها إلى الحقيقة بعد ان استدرجتها الدعاوة اليهوديّة إلى الخطأ وآثرت عليها قوة اليهود الانتخابيّة والماليّة.

فلكي تكون لليهود جمهوريّة، جعلت فلسطين طعماً للنار والدم. وما نراه اليوم إعلان مفجع لما سوف يأتي. ففي كل مكان قتل وضغينة؛ وبين حيّ وآخر في المدن تزداد المكائد... إنّها المعركة؛ وفي الريف بدأت تبرز أولى علامات الدمار.

فأية سياسة بنّاءة، وأي مفهوم للإنصاف، وأي فكر عمليّ أراد مثل هذا؟

إذا ما ظلت القوى الكبرى متشبّثة بقرارها، فإنّ الفرضيّة الأكثر ترجيحاً بخصوص فلسطين إنّما هي حرب المئة عام (مع انعكاسات متكرّرة وربما أكثر اتساعاً في الغرب). وثمة افتراض أسوأ بنشوب حرب عالميّة تجد في هذا المركز اللاهب (وهي حالياً أكثر خطراً من البلقان) نقطة انطلاقها.

و لا نزيد الوضع تجهّماً إذا ما نظرنا إليه هكذا. فصخب إسرائيل لا حدود له ونحن نعلم من خلال توافق الروس والاميركيين أنفسهم على تقسيم فلسطين، مدى ما يمكن أن تصل إليه المكيدة اليهوديّة مدعومةً بسلطان المال.

لم يفت بعدُ أوان العمل. فبعد بضعة أشهر ستصبح الحياة المشتركة في فلسطين مستحيلةً، وإلى الأبد.

١٨ كانون الأول ١٩٤٧

١٩٤٨-١٩٥٠
التنازل عن الأرض المقدّسة

خطر كبير

فلتحذر الوكالة اليهودية كثيراً من إسقاط المزيد من سمات الحرب الدينيّة على مشروعها الجنونيّ في فلسطين! فقد بدأ السيد موشه شرتوك، المعيّن ممثلاً للوكالة لدى لجنة الأمم المتحدة حول فلسطين (كما عين في ذات الوقت السيد ألكسندر كادوغان ممثلاً لانكلترا) بطلب الإذن لتحويل الهاغانا إلى جيش قوامه ما بين خمسة عشر إلى عشرين ألفاً، جميعهم من اليهود، طبعاً. يا لها من بداية حلوة يحاولون بها إنشاء دولة، ثلاثة اثمان السكان فيها، من مسلمين ومسيحيّين يناوئون السياسة اليهودية بشكل متعمّد.

لم يتمّ حتى الآن تكوين فكرة جد واضحة عمّا تمثّله الوضعيّة الحالية (في فلسطين): في بلد يعدّ تسعماية ألف مواطن، وسيصبح عدد اليهود فيه ما يزيد قليلاً عن خمسماية ألف، والعرب نحو أربعماية ألف، سيكون الجيش، المدعوّ وطنياً، يهودياً بالكامل. ولا مرة اتخذت الحروب الدينية شكلاً غير هذا الشكل. ولا مرة ابتدأت إلاّ بهذه الطريقة.

وما لم يقبل، بالتالي، الأربعماية ألف عربي، المواطنين المحتملين (من الدرجة الثانية) في الدولة اليهودية، بأن يصبحوا عبيداً لليهود، وهو أمر مستبعد، فإنهم سيحاربونهم بجميع الوسائل وجميع الأساليب؛ شأنهم شأن القوى الخارجية المصمّمة على نجدتهم. وسوف نرى (ما نراه الآن) يهوداً وحدهم من جانب، ومسلمين ومسيحيين من الجانب الآخر. بئس النتيجة في هذا العصر لسياسة الكبرياء والطموح، يسوّغ المال فيها كل شيء، وتسهّل الدسيسة والدعاوة فيها كلّ شيء.

لم يدركوا في أوربا، وأكثر في أميركا، حتى الان، إلى مَ ستؤول هذه الحرب التي سيكون لها في وقت قصير، انعكاساتها على نقاط متعددة من المعمور. وهناك من لا يفكّر بهذا الاحتمال وهو أن القوى التي تورّطت، قسراً في القضية اليهودية، سيتملّكها التعب فيها وستأتي ساعة يتحتّم على اليهود فيها أن يدفعوا وحدهم، وفي كل مكان، ثمن مجازفتهم.

إن معالجة قضية هي على هذا القدر من الخطورة، بمثل هذه الخفة، أمر لا يغتفر، بحيث يقدّم فيها ضلال الأمم مبرّراً لضلال اليهود.

إن كلّ فلسفة العالم لا يمكن أن تفعل شيئاً:

فمحاولة إقامة دولة يهودية في فلسطين ستفضي إلى حرب دينية. وسيضاف إلى العديد من المآسي مآسٍ أخرى لاسرائيل وللذين يقاتلونها.

وسيُسمع صوتُ اللعنة الدهريّة مجدداً وستحمل نتائجها أبعاد كارثة جديدة.

إنما يتصرّف اليهود الان، على ما هم عليه من ذكاء وأرهاف، كما يتصرّف أشدّ الشعوب رجعيّة وأقلّها دربة في السياسة في العالم. إننا نأسف لذلك لأجلهم ولأجل الآخرين؛ وإذا كانت المفارقة أن أوربا التي تساندهم اليوم، هي التي غالباً ما اضطهدتهم بالأمس، فإن جيرانهم في الشرق لم يتجنّوا عليهم يوماً بأذية. والثأر الذي يحاولون أخذه هنا ليس مجرد جريمة بل خطيئة أيضاً.

فهل يكون الأوان قد فات عندما يدركون ذلك؟

١٥ كانون الثاني ١٩٤٨

ليكون جديدٌ في فلسطين

لا نغالي إذا ألححنا كثيراً كي تعيد الأمم المتحدة النظر في مستقبل فلسطين. وبطبيعة الحال ينبغي أن يتمّ ذلك بأسرع وقت ممكن.

وكلّما عجّلوا في إعادة النظر كان ذلك أفضل. فمهما كان حجم الصعوبة اليوم كبيراً، فإنها ستكون بسيطة بالنسبة لما ستصبح إليه غداً.

لقد ثبت بالدليل أن التقسيم كما طرحته الأمم المتحدة غير ممكن. وأن ما ارتضوه بتقطيع الأرض في هنيهة انفعالٍ وحلمٍ يناقض طبيعة الأشياء.

إن الحقيقة البدهية تجعل من نكبة فلسطين وضعاً من أكثر الأوضاع الحالية مأساويّةً.

ففي حين ساهم تيقّظ الأمم بمنع اندلاع النار في الأرض كلّها بفعل صراع الايديولوجيّات الذي يزعزع أسسها، راحوا يجاملون بإنشاء موطنٍ واذكائه بالأحقاد وبحجّة أن سعادة اليهود تفرض مثل هذا الهَوس.

لقد انقضى زمن الأوهام. وها نحن في الحقيقة التي لا ترحم، في الهول، في الدم. والحرب الدينية التي نزعت إليها حرب الاعراق هذه، تصبح أكثر فأكثر توعّداً. فكيف تراهم لم يدركوا، قبل وقوع الأزمة، أن قيام منظمة صهيونية مسلحة في فلسطين، مؤلفة حصراً من اليهود، لن تفضي إلاّ إلى ما أفضت إليه؟ وكيف أن اليهود أنفسهم لم يخشوا المضي في استفزاز كهذا ليخلقوا أخيراً دولة نصف يهودية وحسب. لكن إسرائيل جشعة، وقد كانت دوماً كذلك. ومشاريعها، صغيرة كانت أم كبيرة، هي بنت الخيال الكبير. ولكي تنجح (فيها) فهي تجمع الدسيسة إلى الجسارة وهكذا تبني ثروتها الزمنية. ولكن، في هذه المرة، تخطّى التصور الخيالي الوسائل، كما أن خطأ التقدير تخطّى الذكاء.

والآن لا مندوحة من حلٍّ القضية الفلسطينية. لقد اقترحنا بالأمس قيام مبادرة يهوديّة، تكون دليلاً على حسن النيّة، مبادرة يهوديّة للحوار مع العرب. فلنُعد هذا الاقتراح بكل جدّية. الاتصال ينبغي أن يتمّ ويُفترض أن يجري في واشنطن. وعلى حكومة الولايات المتحدة أن تكون من الحكمة بحيث تسهلّه.

لم يفرض العرب البتّة غير شرطين اثنين يحملان سمة الاعتدال الأنبل، والحق الصراح؛ الأول أن يقبل اليهود بأن يكونوا في فلسطين ما هم فيها فعلاً أي أقليّة متماسكة. وثانيهما أن تتوقف الهجرة اليهودية (هذه الوسيلة الخبيثة التي تحت ستار الدافع الانساني وبفعل غزو من الخارج، تحوّل الأقلية إلى أكثرية).

انطلاقاً من هذين الحدّين قد يتولّد عملٌ شجاع يكون تعبيراً عن سياسة عليا. فقد نرى حينذاك، ويا لروعة ما نرى، عرباً ويهوداً مسلمين ومسيحيّين ويهوداً يتعاونون في فلسطين ضمن حكومة واحدة.

على جميع حاخامي العالم أن يكرزوا بهذا بديل أن يشعلوا النفوس خدمة لحرب مقيتة. فوق هذا الحيّز المعتم (فلسطين) ألم يحن الوقت بعد، للخروج من الظلمة؟

٣ آذار ١٩٤٨

المخرج

لم يعد «كبار» الأرض، ما عدا الاتحاد السوفياتي، إلى جانب تقسيم فلسطين. فيا لارتياح «صغارها»!

لقد نوّه السيد بارودي Parodi الموفد الفرنسي لدى مجلس الأمن، بأن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا قد رفضت خطة التقسيم ضمنياً على الأقل. والصين، وهي أيضاً في عداد «الكبار» لم تقبله البتة.

فحتى قبل أن تحيل انكلترا لغيرها امتياز القتال من أجل الصهيونية، والموت في فلسطين، ها هو البناء الذي شُيّد بالجصّ والكرتون (البناء السينمائي) ينهار أرضاً. وينتهي الأمر تقريباً حيثما كان ينبغي أن يبدأ. لكن الدعاوة اليهودية استدرجت الولايات المتحدة إلى الخطأ وسمّمت الأجواء.

لقد عرفت الوكالة اليهوديّة أن تخلق الانطباع باليقين والقوّة. وزيّنت لهم أن الصمود العربي سوف ينهار أمام قدرة إسرائيل. وظنّت أن امتلاك المال والهيمنة على الصحافة الأميركية هما كافيان لفرض مشيئتها.

اليوم تبدّد الوهم الباطل. وثبت أن ما كانت الصهيونية تتوقّع الحصول عليه، هو ضد وقائع الجغرافيا والتاريخ، وأن الحلم المتهوّر الذي توهمت إمكانيّة تحقيقه بكل قوة، بدا مستحيلاً وغير ممكن التحقيق.

وهكذا صرنا نرى كم كان أسلم وأحكم الانضمام إلى هذا الحلّ الفدرالي الذي كان العرب يواجهون فيه المستقبل ببسالة كونه وسيلةً للوئام والسلام.

الآن، لا بدّ من تعجّل الأمور. وبمقدار ما تجرجر الأمور يصبح التفاهم على مخرج أكثر صعوبة. فبين العرب واليهود صار يوجد طود من القتلى. والاضغان التي تكدّست تبلغ في تفجّرها السماء. ولا بدّ من وجود دراية سياسية، وحكمة أوفر من ذي قبل للسيطرة على مثل هذا الهيجان. وفي الواقع ليست هي المشاعر ما يستجلب النسيان أو يضمّد الجراح.

يمكن للتحكيم الدولي الآن أن ينقذ الوضع بخصوص مشروع الفدرالية في فلسطين: دولة واحدة، حياة داخلية تحدد على أساس الكانتونات. نهاية الهجرة. حكومة فدرالية ومؤسسات سياسية يتمثل فيها العرب واليهود تبعاً للعدد، وجهد مشترك في خدمة حياة وطنية مشتركة. وأخيراً النظام والعقل يسهمان بالمصالحة بكل طيبة خاطر.

فإذا ما تأمن ذلك، سنكون في وضع من فقد معنى الحقائق أو في وضع من ضيّع رأسه لكي نؤثر عليها الخصومة والحرب!

١٣ آذار ١٩٤٨

مسعى غريب

عندما نرى الأعضاء اليهود في البرلمان البريطاني يتدخلون رسمياً وكتلوياً لدى حكومة صاحبة الجلالة لصالح الصهيونية في فلسطين (الهاغانا تحديداً)، نتساءل لماذا لا يتدخل البرلمانيون المسيحيون والمسلمون من كل البلدان، وهم أكثر عدداً، لصالح فلسطين العربية، لصالح فلسطين المسيحية والاسلام.

فاليهود الأعضاء في مجلس العموم، هل هم يهود أم إنكليز أولاً؟ ذلك أن ما يطلبونه مباشرة أو مداورة هو دولة يهودية وهو جنسيّة يهوديّة. فإذا كانوا إنكليزاً قبل أن يكونوا يهوداً فإن موقفهم إزاء الموقف اليهودي الحالي تجاه إنكلترا هو موقف غير معقول. وإذا كانوا يهوداً أولاً، فما شأنهم في مجلس العموم وكيف يحق لهم التصويت فيه ولا تقلق المملكة المتحدة؟

لقد آن الأوان، ربّما، لطرح أسئلة من هذا القبيل بشأن قضية يُساء فيها إلى المنطق السليم كل صباح. فلو أن العرب هم الذين طرحوا المسألة الفلسطينية على صعيد طائفي بحت، لصرخ كل الناس منددّين بالتعصّب والفضيحة؛ ولكن عندما يقوم بذلك أشراف اليهود في برلمان لندن، فإن طريقة تصرّفهم لا تثير أحداً.

ألا نرى أنه صار من الصعب أن يكون المرء يهودياً صالحاً وإنكليزياً صالحاً في ذات الوقت؟ وأنه أمام نزاع كالذي يمزّق فلسطين، لم يعد بدٌّ لليهودي المتجنّس بجنسية المملكة المتحدة (من خيار). هل يتقدّم فيه اليهوديّ على الانكليزيّ أم الانكليزيّ على اليهوديّ؟

وما نقوله عن إنكلترا يصحّ على جميع الأمم. ونتساءل ألا يستنتج من هذا أن اليهوديّ عاجز عن الاندماج أبداً. فلو لم يكن كذلك لوجب أن نرى اليهود الانكليز ناقمين على ما أتى الصهاينة وما يأتون منذ مصرع اللورد موين Moyne مثلاً. ولكننا نراهم، بخلاف ذلك، يدافعون عن الصهيونية الجامحة.

كلّما بدا الوضع الصهيونيّ أكثر طائفيّة وعرقيّة كلّما صار وضعاً لا يطاق. وهكذا يوجد عدد معين من الحقائق التي، منذ زمن بعيد، لم تُستوعب إلا جزئياً. ولكن بمقدار ما نتابع الأحداث ونتعمّق في المشكلة، نكتشف أكثر فأكثر طابع الغرابة فيها، والمخاطر التي تثيرها تصبح كبيرة أكثر فأكثر.

إن التضامن اليهودي في العالم قد ذهب بعيداً جداً. وتطاول جهاراً على حق الأمم الشرعي في الدفاع عن نفسها.

٢٠ نيسان ١٩٤٨

أمام الوقائع

في سلسلة مقالات متألّقة تنشرها «ذي اللّستريتد لندن نيوز» تحت عنوان «تبعات الحرب» يعالج السيد سيريل فولز Cyril Falls في عدد ١٠ نيسان من الأسبوعية اللندنيّة موضوعاً «عن الرئيس ترومن والهدنة في فلسطين». والسيد سيريل فولز بدا قلقاً منذ بداية نيسان وهو يرى اقتراب الموعد المحتوم في ١٥ أيار والذي حدّدته انكلترا للتنازل عن الانتداب والتخلي عن ممارسة الحكم في فلسطين، فكتب بالاختصار يقول «إنه لأمر مكدّر، أن يكون حكم الرأي العام، طوال قرن كامل، وبكافة أشكال الرأي (الآداب، الصحافة والمدرسة)، بأن احتمال التوصّل إلى تسويةٍ، أقل كدَراً، للقضيّة الفلسطينيّة، قد ضاع لأن الحكومة البريطانية بعد أن استقرت في فلسطين مدة ثلاثين سنة، ترفض أن تمدّد إقامتها فيها خمسة عشر يوماً».

حقاً هذا ما يخالج كل إنسان أيّاً كانت الظروف. ولكن ما الذي كان سيكتبه «سيريل فولز» لو كان توقّع بأن حيفا ستخلى قبل نهاية نيسان وأن الأعمال الحربية بين يافا وعكا ستأخذ فوراً شكل حرب شاملة؟

لدينا الادراك الكامل للموقف البريطاني بعد زوال الوهم عنه بشكل مدّوٍ. ومع ذلك، فلا أية ضرورة، ولا أي إنذار مسبق يمكنهما تبرير انسحاب السلطة البريطانية المنتدَبة المسؤولة قبل ١٥ أيار بثلاثة أسابيع.

هوذا السيد بيفن Bevin يعلن أمام مجلس العموم «أن انكلترا لا تستطيع، في هذا الوقت المتأخر أن تعود عن قرارها بالانسحاب من فلسطين». فما طلبناه ليس بهذا المقدار. وإنما جلّ ما كنّا نتوقعه أن لا يتمّ التخلّي عن السكّان الفلسطينيّين لمصيرهم قبل ١٥ أيار.

في هذه النقطة بالذات تصبح ملاحظة السيد سيريل فولز مؤثرة. فمن صمد ثلاثين عاماً يمكنه الصمود خمسة عشر يوماً بعد، وتحاشي مجزرة في صراع غير متساوٍ (بين الفريقين).

ونحن، في الشرق الأدنى، من أولئك الذين أبرزوا، بشكل دائم ومباشر، المكانة الأساسية لانكلترا في المشروع الجماعي لشد أزر الغرب وخلاص العالم. بيد أننا هذه المرة لا نخفي خيبتنا.

وإننا نقرّ بأن تناقضات السياسة البريطانيّة في جوارنا مليئة بما يثير للدهشة. تقلّبات في المزاج، وهذه الارتحالات المفاجئة، والترجيعات الشرق–أردنية التي نراها، كلّها تغلق الفهم علينا (أو أننا نخشى أن نفهم فوق ما ينبغي أن يُفهم).

ولقد رأى السيد بيفن نفسه لزاماً أن ينبّه مجلس العموم، أول أمس، في ٢٨ نيسان بقوله «يترتّب على الحكومة البريطانيّة، بموجب نص المعاهدة الانغلو– شرق أردنية، أن تدفع إلى شرق الأردن مساعدة تتعهّد

بها الجيشَ العربيّ وتوفّر الجهاز البشري العسكري البريطاني لتدريب ضبّاط هذا الجيش».

في كل هذا، ومهما حسن القصد، لا نقدر أن نفرّق بين شرق الاردن وانكلترا، في حين نرى أن انكلترا وشرق الأردن يتصرّفان ظاهرياً في اتجاه معاكس.

ان في ذلك لغزاً يستحيل الكلام عليه. وسواء اعيانا الأمر أو اعفينا نفسنا منه، فخليق أن نأسف لما أسف له السيد سيريل فولز جهاراً في نهاية مقاله الجوهري؛ يضاف إليه أن وجوداً شرعياً كوجود انكلترا (وقضيّة عالم الغرب عبرها) في هذه الجهة من الشرق، أثقلته أساليب مستغربة وجعلته عرضةً للمخاطر على غير ما جدوى.

٣٠ نيسان ١٩٤٨

ليس حلماً

سرعان ما تبدو الدولة اليهودية، كما هي في طريق التكوّن، إن هي تكوّنت، وكأنها أغرب مشروعٍ سياسيٍّ في العالم.

سيعترف جميع يهود الدياسبورا، المجنَّسين في كل مكان، بوجود وطنٍ لهم سراً أم علانية. وستُمثَّل الدولة الجديدة، في عدة بلدان، بجاليات قويّة، وغالباً بنواب، وبرجال دولة. ومن الماليّة الدوليّة تمتدّ

شبكة الدسائس المحبوكة لتطال عواصم العالم كبيرها وصغيرها؛ وديبلوماسية اسرائيل (وهي أثرى الديبلوماسيات بلا ريب) ستضم في عدادها بارونات بارزين وأرباب المؤسسات المالية من جميع الجنسيات.

إذا ما نجح المشروع، فسيأخذ فوراً شكل سوبر–دولة انطلاقاً من فلسطين الضيّقة. وسيكون أوّلُ هدفٍ للمؤامرة مضاعفةَ عدد اليهود في الأرض المقدّسة بحيث يضغطون على الحدود ثم يصدعّونها ريثما يتحقّق، ببطء، حلمٌ (ذي أبعاد دولية) من الهيمنة والاقتدار. ويمكننا التأكيد بأن المطامح اليهودية بالأراضي تصل إلى الفرات وإن الصبر اليهودي يذهب أبعد من ذلك بكثير.

ليس المضي في مثل هذا الطريق مجرّدُ وَهْم. نحن لا نقول بأن كل هذا سوف يتحقّق. وإنما نقول أنهم سيحاولون تحقيقه. وأنه إذا ما حقق المخطط اليهودي تقدّماً، كما هو مرسوم على يد أشخاص يعرفون ما يبتغون، وإلى أين يسيرون، فستصبح الحياة صعبةً لا تطاق إن بالنسبة لجيران الدولة اليهوديّة المباشرين أم القريبين إذ ستصبح أوضاع هؤلاء ملغّمةً من الداخل ومهدّدةً بأساليب اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة مختلفة (من الخارج).

أما من الناحية اليهوديّة، فالمشروع لا يخلو من المخاطر أيضاً. ففي العالم بأسره، هناك ردود فعل محتمَلة وقد تتحوّل مع الوقت إلى ردود فعل رهيبة. من ذلك الظاهرة التاريخيّة التي كان سلوك هتلر، مثلاً، أحد

تجلّياتها الأكمل والأقسى. ومنها الشقاق الداخلي ويعود في مصدره إلى عوامل يهودية ذات طابع اجتماعي وديني وسياسي. إن الايديولوجيا اليهودية تذهب بعيداً في جميع الاتجاهات فكارل ماركس كان يهودياً كما أن جورج ماندیل[1] كان يهودياً أيضاً. فاليهودي هو إنسان محافظ كما أنه إنسان شيوعي. إن حدّة الذهن لدى إسرائيل وثرواتها الثقافية والمادية يعرفها كل إنسان بالتأكيد، ونحن لا نبخسها قدرها أبداً.

نحن نرى أن المشكلة اليهودية لم تُحلَّل كفاية و لم تقدَّر (حق قدرها) من الغرب ومن أميركا؛ وأن بإمكانها، تحت أشكال مختلفة، بثّ القلاقل الواسعة والتسبّب بأضرار جسيمة.

أما بما يخصّنا نحن اللبنانيين، علينا أن نتذكّر بأن هذه الدولة تولد على حدودنا، وإننا بلد صغير، وإنه بالنسبة لليهود الذين يضغطون علينا من الجنوب، ولديهم هجرة لا تحصى، يمكن أن نصبح يوماً أرض ميعاد.

إزاء كل هذا، على الحكومات العربيّة أن تفكّر بالمستقبل إذا لم تفكّر كفاية حتى الآن، وإذا لم يفتها الأوان. شخصياً، نحن نتحدّث عن هذه الأمور على غير ما انحياز أو ضغينة ولا نرغب إلا بالسلام على شواطئنا لهؤلاء وأولئك، في اطار التوازن، وبأخوّة لا تعرف التهديد ولا الاضطهاد.

١١ أيار ١٩٤٨

(١) جورج ماندیل Georges Mandel، رجل سياسيّ فرنسيّ (١٨٨٥-١٩٤٤)، وزيرٌ لعدّة مرّات ومساعد لكليمانصو في أثناء الحرب.

المنعطف الحاسم

ينبغي أن يُنظر الآن إلى الوضع في فلسطين بكلّ رويّة. فبعد أن بارحتها انكلترا رسميّاً، بقيت مسؤوليّة هيئة الأمم المتحدة قائمةً وعبرها مسؤوليّةُ كلٍ من الولايات المتحدة وانكلترا، وعبثاً يحاولون التنصّل من مشكلةٍ كهذه؛ إذ يصعب إيهام الناس بأن مصالح الامبراطوريّة البريطانيّة، ومصالح الولايات المتحدة توقّفتْ بغتة عن أن تُعدّ جوهريّةً في هذه الزاوية من العالم.

فقد أعلنت وزارة الخارجية الانكليزية ووزارة المستعمرات في وثيقة مشتركة، هي أشبه باجازة (للتنصل من المسؤولية) «إن الحكومة البريطانية سعت طوال ٢٧ عاماً إلى مصالحة اليهود والعرب وتهيئة شعب فلسطين للحكم الذاتيّ. ولكن بلا نتيجة». هذا القول، الذي يحوي كل مظهر السماح والآدميّة يحتاج إلى شرحٍ مسهب. من جهتنا سنختزل الشرح إلى أبسط تعبيرٍ عنه. ما نراه نحن، أنّ الانكليز، كونهم مخدوعين ومفتونين ومستدرَجين إلى الخطأ، عملوا ما بمقدورهم عمله خلال ٢٧ سنة لكي يزداد عدد اليهود في فلسطين إلى أقصى حدّ ممكن وهم بذلك لم يهيّئوا أبداً الشعب الفلسطيني إلى الحكم الذاتيّ وإنما هيّأوا الشعب اليهوديّ لتحقيق السيادة. لقد رأى رجال الدولة البريطانيّون في الدولة اليهوديّة، الممكنة الوجود، نقطةَ ارتكازٍ دائمة. والأرقام والأحداث وتاريخ فلسطين سحابة ٢٧ سنة يؤكد ذلك. والمرء يحصد ما يزرع. إن تأويل وعد بلفور بشكل كيفيّ وغير معقول أدى إلى نتائج سامّة. وها هو العالم كلُّه حالياً يعاني من سمومها.

غير أن مصالح الانغلوسكسونيين اليوم في فلسطين وجوارها ما برحت أكبرَ منها بالأمس. فلا بدّ إذن من اعتماد سياسة، عبر الأمم المتحدة أو من خارجها، تؤدي إلى فرض النظام. إن سياسةً كهذه لن تكون ذات جدوى إلا بضغطٍ حاسم على اليهود. فإنْ فعلتْ ذلك الولايات المتحدة وانكلترا فقد استلهمتا خيراً. وإن لم تفعلا فستكونان مع ذلك مرغمتين على التدّخل في ظروف أسوأ من السابق وبالتالي التصرّف بشكل مباشر لتفادي أحداث أشدّ خطراً.

في الشدّة، يصبح المرء أكثر حكمة: عندما يستخرج الخمر ينبغي أن يُشرب للتوّ. فعلى القوى التي تسمّي نفسها عالميّة، ويُعترف بها أنها كذلك، وهي التي أفسدت كل شيء، عليها الآن أن تحلّ المشكلة في فلسطين. (حتى ولو كان) صحيحاً أنها تنقسم بذاتها إلى معسكرين وأنّهما في ما بينهما على أسوأ حال...

في لبنان، المطلوب خاصة أمران: رباطة الجأش والمنطق. ومن البديهي أن الحكومة لا تستطيع التصريح عن كل ما تفعل ولكننا نأمل أن لا تقع في الخطأ. ومع ذلك علينا التنبيه إلى أن لعبة الصراع في غاية الدقة، وأن هذه الساعة تبقى، رغم كل شيء في صالح كل الدول العربية من دون أن يعني ذلك التخلي عن اللجوء إلى القوّة، على أن تكون قوّة السياسة والديبلوماسيّة البعيدتَي النظرِ في آن.

١٥ أيار ١٩٤٨

الأسباب الجُلّى لنشوء مقاومة

على البلدان العربيّة أن تتذكّر أنها تواجه منظّمةً يهوديّةً عالميّة.

هذه المنظّمة العالميّة تضمُّ يهوداً من جميع الجنسيّات. وهي تبسط شبكتها على كافة أنحاء المعمور وتضغط على الحكومات بكل طاقتها. ولديها دعاوة ووسائل دس من أرهب ما يكون.

مع الدولة اليهوديّة كما أعلنتها الصهيونية، ومع دولة إسرائيل الحاضرة والمتفرِّعة في جميع البلدان، سيمسي من السهل تصوّر ما سيكون عليه الضغط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والانساني (من حيث العدد) الذي ستتعرّض له البلدان العربيّة. إن مجمل القوّة العالميّة لإسرائيل المتمثِّلة في تل أبيب بحكومة دولة ذات سيادة ستنصبُّ كلّها على البلدان العربيّة وعلى استعبادها الاقتصادي بهدف تحقيق سيطرة سياسيّة في المستقبل. إن الذين لا يفكّرون بمثل هذي الأمور يرفضون لا شعورياً أكثرها رجحاناً لا بل ينكرون ما هو يقين وبداهة. ولا ريب أن أحداثاً قد تعترض الصهيونية. ولكن هذا هو مخطّطها. فإذا ما قُيِّض لهذا المخطّط أن يتحقّق فسيكون ذلك بمثابة بدايةٍ بالكاد مكتومة لتهجيرٍ جماعيّ أو لعبوديّةٍ حقيقيّةٍ تصيبان الدول العربيّة. وسيكون من المفجعِ أن نحلّ محلّ اليهود في السير (العكسي) على طرق العالم. ذلك أنَّ دولةً

يهوديةً سيّدةً على حدودنا ستكون أشبه بدولة ينتقل إليها ثلاثة ملايين يهودي من نيويورك وستة ملايين آخرين من لندن وباريس وكل أنحاء العالم.

(في هذه الحال) ليست المقاومة العربية ضرورية وحسب، إنها لأمر حيوي. فهي حقاً وشرعاً، على المدى الطويل وبالنسبة للشرق الأدنى الأسيوي وصولاً إلى مصر، مسألة حياة أو موت.

إن الدول الكبرى يمكن أن تستمرّ في لعبتها المزدوجة أو المثلّثة أو أن تبقى في عماها. كما يمكنها أن تتجاهل إلى ما لا نهاية جوهر المشكلة وأن تنقاد إلى انتهازيةٍ أو عواطفيّةٍ يزكّيها المال اليهودي.

وإذ ندافع هنا عن أنفسنا فإننا نشعر أننا ندافع عن القوى الكبرى ذاتها (التي جرى العمل عليها وتلغيمها من داخل)؛ ونحن في هذا إنما ندافع قبل كلّ شيء عن قضيّة لا تشيخ هي قضيّة العدالة وحتى عن السلام العالميّ المهدّد.

١٨ أيار ١٩٤٨

دور الدول المخيّب للأمل

هناك إجماع على أن النزاع في فلسطين يتطوّر، إلى حد كبير، تحت ضغط القوى الدوليّة. أما أن تبلغ هذه القوى الكبرى المعنيّة غاياتها أم لا، فهذه مسألة أخرى.

وكما وقف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في جانب واحد لدى اتخاذ القرار بتقسيم فلسطين، فهما كذلك في موضوع الاعتراف بدولة إسرائيل. ينبغي إذن أن يكون أحدها مخدوعاً. أما الباقي فحكاية أخرى.

إن تعليل هذه الظاهرة يكمن في واقع مؤداه، إن اليهود (وملكوتهم حقاً من هذا العالم) ينعمون علانيّة وفي كل مكان برأس المال وقوّته، وليسوا من هذا القبيل غرباء عن الشيوعيّة التي أنجبوها. فلهم في كل معسكر موطئ قدم.

ليس أفضل من إسرائيل معينٌ على الثورة حيثما كان. هذا ما يعلّمونه تماماً في موسكو. ومن أجل توزيع المكافآت الانتخابية والدعامات السياسية عن طريق وسائل المال وإغراءاته وكل ما يُشتقّ منه، ليس أفضل من اليهود. وهذا ما يعلمونه تماماً في واشنطن.

نحن لم نمدح اليهود أبداً على مضض بما يخصّ طاقاتهم الفكرية. فنحن نعرف ما يمثّل عرقهم (في هذا المجال)، ومعاذ الله أن نحارب الفكر أينما كان إلا لدى الشيطان. فما نستنكره وما نحاربه هو فوضى الفكر عندما يُفْسِد التكبّر الرأي وعندما لا يكون علم النفس قادراً على استيعاب العقليّة المغامرة والجرأة والجسارة إلى حدّ الوقاحة. فمن هذا الباب تنطلق دائماً الكوارث التاريخيّة.

نقول: أنه في هذه الآونة إذ تظن الولايات المتحدة وانكلترا أنها تسوّيان، بطرق غير مباشرة من الحيلة والمكر، مشكلة الدولة اليهودية، فها إن اليهود في الحقيقة هم الذين يسوّون قضاياهم على حساب أكبر الدول وعلى حساب سلام العالم.

نحن لا نغالي البتّة. وإنما ننظر إلى الأمور بالقدر الممكن من الموضوعيّة في لحظة تضاعف فيها المعارك من مآسي الأحقاد والآلام. ولكن نحن هنا الجيران المباشرون للدولة اليهودية. ونحن نعي مناخها السياسي والاجتماعي بأفضل ما يعيه الغربيون أوربيين كانوا أم أميركيين. ويمكننا بكل سهولة أن نأخذ مكان ربابنة الساعة لرؤية خطِّ المستقبل.

أمّا أسفنا فمزدوج: نحن نعتقد أن اليهود يختلقون بأيديهم بلاءهم وبلاء العرب، وهيئة الأمم المتّحدة هي في أساس كل ذلك؛ وأنّه بَديلَ تعاونٍ مثمرٍ فإن ما هو معروضٌ أمامنا ليس سوى خطرٍ دائم وضغينةٍ لا نهايةَ لها.

١٩ أيار ١٩٤٨

طرائق في القول والكتابة

إن الطريقة التي تعتمدها البرقيات تمهيداً لاعتراف بريطانيا العظمى وفرنسا بدولة إسرائيل، كأمر واقع، هي جديرة بالمتابعة بكل اهتمام. من

هذا القبيل ما «كتبه» مراسل وكالة الصحافة الفرنسية من انكلترا بتاريخ ١٩ أيار يقول: «لا يرى المراقبون الديبلوماسيون بوضوح كيف تستطيع الحكومة البريطانية أن تتحصّن خلف سياسة العداء الذي لا نهاية له لحكومة بن غوريون، في الوقت الذي اعترفت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ودول مختلفة تدور في فلكهما بدولة إسرائيل، وفي وقت يبدو فيه اعتراف فرنسا بها كأمر واقع، مؤكّدا». غريبة هذه الطريقة لقول الأمور والإنباء بما سيعقبها.

هناك فنٌّ راقٍ يتحكّم بعرض الأنباء الملائمة للصهيونية والخادمة لدعاوتها، بينما الدول العربية لديها قواتها في فلسطين وتقاتل فوق التراب الفلسطيني. من هذا المنطلق، ومرة أخرى، لدينا اليقين (إذا لم تكن البداهة) بالأحجام الهائلة التي اتخذها النفوذ اليهوديّ في العالم. وإن مجاملة الغرب لإنجاح مشروع يناهضه التقليد والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفطرة السليمة وأخيراً طبيعة الأشياء، إنما هي مجاملة مذهلة. فوجود اليهود يُلمس لمس اليد في كل مكان؛ موقعهم في الصحافة في وكالات الأنباء في دُور الإذاعة كما يلمس في دُور المال العالمية والتحكّم بالبورصات والأسواق.

تلك هي خيوط العنكبوت التي تمتدُّ إلى الأرض كلّها. وفي الوقت عينه تقع البلدان العربية في أشراك شتّى كونها مستجدّةً في صنعة الإعلام هذه، وكونها ذات إعلام سيّئ وقلّة خبرة في هذا المجال.

إن التناقض بين الوضع العسكري والسياسي في فلسطين وبين موقف الحكومات الأوربية حيال دولة إسرائيل يبدو لنا أمراً غريباً. فمن جهة يتمّ «الاعتراف» بقوّة، إمّا شرعاً وإمّا واقعاً بالدولة اليهوديّة؛ ومن جهة أخرى تدور معركة في ظروف ينبغي أن تحملنا على التفكّر والانتظار. فإذا كانت حِيَلُ أوربا قد ذهبت بعيداً فإنها لن تذهب أبعد من ذكائنا.

نكتبها آسفين: ما دامت مثل هذي المآسي – الهزليّة أمراً مباحاً فلا بد من أن نضع سياسة الدول الكبرى وديبلوماسيّتها موضع الارتياب، هذا إذا شئنا أن تحكم هذا العالم خُلقيّة دوليّة.

٢١ أيار ١٩٤٨

مراحل إسرائيل

يتهيّأ لنا، إن تمحيصنا المتكرّر لقضيّة فلسطين لن يثير العجب لدى أي كان. هذا ما نرجوه على الأقل. إذ ليس بين المشاكل، التي قد تثير اهتمام الشعب اللبناني المجاور لفلسطين اليهودية، مشكلة أعظم منها. إن وجود إسرائيل على أبوابنا يرغمنا على الأخذ بالاعتبار جميع مظاهر هذا الجوار وجميع نتائجه. وليس لعباً بالنسبة لبلد صغير أن يستشعر ثقل خطر كهذا يربض على حدوده. ذلك أن مطامع كبيرة وآمالاً كبيرة تنمو الآن خلف الجدار المشترك، وهو جدار غير مُثْبَتْ بعد. ولنشيد داود الذي يرتّله العبريون أصداء تتردّد في كل الشرق. ووزن إسرائيل، هذا الوزن الذي يقاس بالقدرات النقدية والعامة يبدو ثقيلاً ومليئاً بالمخاطر بالنسبة للأمم التي لا تملك في كافة المجالات سوى ثروات محدودة.

ويمكن القول، من جهة أخرى، بأن الغرب قد خان واجباته تجاه العالم العربي وتجاه نفسه بجلب التعاسة لأرض هي بالنسبة له مكرّسة ومقدّسة. إن الحضارة التي يتمسّك بها ويدافع عنها ها هو يسلّمها (برضى منه أو من دونه). إذ أن ضغط أميركا الأعمى قد جعل من أوربا القديمة المتألقة تابعاً لا صوت له.

ففي الماضي تغلغلت فأوغلت أسباط إسرائيل الاثنا عشر على يد نفتالي ومنسّى وجاد وروبن في ما هو اليوم سوريا والأردن.

وإذا كانت مملكة إسرائيل، في عهد سليمان، تبدأ من على الشاطئ، من الكرمل، فإنها كانت تبسط نفوذها حتى الفرات وصولاً إلى الرقّة. وابراهيم كان مجيئه من «أور» في أرض كلدان الواقعة جنوبي بغداد. كل هذا يشكّل سلسلة من أحلام الفتح بالنسبة لشعب إسرائيل. ولكن قبل أن يتم الفتح بزمن تكون الدسيسة والمكيدة، إذا لم نتنبّه لهما، قد أضنتا الناس وأوقعتاهم في اليأس. إنّ عمل الحفر (في العمق) تحت طلاء من ذهب، على السطح، يجعل التربة ملغومة في كل مكان.

لو لم تكن مطامع اليهودية ما هي لما جاءت تقديراتنا قاتمة إلى هذا الحدّ ولا هواجسنا واسعة بهذا المقدار؛ ولكن لبنان هو الأول الذي يأمل بأن يتمّ الدفاع عنه. ذلك أن ما تتوخّاه مملكة إسرائيل الجديدة هو أن تتفوّق على ما فعلته مملكة إسرائيل القديمة.

أورد جيمس ف. بيرنز James F. Byrnes في مذكّراته هذه الملاحظة اللاذعة حول التوسّع الاقليمي للدول والأمن المزعوم قال: «في ما أنا أتفحّص هذه المسألة، لم يكن بمقدوري إلاّ التفكير بهؤلاء الأشخاص، وهم معروفون جيّداً، الذين يشترون المزرعة أو البيت المجاور ليحموا مزرعتهم وبيتهم. والمشكلة أنه يوجد دائماً منزل ومزرعة في الجوار...». نحن الآن، وسنصبح أكثر فأكثر (غداً)، مباشرة أو مداورة، المنزل والمزرعة المجاورة. فلنتيقّن من ذلك. وليعلم شركاؤنا السوريون وغيرهم، الذين يجهلون قسماً من التاريخ، كم أنهم معرّضون (للمخاطر).

٢٨ أيار ١٩٤٨

بخصوص الهدنة

لو أنّ الحكمة هي التي أملت مقررات هيئة الأمم المتحدة حتى الآن، إذن لشاطرنا راضين، البهجة العارمة التي أعرب عنها السيد تريغفي لي[1] M. Trygve Lie في موضوع الهدنة. ولكن، عفو السيد تريغفي لي، فهيئة الأمم المتحدة هي التي خلقت الصعاب في فلسطين وفاقمتها، قبل أن تحاول حلّها. وهذا الحدث صار محفوظاً للتاريخ.

إن المسؤولية التي تتحمّلها حكومة الولايات المتحدة في القضية الفلسطينية لا تقاربها مسؤولية. إنه حقاً أمر مفروض أميركي ذاك الذي كان في أساس ولادة دولة إسرائيل. وهكذا تلتحم مسؤولية إنكلترا السابقة بمسؤولية الولايات المتحدة الحالية.

ولسوف يكشف المستقبل عما لهذا الخطأ المزدوج من تأثير على سلام العالم؛ وإن سياسة هذا الزمان تصنعها القوى الكبرى على ما فيها من خفّة تثير القلق. فبحجة أنهم يعيدون السلام إلى نصابه، ها هم يهدمون السلام لمدى طويل وهم لا يدركون. وكلما مرّت السنون، ازداد الأمر اتضاحاً.

(١) تريغفي لي: ١٨٩٦–١٩٦٨، رجل سياسي نروجي. عمل أميناً عاماً للأمم المتحدة ١٩٤٦–١٩٥٢.

لقد أتم الكونت برنادوت، بكل براعة، مهمته كوسيط. فهو يتمتع، حقاً، بقدرة على الحوار المقنع اكتسبه من مصادر متعدِّدة. ولكن، لا يفوتنا إن هذه الهدنة من أربعة أسابيع إنما كانت انكلترا هي التي بادرت إليها واقترحتها. معنى ذلك، أيضاً، ان انكلترا ساندت هذه الهدنة بكل قوَّتها فكُتب لها بالتالي كل حظوظ النجاح.

وها هو السيد بيفن بنفسه يعلن «أن الحكومة البريطانية أقرت وقف تسليم السلاح إلى الأردن ريثما تنتهي الهدنة» فيم تراك تحارب وأنت لم تزود بالسلاح؟ وطبيعي أنَّ من يُزوّدْك به يكنْ سيّد الموقف.

كل واحد يتساءل: ما هي حدود هذه اللعبة؟ وإلى أي شيء يمكن أن تفضي هذه الهدنة؟ فإذا كان الهدف تدعيم دولة إسرائيل فمن حقنا أن نعتبر الهدنة أمكر ما يخطر ببال. ونظل على قناعتنا من أن دولة إسرائيل، بعد مآس مديدة، ستكون طامة كبرى لليهود أنفسهم. وهذا حقاً ما يخشاه المنشقون من يهود الولايات المتحدة على حد ما أشار إليه مؤخراً السيد بيّار دودج Bayard Dodge. لكن العرقيّة اليهوديّة تكون قد أوقعت الاضطراب في الشرق الأدنى وما هو أبعد، قبل أن يتثبَّت العالم من الأمر.

باختصار، إذا كانت الهدنة في فلسطين توحي الرضى على الصعيد الانساني، فإنها على الصعيد السياسي لا تنبئ بأي خير.

١١ حزيران ١٩٤٨

مذكّرة لما بعد الهدنة

إن الأمر بوقف النار في فلسطين لا يعني، بأي حال، بداية الهيمنة لاسرائيل. وعلينا أن نتذكّر أن إسرائيل أضحت دولةً عالميّةً وليست تلك الحفنة من المبعدين والمضطهَّدين الباحثين عن ملجأ تحت السماء، كما شاؤوا أن يصوِّروها لنا.

وإسرائيل هي أيضاً القوة المالية الأولى في العالم. وهي التي ما واصلت نواحها إلا لتصبح السيد الحاكم، ولتجد أرضاً وعاصمة تستطيع عبرهما مراقبة جميع الطوابير الخامسة اليهودية في العالم.

هذا ما يُدبّر حقاً، وهذا ما ارتضاه الرئيس ترومن وأراده تحت ضغط خمسة ملايين يهودي أميركي هم أنفسهم متضامنون مع جميع يهود الأرض... هذا أيضاً ما يشكل سبباً لبروز مقاومة تزداد اتساعاً على نقاط مختلفة من المعمورة وعامل إثارة جديد للبشر بعضهم ضد البعض الآخر.

كل يهوديٍّ على هذا الكوكب يتوق، بعد الآن، لأن يصبح، أقله سراً،

مواطناً في الدولة اليهودية على كونه مواطناً في بلد آخر. كل يهودي سيحمل جوازي سفر، أو سيكون بمقدوره أن يحملهما، وسينعم بامتيازات بارزة أُنكرت على سائر البشر. وهل من يرتاب بأن اليهودي، حيثما كان يؤثر، إلا في الندرة والظاهر، شريكه في الدين على شريكه في المواطنة. الواقع أن هذه الحالة تختلف عما سواها لدواع تاريخية ونفسية.

وحيث أن المغامرة اليهودية بكلّيتها إنما هي عرقيّة مبنيّة على دين، فسينتج عن المأثرة التي أتتها الحكومة الأميركية، وكرسّتها بالهدنة، أنها أعطت دعمها الأقصى والأكثر عمىً خدمة لمطمع ولقوة تفتيت ليس لها مثيل.

ومرة أخرى، نحن لا ننكر شيئاً مما فُطر عليه اليهود أو اكتسبوه من مزايا. بل نأخذ الواقع كما هو ونجهد كي نظهر التقدم الارتقائيّ الذي أصابته الجمعية السريّة الأرهب في العالم.

فإذا كان الرئيس ترومان يجهل هذه الأمور فلا عذر له، وإن كان عالماً بها فلا عذر له أيضاً. لقد باتت أميركا الحالية، لفرط نفعيّتها تهدّد مجتمع المستقبل في جذوره بالذات؛ إنها وبكل برودة، تضحّي بالمستقبل على مذبح الحاضر.

قبل مئة عام، لم يكن للوجود اليهودي في ولاية نيويورك أي شأن. وكل واحد يعرف ما أصبح عليه الآن؛ وكل واحد يتحسّب لما سيكون عليه في فلسطين والشرق الأدنى يوم تغدو تل أبيب الحاضرة الاجتماعية للمشروع (الصهيوني) والعاصمة السيّدة لاسرائيل.

وعليه، إذا أبت البلدان العربية أن تسقط في شَرَك العنكبوت هذا سقوطاً مأساوياً، فإن نضالها يبقى مشروعاً وضرورياً. وعلى كل بلد أن يتنبّه إلى أنه سيكون لاسرائيل وجود فوق أرضه، وسيكون وجوداً قوياً في بعض العواصم.

لو أبقت الصهيونية على بقية من حكمة لتذكرت أيضاً المآسي التي تتعرض لها وهي تشهر الحرب على جميع الدول التي تحيط بها. فحتى قبل الهدنة، كانت الدول العربية قد اقترحت هذا النظام الفدرالي الذي بدا في زمن وعد بلفور، على أنه التصرُّف الأكثر شهامة في العالم. ونتساءل بخوف ما الذي سيكون عليه الوضع خلال عشر سنوات أو عشرين سنة إذا استمرت إسرائيل في هيجانها.

١٢ حزيران ١٩٤٨

المؤقت الذي يدوم

سيتمّ تأجيل مسألة فلسطين، وكأنما قد تمّ ضمناً تمديد الهدنة. لقد رفض العرب واليهود مقترحات الكونت برنادوت: ردّها اليهود لأنهم يريدون كل شيء وردّها العرب لأن اليهود لم يكتفوا بما هو معقول. وسينشر الرفض المزدوج على الملأ غداً أو الثلاثاء في ما يقولون.

غير أن هدنةً لا يمكن أن تدوم إلى ما لا نهاية. فهي تفرض وقفاً أو تجميداً لكل شيء؛ كما تفرض رقابة ضيقة لا تسمح إلا بعمليات تبديل أو بما يشبه ذلك.

طبعاً، إن تمديد الهدنة لا يلائم العرب كما يلائم اليهود الذين لا يتحركون من مناطقهم ومنازلهم والذين يتابعون هجرة أبناء ديانتهم إلى فلسطين ضمن شروط ممتازة من التسامح والحظوة. وليس استمرار الهدنة في إبّان هواجر الصيف وضعاً ملائماً لا للعسكر ولا للحكومات. لكن يبقى كل شيء أفضل من الخضوع لتكريس استقلال هذه الدولة اليهودية، التي توطّد أسسها يوماً بعد يوم مستندة إلى حدّة الذهن والدقّة في الاجراءات (التي تتّخذها).

بعد أشهر من التفكّر، بأن الدول العربية، وبرغم ما وعته من فداحة المراوغة السياسية التي تمثلها الدولة اليهودية، وبرغم المهالك التي تتولّد

عنها، فإن هذه الدول لم تدرك بعد أنه بين المخاطر التي يمكن أن تتهدّدها، فإن الدولة اليهودية هي الخطر الأعظم. ذلك أن هدف إسرائيل، البطيء أو السريع، هو استلاب العرب ملكهم من المتوسط حتى الفرات، وعلى أي حال، فهذه السيطرة سيشارك فيها، أكثر فأكثر، جميع يهود العالم.

فإن سلّم العرب، سيكون ذلك بالنسبة لهم، كمن أدخل نفسه في الظلمة مختاراً، سيكون ذلك انتحاراً. ولذا فإننا نذكّر للمرة المئة أن الصهيونية ليست مجموعة يهود تعساء يبحثون عن ملجأ لهم، وإنما هي قوة عالمية متفرعة على كوكبنا بكامله، ولها من المطامح المعلنة أو المضمرة ما يتخطّى كل شيء.

على العرب، كيفما تطورت وساطة الكونت برنادوت، ان يستفيقوا من شبه الغفوة التي يستسلمون لها، وان يتمالكوا أنفسهم أكثر فأكثر، وان يناضلوا مستخدمين كل قوّتهم وجميع الوسائل المشروعة. فإن ما يحدث في هذه الآونة هو أحد أشد المغامرات هولاً في تاريخهم. فعليهم أن يدركوا ذلك على الأقل وأن يقتنعوا به. أن خصمَهم يمتلك قوة تكاد تكون غير محدودة إذ هو مدعوم من أهم حكومات الأرض.

٥ تموز ١٩٤٨

الوسيط المرتبك

كان الكونت برنادوت يتوقّع، من دون شك، أن يرى مقترحاته تُرفض من هذا الجانب وذاك. وكان واضحاً، بالنسبة له، أن دولة إسرائيل ذات السيادة ستبقى أمراً محالاً في اعتبار العرب. كما كان واضحاً أن اليهود ليسوا على استعداد للتخلي عن دولة إسرائيل. وفي هذه النقطة بالذات تبدو حقاً المسؤولية الكاملة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. فهما باعترافهما المتسرِّع بالدولة اليهودية إنما شجَّعوا نضال إسرائيل بشكلٍ حاسم. وهذان البلدان الكبيران كانا يفتشان بذلك عن الحرب وليس عن السلام. وما من ريب أن دوافعهما لم تكن واحدة؛ ولكن الواقع الصعب ماثلٌ للعيان. ولسوف يسجّل التاريخ على الولايات المتحدة أنها تعمّدت التضحية بالأماكن المقدّسة لدواع سياسية داخلية ومكائد انتخابية، على كون الولايات المتحدة بلد حضارة مسيحية، يفصلها عن هذه الأماكن مسافة تصل إلى ستة أو سبعة آلاف كيلومتر. هذا ما سيقوله التاريخ المنصف يوماً. ولربّما يوافق أيضاً على أن الاتحاد السوفياتي لم يكن خاضعاً في المناسبة، لأصول الأخلاق الدولية عينها.

الآن يواجه الكونت برنادوت إجراء تسوية منفردة تتناول مصير القدس. وهو يقترح، في الوقت عينه وضعاً مؤقتاً لمدينة حيفا. وما من شك أن عزل مصير القدس عن غيرها فكرة جيّدة. ولكن من العدل التأكيد أن وضع العرب في القدس هو أفضل من وضع اليهود فيها وأنه المعادل لوضع اليهود في المنطقة الساحلية. إذن يضحي من الانصاف أن ينال العرب مبدئياً، ما يعادل هذا الامتياز في موضع آخر، فتنزع الرقابة عن منطقة حيفا ومرفإها، على الأقل، من يد اليهود، ما دام النزاع قائماً.

ومهما يكن، فمن الثابت أن أي حل نهائي لم ينضج بعد، وليس ثمة حل ممكن، و لم يتبق لبت العقدة الغورديّة سوى السلاح، والزمن. ذلك أنّه بالنسبة للعرب، لا تقتصر ثروتهم على الحرب الدفاعية المفروضة عليهم، بل هناك ثروة المقاومة التي لا حدود لها والتي ستبدو أكثر إلحاحاً وستشتدُّ كل يوم.

هي حماقة من إسرائيل، حقاً، أن تطلب سلام العنف الذي يدوم. ينبغي أن يعلم اليهود، إن هم مضوا في عنادهم، أنهم سائرون لا محالة نحو حرب «المئة عام» هذا على افتراض أنهم قادرون على الصمود طوال هذه المدة.

هذا ما توقّعناه منذ زمن بعيد. ولكن المنطق لم يعد له وجود على هذه الأرض.

٧ تموز ١٩٤٨

من مرحلة إلى أُخرى

انقضى شهر بسرعة، والأسابيع الأربعة للهدنة في فلسطين انتهت كما ابتدأت، إلى وضع قليل الوضوح. البلدان العربية اعتمدت، مرة أخرى، لهجةً جد معقولة، ولكن حلّ المشكلة لن يتمّ بالألفاظ، بل هو في الوقائع. ذلك أنه بهدنة أم بدونها، فالأمر سواء إذ لا مخرج أمام العين المجردة في هذه المرحلة. فهل تراه يرى بالعدسة المكبّرة؟

ولنقل الأمور كما هي: ما فتئ النفوذ الأميركي يلقي بثقله على مواقف الأمم لصالح دولة إسرائيل، وجميع المقرّرات المتّخذة في لايك سكسس Lake-Success[1] تتأثر به. وهذا هو ممثل الولايات المتحدة في مجلس الأمن يعلن أنه إذا قبل أحد الطرفين استمرار الهدنة، وإذا رفضها الآخر، تعرّض الطرف الرافض للعقوبات. وفي مثل هذه الحال تكون الهدنة قسريّة. وإنه لمن العسير فهم هذا التعليل الذي لا يشرّف روح القضاء الأميركي.

أما اليهود، فهم يقبلون من جانبهم بالتمديد بلا شروط لهدنةٍ هي في صالحهم كيفما دارت الحال. إذ في غضون الهدنة تستمر الهجرة فعلاً، كما يستمر تدفق التعزيزات لهم من كل نوع في الكتمان أو في الخفاء.

أما بالنسبة إلى العرب، فالأمر على خلاف ذلك. فإذا مُدّدت الهدنة

(١) Lake-Success: منطقة شرق نيويورك كانت مقراً للأمم المتّحدة (١٩٤٦-١٩٥١) قبل نقله إلى مانهاتن.

بالشروط نفسها، تعيّن عليهم أن يذعنوا ليروا وضع أخصامهم في تحسّنٍ ووضعهم أكثر سوءاً بالتأكيد.

وفي هذا السياق، كيف لا نلفت إلى استمرار التوافق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لدعم دولة إسرائيل (كما بدا من موقف ممثل أوكرانيا الذي يرئس مجلس الأمن).

كلّما تباعد الأميركيون والروس في كافة الميادين الأخرى حيث هم على خلاف، تدانوا في شأن اسرائيل. هذه واحدة من الظاهرات السياسية الأكثر فرادة في كل الأزمنة.

وفي عودة إلى موضوع الهدنة، فإن العرب لم يغلقوا الباب أمام المفاوضات وهذا ما أعلنوه بكل وضوح. وعليه، يمكن الافتراض بأن الكونت برنادوت سيجد ما يقوله بعدهم إذ ربّما تساهم بعض المقترحات والألاعيب في التخفيف من حدة الفريقين.

ولكن، ينبغي التأكيد علانية بأن قضية فلسطين لن تحل وأهلها في حالة سبات عميق. ذلك أن كل حالات النعاس لن تجدي ما دامت النار تحت الرماد. وإن اليقظات التي ستعقبها ستكون أكثر تعاسة منها.

لقد أضحت قضية فلسطين، ويا للأسف، ورطة للأمم بحيث تسعى للتخلص منها بأي ثمن. وهي لم تعد هذا الظلم الصارخ الذي يستدعي وجود فارس يحصّل الحقوق المهضومة ويرفع صراخه حتى السماء.

١٠ تموز ١٩٤٨

مواعظ الأحد

ما زال الكونت برنادوت يلوّح بغصن الزيتون. وكثمن لجهوده، فإنه على الأرجح سيرى الهدنة تعود وتولد في فلسطين. ترى، هل نكون بذلك على طريق السلام؟ إن مثل هذا السلام الذي يتوق إليه الوسيط هو سلام يضمر الحرب في حناياه، وهو جدير بأن يكون موضوعاً لتأمّلٍ روحيٍّ.

تريد الولايات المتحدة دولة إسرائيل والسلام سوية. ويريد الاتحاد السوفياتي دولة إسرائيل ولكن كأداة للحرب.

هاتان القوتان العظميان، هما بشكل متناقض، على اتفاق حول هذه النقطة بالذات، وفي ما عدا ذلك فإن النزاع بينهما يتفاقم. وبكل جلاء فهما لا يعطيان دولة إسرائيل مضموناً واحداً.

إن ما تعنيه دولة إسرائيل للولايات المتحدة، سياسةٌ انتخابية، ووجود أميركيّ غير مباشر في شرق المتوسط. بالنسبة للاتحاد السوفياتي ستكون دولة إسرائيل بؤرة دائمة لبث الفوضى والنزاع. أميركا تتصور دولة إسرائيل رأسمالية ومحافظة، الاتحاد السوفياتي يتخيلها ماركسية وثورية. اليهود من جانبهم رشّحوا أنفسهم لأن يحفظوا لدولة إسرائيل كلي الوجهين. وهم، بحسب الأحوال والظروف، يوازنون ما بين المذهب السياسي لأوربا الشرقية، والمذهب السياسي لأوربا الغربية. إن هدفهم الحقيقي، هو طبعاً، انتصار سياستهم هم واستعادة صورة اسرائيل في

العالم على أنها «شعب مختار» مسخّرين لذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة إما معاً وإما بالتناوب.

أما انكلترا، فإن موقفها، لفرط ما هو غامض، أصبح واضحاً تماماً. فهي تصفّي حسابات قديمة في آسيا الغربية، ليس فقط لتأمين بقائها بل لتثبيت وجودها. إن مرتكز هذه السياسة هو عاصمة الأردن البلد الذي لبريطانيا فيه ومعه التزامات وثيقة كما هو معروف.

أما نحن فنقول: إننا ندرك تماماً أن تدافع انكلترا، حيثما كان، وبما تبقّى لها من عافية، عن الحضارة التي تمثّل وعن الكومنولث الذي هو هي. ولكننا نقول أيضاً أن السياسة التي تمارسها في منطقتنا هي خطرة ويرثى لها وسترتدّ عليها. وعلى عكس المظاهر، فإن انكلترا تمهّد في الشرق الأدنى لأحداث شبيهة، ربّما، بتلك التي عانتها في آسيا الشرقية وجعلت حياتها جد عسيرة.

ذاك هو الوضع، على وجه التقريب، الذي يجتازه الكونت برنادوت، مسرعاً وحاملاً غصن الزيتون. أما نحن فنعتقد من جانبنا، مع كل احترامنا لهيئة الأمم ولمجلس الأمن، وللسيد تريفغين لي وأخيراً للوسيط، فإن كل أشجار الزيتون في لبنان لن تكون كافية.

فلكي يستتبّ السلام في فلسطين لا بدّ من نزع السلاح من النفوس والقلوب. وهذا ليس مجرد كلام أدبي إنشائي بل هو أمر مؤكد.

١١ تموز ١٩٤٨

العام المقبل نكون في أورشليم

إذا كان غلاة الصهيونيّة يطالبون بالقدس عاصمة لهم، فإن جميع اليهود يضمرون في عمق تفكيرهم وقلوبهم أن تصبح القدس العاصمة الأصلية لإسرائيل.

وليس فقط عاصمة لهذه «الاسرائيل» التي بلا حدود، واسمها واحد من الأسماء العبرية التقليدية، وإنما لدولة اسرائيل التي استولدتها الولايات المتحدة على حساب أوجاع الآخرين.

في رأس أهداف اليهود أن يجعلوا من المدينة المقدسة عاصمتهم السياسية؛ كما ولو أنه لم يعد هناك لا مسيحية ولا إسلام في العالم!

هذا الادّعاء في حدّه الأقصى، لم يعد هناك، على ما يبدو، من يتجاهله سوى حكومة الولايات المتحدة. ولكننا لا نعتقد بعد كل حساب، أن يكون في نية السيد ترومان نقل جبل الزيتون وقبر السيد المسيح إلى واشنطن.

إن التحية الفصحية التي يتبادلها جميع يهود الأرض، سرّاً وجهاراً، هي هذه: «العام المقبل نكون في أورشليم». هذا الحلم الكوني يخفي توقاً إلى الفتح يصعب تحديده. وأميركا، إذ تدّعي العمل لقيام دولة إسرائيل، فإنها تسهم في الدرجة الأولى بنضال اليهود من أجل القدس. إنه نضال

خفي ستوضع في خدمته جميع الوسائل: المال والمكر والدسيسة والإغراء، وما هو أسوأ إذا اقتضى الأمر.

إلى هذا سيقودنا عمى الأمم، أو على الأصح، عمى بعضها وغدر بعضها الآخر. والحق يقال، أن ثمة ما يدعونا إلى التساؤل عما إذا كان السياق الحتمي للأحداث لن يؤدي بنا إلى هذا الانهيار الشامل الذي يُدعى نهاية العالم.

إن اليهود بإمكانات عاديّة، لن يكونوا قادرين على فعل ما يفعلونه. ولكن شبكة قوّتهم هي إلى الحدِّ الذي يدفع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إلى العمل في اتجاهٍ واحدٍ لصالحهم. فلو لم يكن هذا صحيحاً لقلنا إنه غير معقول، ولاعتبرنا ذلك محض جنون لو لم يكن صفحة من التاريخ.

إن القدس مهدّدةٌ من إسرائيل على المديين القريب والبعيد. والآن أصبح متعذراً فرض نظام خاص على المدينة المقدسة في حين يجري التسليم لليهود بكل ما تبقّى.

إن الاقتصار على تدابير دولية مؤقتة بشأن فلسطين يفتح الباب لصراع دائم. إن موقفاً كهذا لا يليق لا بالغرب كله ولا بالشرق كلّه.

١٤ تموز ١٩٤٨

مواعظ الأحد

بين خطر الحاضر وخطر المستقبل، لا بدّ الآن من الاختيار. فأمام الخطأ الفادح الذي تقترفه الولايات المتحدة في فلسطين، فإن الشرق الأدنى العربي لا يمكنه أن يبقى من دون أي فعل.

أينبغي اليوم أن نستسلم للقوة، ونتعرّض للأسوأ، تاركين لدولة اليهود أن تستقرّ وتستملك؟ أم ترى ينبغي، على النقيض من ذلك، أن ننتفض قائلين: ما من شيء يهدّد البلدان العربية بأشد هولاً من دولة إسرائيل؟ من جانبنا، نحن نميل إلى الموقف الثاني.

كل شيء، في عرفنا، أفضل من الرضوخ، صراحة أو ضمناً للأمر الواقع. فإذا كان مأمولاً الوصول إلى نتيجة مقبولة من تمديد الهدنة لكنَّا إلى جانب تمديدها. ولكن حصار الأمم قد تمّ (وإنما تمّ على يد الولايات المتحدة).

إن القدرة العالمية لليهود، عبر واشنطن، ألقت بثقلها على جميع العواصم. والمساعي القائمة في كل مكان لا تُعدُّ ولا تحصى والمخدوعون من أميركيين وأوروبيين على يد إسرائيل هم أيضاً لا يعدون ولا يحصون.

إن العرب، من فرط ما رغبوا في الانعزال عن بقية العالم والعيش في

برجهم العاجي، فقد أفسحوا في المجال للدعاوات المعادية. إنهم اليهود، وليسوا أبداً العرب، الذين نجحوا في أن يخلقوا لأنفسهم في بلدان تقرير المصير الانحياز المناسب لهم ضد كل عدالة. فقد ملأوا الكون بالتوسّلات والصراخات، وعمدوا إلى أساليب الضغط المختلفة واستعملوا كافة الخطط، وحاولوا على سبيل المثال إزعاج انكلترا في سياستها الاقتصادية والنقدية. (فالحملات الآتية من كل صوب، منذ فترة، على الليرة الاسترلينية والتي هي مدوزنة بحيث لا تخلو منها بل وتردّد صداها كلّ صحيفة متخصّصة، إنما تأتي من دون شك، من منظمة يهودية، تمتد بين الهادي والأطلسي مروراً بجميع الأسواق (المالية) السوداء والرسمية، المتوازية أو المتفاوتة، فهي منظّمة تغشى شبكتها الحالكة الكوكب بأسره).

هذا هوالوضع اليوم. ولكي نقولها بصراحها، نحن لا نرى، كيف يمكن لدولة إسرائيل، وقد أضحت على حدودنا مرفأ ارتباط لجميع يهود العالم، أن تدع الدول العربية، ولبنان في مقدّمها، تعيش وتزدهر بسلام.

إنها لمجازفة لا تحد تلك التي تتسع ضد جيراننا وضدنا بالذات. إنه مشروع وقح جسور لوضع يد اقتصادية ومالية وصناعية وتجارية بحيث لا يتوقف هذا (المشروع) إلا بتحقيق توسّعات أرضية وسياسية، وارتهان أكتافنا بحمل النير الأكثر ثقلاً، وأخيراً بالاستعباد. وبذا فإنّ مشروعاً

جهنّمياً لاستعمار الشرق الأدنى الآسيوي على يد إسرائيل والهيمنة عليه علانية أو في الخفاء، هو في طور التحقيق برعاية أميركا والمشاركة الانفعالية لجميع اليهود الذين بلغوا سن الرشد (أو سن الغباوة).

إذ لا يلوح وراء هذي القضية سوى أمر واحد هو يقظة التعصّب، بل تفاقمه المخيف وانتشاره في بلدان عدة، مما سيؤدي إلى الدمار والدم والدموع.

أما ان تكون هيئة الأمم المتحدة قد تبنّت هذا الموقف الشاذ لأن أميركا أرادته تحت ضغط اليهود الأميركيين، فتلك هي النهاية. وهذا هو بالضبط الافلاس الحضاري. لقد اعتدنا أن نكون في أحاديثنا يوم الأحد أكثر رصانة. ولكن الساعة خطيرة والزمن يزحمنا.

نحن نجهل ما بحوزة الدول العربية مجتمعة من قوى مسلحة ولكن، إذا لم يتسع لهذه القوى سوى المقاومة فلتقاوم حتى يصبح الهجوم أمراً ممكناً، سواء أطاب الأمر لفلاسفة الأمم المتحدة أم لا.

أجل، إن الأماكن التي ولدت فيها المسيحية، وإلى حد ما، ولد فيها الاسلام، وأصبحت رموزاً لإيمان مليار من البشر شاملة العرق الأبيض برمته، بأسلوب تفكيره ونمط حياته، لا يجوز أن تضحي مختبراً لاسرائيل ومركزاً لحيلها ودسائسها ومؤامراتها.

إن البلدان ذات الحضارة المسيحية، إذ تتصرّف كذلك، فإنما تُخلّ بأسمى رسالة لديها؛ وبلاد الاسلام، إذا ما تراخت، ضلت السبيل ودخلت في ظلمة الليل.

هذا أوان الخروج من السراب والحلم، خصوصاً وأنه داخل البلدان العربية بالذات توجد مطامح فردية، واعية أو غير واعية، لا بد من نقضها واتقاء جانبها. نحن إزاء معضلة لا تعالج إلا بالنيات المستقيمة!

١٨ تموز ١٩٤٨

الغرب وفلسطين

لولا الولايات المتحدة، لكان موقف الغرب من القضية الفلسطينية مختلفاً من دون شك عما هو عليه. هذا أمر في غاية الوضوح.

ويمكن قول الشيء نفسه عن بلدان أميركا اللاتينية. غير أن ضغط الولايات المتحدة قد أطاح بكل شيء؛ وفي داخل الولايات المتحدة كان وزن ولاية نيويورك حاسماً.

إن لليهود أساليب عمل خارقة في معظم أنحاء العالم. وقدرتهم لا يمكن إخفاؤها عن أحد. ولذا نجدهم متمركزين، بتشعباتهم الخفية

ونزعاتهم الاحتوائية، في جميع المنظمات الدولية، في العواصم، في الحكومات، وفي جميع الإدارات والمجتمعات وفي وكالات الأنباء والصحافة وغيرها. ولكن قوّتهم الحقيقية تتجلّى حول البيت الأبيض. الواقع أن هذا الشعب يشارك في حكومات الدول الكبرى بحيث يستخدم سياستها بسهولة خدمةً لأهدافه الخاصة.

والحال، أن أوربا الغربية، مذ دمّرتها الحرب والخلافات العقائديّة مادياً، وزعزعتها معنوياً لم يعد بإمكانها الاستغناء عن معونة الولايات المتحدة دون أن يُقضى عليها. وبالمقابل، فإن الولايات المتحدة تلزم أوربا هذه بتبنّي وجهات نظرها حول قضايا رئيسية، كما حصل بالنسبة لفلسطين. وعلى هذا النحو حال أميركا اللاتينية، وإن اختلفت الأسباب. وعليه، فإن أوربا الغربية هي بكل وضوح في حال إكراه معنوي. وهذا ما يمكن تبيّنه بسهولة. (فلولا الولايات المتحدة، لشعر البلجيكيون مثلاً، أنهم أكثر تحرّراً من الفرنسيين إزاء إسرائيل، لأن حضور اليهود في السياسة الفرنسية هو أبعد أثراً منه في بلجيكا مع احترام النسب بينهما).

لقد وافق أكثر من بلد في أوربا الغربية على تقسيم فلسطين على مضض صريح. أما أوربا الشرقية فقد سارت في خطى الاتحاد السوفياتي ودعّمت إسرائيل دفعةً واحدة (علماً أن روسيا نَحَتْ باتجاه سياسة الأسوأ، واتخذت بشكل متناقض، في هذه المرحلة، الموقف الأكثر عرقية في العالم). حسنٌ أنْ تحارَب العرقية والفاشيّة بالكلام والعنف الأشد،

وأن يناقضَ التصرّفُ الكلامَ لدى أول سانحةٍ بوقاحة لا مثيل لها. والواقع أن اليهود قد أسهموا إلى حّد بعيد، في إشعال الثورة التي سلّمت روسيا إلى الماركسية عام ١٩١٧، وهم مستمرّون في التأثير القوي على مصير الاتحاد السوفياتي عن قرب أو عن بُعد؛ فالثورة حيثما وقعت ستكون في صالحهم، وكذا القول عن دمار الحضارة المسيحية فسيكون في صالحهم أيضاً.

أما ان لا تكون الأمم المسيحية، والدول ذات الحضارة المسيحية (شأنها شأن الدول الإسلامية الكبرى) قد واجهت الصهيونية الغازية بموقف أكثر صلابة، فهذا لن يجد تفسيره إلا في سياسة الولايات المتحدة الخرقاء، والضعف المفرط في بلدان ابتليت بالحرب والخصام، وأخيراً بتجاهل مفرط للحقائق المتعلقة بأهداف ومطامح إسرائيل.

نضيف إلى ذلك أن البلدان العربية جرى إنذارها منذ زمن بعيد غير أنّ آذانها ظلت صمّاء إزاء الدلائل والتوصيات الأكثر إلحاحاً. لقد تمّ ذلك خلال أشهر وسنوات وكأنه أشبه بتبشيرٍ في الصحراء.

أما الآن وقد حلّ اللاجئون العرب محل اليهود التائهين على الدروب الطويلة، وكشف اليهود القناع عمّا فيهم من غرائز الفتح على طريقة الالمان الذين يستندون إلى قوة عسكرية جهّزتها يد طولى، بأغرب أنواع التواطؤ الاجرامي، الآن والقوة اليهودية تعمل وتؤثّر في كافة الميادين كقوة عالمية، فقد بات من الطبيعي أن تتضاعف الملامات والتحسّرات.

غير أن أوان العمل المؤثّر لم يفت بعد إذا شئنا ذلك. ومرة أخرى، فإنه من مصلحة اليهود أنفسهم أن يلطّفوا من وقع مشروعهم. لأنه، ومهما

بدت الساعة الحاضرة ساعة مقيتة فإن في الآتي من الغضب والتهديد، فوق ما فيها بما لا يُحدّ.

وهل تود الولايات المتحدة (ومثلها انكلترا، التي هي كظل الله في مسرحية أتالي Athalie تود أن تكون في كل هذا حاضرة ولكن غير مرئية) أن ترى بوضوح أكثر وأن تتذكّر الفريضة التي عليها أن تدافع عنها في نهاية المطاف، في الديار المقدّسة، أي حضارتهم الخاصة بالذات؟

٣٠ آب ١٩٤٨

القدس في خطر

لتعلم المسيحية بأسرها، وليعلم الإسلام بأسره أن الدولة اليهودية ستظل تهدد القدس بشكل دائم.

لا صهيونية بدون صهيون، ولا دولة إسرائيلية يمكنها أن تستغني نهائياً عن القدس.

فالاسرائيليون يعرِّفون أنفسهم بأنهم يتحدَّرون من يعقوب الملقب «بإسرائيل» وإنهم هم أنفسهم الذين نسمِّيهم يهوداً وعبريين والذين يدور كل ماضيهم حول المدينة المقدّسة.

إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ الشعب اليهودي، فإذا ما أسقطنا منه القدس، يكاد أن لا يبقى منه شيء. وعليه، فالقدس ستبقى عرضة لتهديد دائم من جانب اليهود. وهذا ما يفسِّر عدم مراعاتهم لحرمة الهدنة في القدس.

إن الحلم اليهودي يتثبّتْ والعنجهيةَ اليهودية تتفاقم والمطمحَ اليهودي يصبو بوضوح، إلى الاستيلاء على القدس، وجعلها على مراحل، حاضرة لليهود. غير أن المسيحية العالمية لن ترتضي ذلك، ولا الاسلام يرتضيه. وليس مسموحاً أبداً بعد الآن أن يفوتنَّ المخطط اليهودي على اتساعه أي أحد، بما في ذلك أقل الناس إلماماً بالأمور.

إن الدولة اليهودية، على نحو ما تخيّلتها الأمم المتحدة بموجب مخطط التقسيم، هي رأس جسر، ونقطة انطلاق، وبداية، كما بيّنا ذلك غير مرة. فهذه هي الوسيلة لامتلاك فلسطين كلها، وأراضٍ شاسعة لما وراء الأردن وأخرى في سوريا أي ما كان يعود إلى الاسباط الاثني عشر، وبعدها، إذا سمحت الظروف، امتلاك ما كان يعود قديماً إلى مملكة إسرائيل، وأكثر منه ما كان يعرف بموطن ابراهيم.

لقد جعل اليهود من الشرقين الأدنى والأوسط منطلقاً لحلم الهيمنة المعروف، والذي يدّعون أنهم بنوه على مزاياهم الطبيعية وعلى ثرواتهم وعلى قدرتهم، وأخيراً على الكتاب المقدس.

إن العرقية العميمة لليهود تصبو إلى فرض رقابتها على الكون بأشكال خفية. ولقد اجتازت حتى الان قسماً من الطريق (نحو هدفها). هي

القدرة المادية لليهود تود أن تهيمن على عالم مزعزع خلقياً. وهم لذلك يستخدمون الموسيقى، والفلسفة والعلم غطاءً مدوياً لهذه الصفقة. ومع كل التقدير الجدير بهم فلنذكر مرة أخرى كرمز لهم اينشتين Einstein ويهودي منيوهين Yehudi Menuhin لكي لا نرقى إلى سبينوزا Spinoza.

نحن، اللبنانيين، مدعوون إلى رؤية هذه القدرة تنمو على حدودنا، وإلى تحمّل العبء الساحق لحضورها ولمحاولاتها، وإلى المشاركة في صياغة نشيد المراثي (للنبي ارميا). أما سوريا وشرقي الأردن ومصر، فقد بدأت ترتاب مما ينتظرها بعد سبات طويل. فهي «تُشغل» من الخارج بانتظار أن تُشغل من الداخل كأنها طينة رخية إلى أن تواجه الخطر في أن تصبح «إسرائيلية» بدورها وجزئياً على الأقل على حد التعبير الشائع اليوم. إذ أن السيد موشه شرتوك Moshé Shertock والحاخام سيلفر Silver وآخرون، قد ميّزوا ببراعة بين من هو اسرائيلي[1] ومن هو اسرائيلياني[2].

لنلتفت الآن شطر القدس قائلين لأنفسنا أن القدس هي الآن في خطر داهم. وستكون في وضع أصعب يوم يضحي اليهود مليوناً ونصف أو مليونين في دولة اسرائيل «المزعومة»!

٤ أيلول ١٩٤٨

(١) إسرائيليّ: نسبةً إلى دولة إسرائيل Israélien.

(٢) إسرائيلياني: نسبةً إلى الدين اليهوديّ Israélite.

نهاية الوسيط المفجعة

إنّ مصرع الكونت برنادوت على يد اليهود سيُسهم، بعد أعمال العنف المرتكَبة، وهذا الكمّ من الأوهام المبثوثة، في تشكيل قناعة (جديدة) لدى العالم. هذا، عادة، مصير الوسطاء في أن يصبحوا بدورهم ضحايا ويدفعوا دمهم خدمة للعدالة والمحبة. لقد أبدينا إزاء الكونت برنادوت، وعلى ثقتنا به، تحفّظاً طبيعيّاً، في بداية الأمر، يُعزى إلى ما لحكومة ستوكهولم من ميول، هي بحسب الظاهر، برو–يهودية.

غير أن هذا الظنّ ما عتّم ان انجلى شيئاً فشيئاً، وصار واضحاً أن الكونت برنادوت كان يؤدي مهمّته، ولديه رغبة عظيمة في إقامة التوازن والسلام، ونيّة طيّبة لا حدود لها.

لقد تباهت منظمة الأمم المتحدة بلسان أمينها العام السيد تريغفي لي بالنتائج الأوليّة لعمل الكونت برنادوت وهو أول نجاح ملموس أحرزته المنظّمة. فإذا الهدنة تطول لأجل غير محدد، في حين كان الوسيط يعرب دائماً عن تفاؤله (وإن بدرجات متفاوتة). لم يعمد أحد إلى استخدام هذا اللفظ (التفاؤليّ) المريح، لوقت وجيز، وإن على ضآلة متناهية، بقدر ما استخدمه الكونت برنادوت. ولكن ترامى إلينا على لسان أشخاص عائدين من الديار المقدسة منذ أيام، وهم أكثر إحاطةً بشؤون فلسطين،

بأنّهم باتوا يستشعرون وطأة التهديد اليهودي على الكونت برنادوت ويخشون من محاولة اغتياله. ولقد تحقّق الحدس وهذا التخوّف الغامض ويا للأسف. وسقط الوسيط وضابط القيادة الفرنسي الذي كان يرافقه (صريعين) في مكيدة ما بعد ظهر الجمعة.

ترى، هل يستفيق العالم الآن سعياً إلى معرفة الممارسة اليهوديّة في فلسطين على حقيقتها العميقة؟ ترى، هل سنخرج من الدعاوة الكاذبة، والعواطفية المزيّفة، والأقوال الفارغة للانكباب على فهم مدى الخطر؟

لئن كان سهلاً أن تُلقى جريمة القتل المشينة على عاتق «العصاة والخارجين على القانون» وجب أن يقال في أنفسنا (على الأقل) أن نتائج المشاركات والوقائع الحاصلة في سياق الأحداث بإسرائيل تظهر أنها لم تكن تمرداً ولا حصلت بالصدفة. فلتستعرضْ سلسلة طويلة من المؤامرات وأعمال العنف! فإن فيها ما يدعو الأمم حقاً، إلى التفكّر.

لنَنْحَنِ خاشعين أمام جثمان الكونت برنادوت ومرافقه وقد قضيا لدى إتمام واجب دولي، وهو الواجب الأكثر مماهاة مع الواجب الانساني.

٢٠ أيلول ١٩٤٨

السيد رياض الصلح
والديبلوماسية اللبنانية في باريس

إن حضور السيد رياض الصلح مأدبة الغداء الأخيرة التي أقامتها الصحافة الانغلو–أميركية في باريس، وخطابه فيها لَيبعثان في النفس ارتياحاً طيّباً. وكان يحيط برئيس مجلس الوزراء بعض من أبرز ديبلوماسيّينا وأغلاهم علينا، وتجلّى لبنان في هذي المناسبة بمطلعه الأكثر صحّةً وحيويّةً. لقد قدّم السيد رياض الصلح ومن معه من مواطنينا المدعوّين إلى مأدبة غداء الصحافة الانغلو–أميركية، الدليل الحسّي، عمّا يمكن أن تقوم به، في السياسة كما في علم الاجتماع (جماعة) لديها فهم عميق لواقع عصرنا، وللمستجدّات في العالم، إذا ما عملت بروح التعاون الأخويّ.

وبعد أن ألَحّ السيد رياض الصلح، مرةً أخرى، وبقوّة، على إظهار ما سيكون في تقسيم فلسطين، والحلّ الفلسطيني «ضد العرب أو من دونهم» من تكلّف وتعسّف ووهم ومنافاة للعقل السليم ولطبيعة الأمور، فقد استفاض في توصيف لبنان اليوم واستجلائه وإبراز نموذج الحياة السياسية الانتر–طوائفية والانتر–جماعية فيه. على نحو ما ينبغي أن يكون، وما هو فعلاً. لقد كشفت «الأقليات المترابطة» وهي التسمية التي عرّفنا لبنان بها منذ زمن بعيد، وعلى لسان السيد رياض الصلح بالذات،

كشفت عمق وصلابة أخوّتها وتماسكها. إن «إرادة –الحياة» معاً، والتسامح الأقصى، والاحترام الكامل لحرية الضمير وهي أمور طالما شرّفنا بلدنا الصغير بها، لجديرة، بل ومن الواجب أن تطرح على تفكير العالم، أقلّه، لتكون حلاً إنسانياً للمسألة اليهودية في فلسطين.

لقد كانت تصريحات السيد رياض الصلح في باريس الأكثر تعقلاً والأشد ولاءاً واقناعاً. وإنه لمن العدل أن ننضمّ لنصرة هذه التصريحات، مناصرة لا مساومة فيها كونها تدافع عن المبادئ الأساسية التي يناضل بلدنا من أجلها، والتي بها يحيا.

ويبدو أن خطاب السيد رياض الصلح كان له وقع عظيم في نفوس الباريسيين ممّن مثّلو الصحافة الانغلو–أميركية علّهم يستفيدون منه لصالح سياستهم وسياستنا وسياسات جميع الدول العربية والشرق الأوسط.

لربّما آن الأوان حقّاً، كي نسعى إلى وضع حدّ، في الغرب كما عندنا، لجميع العرقيّات وجميع التعصّبات؛ وأن نجهد، قبل كل شيء، ومن أعلى المنابر التي في المنال، لاستبدال الحل الضار المبني على التقسيم في الأرض المقدسة، بحل قائم على الحياة السياسية المشتركة الذي سيكون غنى وانتصاراً للفكر بديل أن يكون الحل الآخر النقيض انكفاءً وبؤساً.

٢٢ تشرين الأول ١٩٤٨

عدوى الاقتداء

لشدّ ما يتناسون أن دولة «إسرائيل» هي قضيّة عرقيّة وطائفية. وإذ نتحدّث عن ذلك، فإننا بالتأكيد لا ننجز اكتشافاً. لكن ينبغي أن نُظهر، أكثر مما أظهرنا، كيف أن الأمم المنتسبة إلى الأمم المتحدة والمسماة ديمقراطية، بدعمها دولةً ذات طبيعة كهذه، أي بمساندتها الدولة اليهودية، فإنما تناقض نفسها.

فمن جهة تدّعي هذه الأمم أنها تود وتسعى من أجل (استقرار) الحياة الدولية، والتعاون، والتسامح وحماية الأقليات، والمساواة المدنيّة، ومن جهة ثانية، فإنها تفعل ما يناقض ذلك تماماً.

عندما تمّت محاربة العرقيّة السياسية والاجتماعية كما حصل خلال الحرب (العالمية) الأخيرة لم يعد من حق أحد أن يكرّس واحدة (من هذه العرقيات) اليوم، وبمثل هذا العنف، لمصلحة اليهود. ناهيك أن مساندة العرقية اليهودية، كما نعتقد، ستكون على المدى البعيد، أسوأ خدمة تؤدى لليهود أنفسهم. فإذا ما تشبّثت أميركا والدول الأخرى برأيها،

فسوف نرى اليهود وقد اشتدّ عليهم الاضطهاد ومحاكم الطرد باتجاه حاضرتهم العرقية التي يسعون إلى خلقها والغير قادرة على استيعابهم، أنها لردة طبيعة هذا مآلها. كما سنرى، بين حين وآخر، ما سيحلّ من بليّة بالشعب المختار، ومن بلبلة في العالم بسبب إسرائيل وتوسّعاتها الاقليمية.

غير ان ما يعنينا إبرازه ههنا، إنما هو انعدام المنطق لدى الديمقراطيين المحترفين الذين هم اليوم المدافعون عن إسرائيل؛ وبإمكانهم الوثوق أننا على صعيد المبادئ ديمقراطيون مثلهم؛ وإن الديمقراطية الآثينية مثلاً، حيّة في ذهننا. ولكننا لا ندرك كيف أن مفهوماً صلباً كمفهوم الديمقراطية جعلهم يبدّلون رأيهم باتجاه العرقية اليهودية وباتجاه الدولة الطائفية اليهودية، كما لو كان الأمر انجازاً.

إنهم لا يتفكّرون بهذي الأمور كما ينبغي. أو هم يجبنون عن مواجهة الحقيقة والعمل لخدمتها ولمساعدتها على تحقيق الغلبة.

لم يعد جائزاً بعد الآن التغافل عن أمر وهو أنّه في التصويت لتقسيم فلسطين، فإن الأمم الموافقة على هذا التقسيم تكون قد صوّتت وبشكلٍ مخزٍ، للدولة الأكثر عرقية والأكثر طائفية في العالم. هذا ما يتظاهر بعدم

رؤيته «الاحرار» وما يوصي به «الديمقراطيون».

اننا لم نقع على أمر فيه مخالفة للمنطق إلى هذا الحد وفيه كذلك مناهضة صارخة للشرعة الرسمية لمنظمة الأمم المتحدة. والأمر الذي لم يجر تحليله بشكل كاف داخل منظمة الأمم المتحدة، هو أن أخطاءً كهذه تجرُّ العُدوى، وإن ما يجري استفزازه إنما هو عرقية حادة بل هو تفجر التعصّب لدى هؤلاء الذي يُكرز لهم، أي اليهود، (وهي كرازة تقوم على الدعوة) إلى رحابة التفكير والتسامح.

فإن كان مسموحاً لاسرائيل أن تعمل ضد العقل نفسه، وضد الحضور الصارخ لليهود في جميع البلدان وفي كل العواصم، وذلك لقيام دولة يهودية عنصرية وطائفية، فلماذا لا يكون ذلك مسموحاً للآخرين. و لِمَ هذا الرياء؟ إننا نتساءل: لماذا يوزن بوزنين، ويكال بمكيالين؟ وبم يُردّ على ما نقول؟

٢٥ تشرين الأول ١٩٤٨

عواقب مكيدة وخطأ

إن الدور الذي قام به شرقيُّ الأردن طوال مسار القضية الفلسطينية سوف لا ينتسى إلى زمن مديد. ونحن لا نتقصّد هنا إجراء جردة حساب لا فائدة منها. فأيّاً كان الوضع، وأيّاً كان موقف الملك عبدالله فإننا لن نقول أي شيء يزيد الوضع سوءاً، ولكن من الطبيعي أن نستخلص من ذلك أمثولةً للعرب.

والظاهر للعيان منذ سبعة أو ثمانية أشهر، وتحديداً قبل الخامس عشر من أيار (تاريخ رحيل الانكليز) أنه من المستحيل ترك فلسطين من دون حكومة. بالمقابل، كان اليهود قد هيأوا منذ أمد بعيد، حكومة متجانسة وقوية. تجاه هؤلاء وفي الجانب العربي، يستمرّ الفراغ حتى يومنا هذا وصولاً إلى حكومة غزة. والآن بالذات، فإن الوضع لا يزال غامضاً والتقصير مستمرّاً وشرقي الأردن يتحمّل المسؤولية عن ذلك.

فلو أنه كانت لفلسطين حكومة عند منتصف أيّار، لتضاءلت نكبة اللاجئين، واجتُنبت مآسٍ أُخر، وهذا أقلّ ما يقال. وإذ رفضوا إقامة حكومة لفلسطين في تلك الهنيهة بالذات، فقد جعلوها بلداً محتلاً، بديل أن تكون بلداً يدافع عن نفسه. إنها لمسؤوليةٌ مرهقة وسيسجّلها التاريخ. لقد تقاسمت دول الجامعة العربية الادارة الفلسطينية فلم يعد لها عملياً أي وجود. هذه أمور ينبغي حقاً أن يتذكّروها في عمّان.

لقد حدث ذلك لأن النوايا لم تكن صافية. لقد كانت فلسطين، في جزء منها على الأقل، مطمعاً للذين كانوا يدّعون العمل لانقاذها.

النتيجة ماثلة أمامنا والقلب ينقبض حقاً لها. «وسوريه الكبرى» التي تحدّثوا عنها في الماضي، هل كان إنشاؤها يكلّف مقدار هذا الثمن؟ إنّ في ذلك ما يدفع على التفكّر حقاً وإلى دعوة العرب كي يتذكّروا الماضي بشكل أدق.

فليس بمثل هذا النوع من الأساليب تُحَلّ المصاعب التي تواجهنا الآن.

٢٧ تشرين الأول ١٩٤٨

هذا العام الجديد

يُطلّ هذا العام الجديد تحت شعار «الهدنة الوهمية». إنها هدنة تفتقر إلى حسن النيّة، هدنة لا يحترمها أحد، هدنة تُستعمل ستاراً لنيل امتيازات على الخصم فظّة مكشوفة أو خفيّة. ذاك هو التعريف لهذه الهنيهة المظلمة (من التاريخ) ليس فقط في الشرق الأدنى الذي يجتاز أزمة حادّة. وإنّما في العالم كلّه.

وتحاول منظمة الأمم المتحدة أن تُخفي وراء طلاء مصطنَعَ انحلال مؤسسة الأمم. ذلك أن الأحداث الأشدَّ خطورة يجري التعتيم عليها والتقليل من أهميتها وحتى تجاهلها. فنكبة الصين الكبرى، على سبيل المثال، ليست بالنسبة للعرّافين (هؤلاء) سوى مجرد حادث عارض بين جملة أحداث. على أنه في شرقنا الأدنى فإن العام ١٩٤٩ قد شهد الحدث الأكثر غرابة والأصعب تفسيراً الذي أثارته الحياة الدولية في الغرب منذ قرون، الا وهو إقامة دولة إسرائيل بالعنف، وتقديم الدعم للعنصرية اليهودية من لدن الأمم الكبرى بدون حدود، وانصياع الأمم الصغرى على قلق واستسلام. أن ما يحدث في هذا المضمار سيكون أبعد مدى وسيستمرُّ تحسُّسه لفترة أطول من التقلبات التي تشهدها الصين. لقد اندمج بالشرق الأدنى عامل بلبلة ذي أبعاد عالمية. فعلى المفصل بين آسيا وأفريقيا ستصبّ اليهودية الكونية المزيد من شغبها ومطامعها وحثالاتها. وفي هذا أسوأ ما كان يمكن أن يرمينا به غربٌ هو بذاته ملغوم بعصيانٍ فكريّ مستمرّ هو عصيان اسرائيل الوراثي. من جهتنا، نحن نشفق على هذا الذي يجري. كما نشفق على أنفسنا أولاً نحن اللبنانيين وعلى كل العرب، وبعدها على اليهود أنفسهم والعالم. ذلك أن السلام المثمر الذي كانت الحياة السياسية المشتركة وحدها قادرة على تأمينه، جعلوه أمراً محالاً لفترة غير محدّدة وآثروا عليه مصيبة لا نهاية لها.

لكن، وفي ما يتخطّى الهدنة الوهميّة، ينبغي التنديد في مطلع هذا العام ١٩٤٩ بالاعتداءات التي تتكاثر مستهدفة الجانب الروحي. إن اضطهاد الايمان في شطر كبير من العالم سوف يضرب الانسانية في أعماقها ويخرجها عن محورها الصحيح. واننا لنتساءل إلى أي مدى سيذهب العنف ضد حماة الألوهة... لقد تداخلت الأمور وأصبحت معقدة بحيث لم يعد بوسعنا أن نعترف بأن للبشر، في حال تُركوا وشأنهم، القدرةَ على انتشال الانسانية من الهاوية. ليست الحرب على الأبواب والهدنة الوهمية ستدوم لزمن. ولسوف تستمر المحنة على هذه الحال زهاء سنتين أو ثلاث. أما بعد، فعندما تعجز الحرية والعدالة أن تدافعا عن نفسيهما إلا باللجوء إلى القوة، في ما يتخطّى القدرات البشرية، فإننا جميعاً سنكون عندها بين يدي الله.

٤ كانون الثاني ١٩٤٩

تفكّرات حول الدولة اليهوديّة

إن الدعم المتزامن، وغير المشروط الذي تقدّمه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لدولة إسرائيل هو أشبه باللغز ... فمنذ نهاية الحرب (العالمية الثانية) لم نرَ الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة متفقين على أي أمر مهما كانت أهميّته، سوى هذا الأمر. وفي ذلك، بحسب المنطق

الفطري السليم، جهة مخدوعة في هذه القضية... ولكن لا بدّ من الأخذ في الحسبان تأثير اليهود في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. كما ينبغي حسبان وسائل الضغط التي تمارسها إسرائيل.

فالماركسية وصراع الطبقات هما من أصول يهودية. ومن جهة ثانية ثمة أربعة ملايين يهودي يقطنون ولاية نيويورك. ولهذا نرى قضية فلسطين تتطور على خلاف ما يقتضيه المنطق الفكري السليم.

منذ ستة أشهر حصل اليهود على ما كانوا يرغبون فيه من متطوّعين ومن أسلحة. وأما الذي يقصفون غزة بالقنابل فهم طيارون أميركيون وأوربيون. إنه لوجه مدهش من وجوه التناقض الذي أوقع الغربُ ذاته فيه.

إن نقطة الانطلاق للدعم المعطى لاسرائيل هو شعور إنسانيّ بالرحمة إزاء اليهود المضطَّهَدين. وكانت النتيجة هذه المجزرة وهذه الضغينة؛ بل هي هذا الجنون لمنح حدود بالقوّة لعرقٍ مشرّد، عرق مشرّد بطبيعته، بل أكثر الشعوب عرقيّة في الأرض على كونه، نال في كافة البلدان حق المواطنة. لكن لا بدّ من التساؤل للمرة الألف، كيف ستحلّ المعضلة عندما يتمركز في دولة إسرائيل مليونان أو ثلاثة ملايين يهودي إن شئت. في تلك الحال، سيكون هناك أيضاً، خمسة عشر مليون يهودي عبر العالم، يضاف إليهم الطابور الخامس «الاسرائيلي» المنتشر في كل أنحاء

المعمورة بما يتخطّى كل ما عرف حول هذا الأمر حيثما كان. في هذا الوقت، ستزداد الضغوط التي لا تُحتمل على الدول العربية وهي ضغوط سوف تكتسي أشكالاً لا حصر لها مما يستدعي، بشكل دائم، التيقّظ والدفاع المشروع عن النفس. أما العقبى وهي دائماً مفجعة، فسوف نقدّرها بالاستناد إلى ما نعلم وما نرى. لكن يتهيأ لنا أن دول الغرب الكبرى قد قطعت على نفسها عهداً بأن تكتفي بما تيسَّر لديها؛ وأَضحت سياستها سياسة تحايلٍ وعندما نستسلم لواقع الاحتيالات، يكون انقيادنا للظلم أسهل.

وعليه، فإن الشرق الأدنى بفقدانه توازنه، أصبح الآن خطيئة في عنق الأمم. إن منظمة الأمم المتحدة، بكامل أجهزتها، وهي المؤسسة العالمية العاملة زوراً لخدمة السلام، لم تعتمد في مقاربتها القضية الفلسطينية، إلا أخطر الأساليب لتعكير صفو شعوبٍ مسالمة كانت تعيش من قبل حياةً غير مستقرّة.

حسبنا الآن أن ننتظر ريثما تنعقد اللجنة وتبدأ عملها حيث أنيط بكل من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا إيجاد حل مؤقت لمآسي الأرض المقدسة. وليس من أقل مستغربات هذا الزمان أن يُحتكم في حسم النزاع القائم بين العرب واليهود الى الأميركيين والفرنسيين والأتراك هذي المرة، لأن الهوى الدولي يؤدي إلى كل أمر عجيب.

لربما رأينا الوجدان السياسي يستفيق لدى الذين أوصلونا إلى ما نحن عليه. ولو أن بارقاً من الحكمة لاح واستجابوا له، فأين هي القوة التي بها سيواجهون العنف الذي جعل الحقّ يختلج وهو على الرمق الأخير.

ومهما يكن، فلنثق في هذه النكبة، بالذين تمسّكوا رغم لامبالاة الأمم، بتقاليدهم فظلوا أشد تحسّساً لمصير الأماكن المقدّسة. إذ بهم يستطيع الغرب أن يثبت أنه لم يمت بعد.

٦ كانون الثاني ١٩٤٩

على هامش مناقشة في مجلس العموم

يبتغي الانكليز، بكافة أحزابهم، أن يستقرّ اليهود في فلسطين. ولكن ضمن حدود معيّنة.

ويبتغون أن يكونوا واليهود على تفاهم، على ألاّ تسوء علاقتهم بالعرب.

فهم منذ ثلاثين عاماً يعتمدون كافة الوسائل لإسكانهم (في فلسطين) ويودّون أن يكون العرب راضين.

تلك مجموعة مواقف صعبة ومتأرجحة يصعب، بل يستحيل الثبات عليها. ولن تفيد الشروحات في توضيح هذا الكم من المواقف الغامضة والانحرافات.

لا يريد الانكليز أن يستوطن اليهود غزة وكذلك العقبة، غير أنهم لا يرون ضيراً في أن يمنحوهم كل الجليل إذا أمكن. ولا ترى حكومة صاحب الجلالة في تركيبة شرق الأردن سوى طريقة لتأمين حضورها الفعّال لدى الآخرين. وكل ما تريده انكلترا الآن هو أن لا يُلحق الحضور اليهوديّ ضرراً خطيراً بالوجود البريطاني في الشرق الأدنى.

لقد نوّهنا مئة مرة بما يجول في خاطرنا حول دور انكلترا المركزيّ في العالم. ولمَ لا نعيد القول: بأن الانكليز هم معقل حضارة. وما برحوا، بالرغم مما حلّ بهم من مصائب متعددة، الأساس لنظام عالمي ولتوازن كافٍ على هذه الأرض. فهم يتكلمون لغة يفهمها نصف سكان الأرض، ويمارسون أنظمة تخولهم الحق بامتلاك القدرة والعظمة. إن عرقهم هو بالتأكيد عرق ذي كِبَر. ولديهم من التفوّق في الدهاء ما يمنحهم قوّة الروح والطبع في آن. وهم، في الامبراطوريّات الجبّارة الحديثة، عنصر أساسي من امبراطورية الغرب القديمة التي صاغت شكل الحضارة الأوربيّة وما نشأ منها.

إن الانكليز هم، من دون ريب كل هذا (أو أنهم من عمل كل هذا). وليس في وسع العالم العربي (ولا في وسع أوربا) أن يتجاهل احتمال تعرّضه للاستعباد أو للضياع إذا ما مُنيت انكلترا بمزيد من الضعف. هذا كلام فيه من المألفة synthèse والموضوعيّة والصدق. إنه كلام حق بالتأكيد. لكن إذا شئنا الظهور بمظهر الأنانية، (وعادة ما يجد المرء نفسه، مهما كانت رحابة صدره، مدفوعاً إلى نوع من الأنانيّة المحرّمة) فعلينا

الإقرار بأن الانكليز قلّما يحفلون بالوسائل التي يستخدمون، وأنهم إذ يخدمون غاياتهم، فإنهم يجازفون بسحق الحقوق.

لقد وجّه السيد تشرشل كلاماً قاسياً إلى السيد بيفن إذ عاب عليه «زجّ إنكلترا في سوء تفاهم مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ومع جوالي المستوطنين اليهود في فلسطين وأصدقائهم في المعمور» من دون عمل أي شيء قادر على إرضاء العرب.

نحن نعتبر، مع كل تقديرنا والاحترام الواجب للسيد تشرشل، أن المحافظين، لو كانوا في السلطة، لذهبوا أبعد من «العمّال» في تأييدهم لإسرائيل.

إن إسرائيل قوة قادرة على تغيير مواقف القوى العظمى. وإن «أصدقاء المستوطنين الفلسطينيين (من اليهود) في العالم» على حد التعبير الملطف للسيد تشرشل، هم في الأساس خمسة عشر مليون يهودي من جميع الجنسيات. وإننا لنستغرب كيف أن السيد تشرشل لم يستغرب ولو للحظة، إذ يرى الشعب المختار وقد استبسل في دعمه السيد ترومان والسيد ستالين في آن واحد.

وحينما يتمركز مليونا يهودي في دولة إسرائيل، فسيستأنف الحديث بدون شك، عن أراضي الجنوب الفلسطيني كما عن أراضي الشرق والشمال.

لن ينقضي زمن مديد، إلا وتضحي انكلترا هدفاً لضغط متزايد في

الشرق الأدنى من قبل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة (معاً أو مداولة) وذلك عن طريق إسرائيل. وسيؤاتي الحظ السيد ويزمان والسيد بن غوريون، والسيد شرتوك لاستخدام هذه الصداقة المزدوجة والمتناقضة لنيل منافع جديدة على حساب انكلترا.

وإذ تحسب انكلترا بأنها، في هذه القضيّة الخطرة، إنما هي تدافع عن توازنها «الامبراطوري» فإنها جعلت توازن بلدان عديدة، صديقة لها، مزعزعة ومشكوكاً فيها. فلنأمل أن تخرج من هذه الورطة على الاّ تكون سبباً لخسارتنا.

ان الجار الخطر الذي زفّته انكلترا إلى البلدان العربية، ثم زفّته إلى نفسها معهنّ، على العتبة الغربية لآسيا لكفيل لوحده بتحريك الثورة والحرب.

«إن أحد الأهداف المحدّدة للسياسة الانكليزية في المشرق، بحسب قول السيد بيفن، هو المحافظة على الأمن والاستقرار في هذه المنطقة من العالم ولن تحيد البتّة عن هذا الهدف».

ها هو الواقع يؤكد أنه لا يكفي أن تكون لدينا «الإرادة» بل ينبغي أن تكون لدينا «القدرة» أيضاً.

٢٨ كانون الثاني ١٩٤٩

مواعظ الأحد

لقد أوصى مجلس الأمن، في شبه إجماع، بقبول إسرائيل في منظمة الأمم المتحدة، قبل أن يتقرّر مصير القدس والناصرة، وقبل أن يولي المجلس اهتماماً بقضيتي ايطاليا واسبانيا مثلاً. فليبرّح الانتظار ببلد دانتي وبلد شارل الخامس. أما اسرائيل فلا تطيق الانتظار. وما ان يطرح موضوع إسرائيل حتى ترى الأمم وقد أصابتها غيرة الحميّة.

أما اللاجئون العرب فقلّما يُحفل بهم أيضاً. وأقصى ما يطرحونه بشأنهم هو المال، وهو مال، تعود الأمم بدورها فتمنحه لاسرائيل. إنه لعجيب حقاً أن يدّعي أسياد الرِّبا في الكون، بأنهم قادرون، أخيراً، على حلّ قضيّة اللاجئين العرب المفجعة بمال مُعار!

إنما تبدو حكومات العالم الكبرى، أشدَّ اهتماماً بخدمة إسرائيل منها بخدمة العدالة. أيكون غير هذا ما دام لليهودية تمثيل واسع في قلب الحكومات والبرلمانات! وهل تتصوّر أن وزراء يهوداً في الولايات المتحدة أو انكلترا، أو فرنسا، يمكن أن يتّخذوا بارتياح قراراً ضد اسرائيل؟ لقد أضحى وضع اليهود في العالم أشبه ما يكون بوضع الشيوعيّين. فعمّا قريب سيطرح التساؤل حيثما كان إذا لم يكن اليهود بالنسبة إلى دولة إسرائيل (ومطامح إسرائيل) ما هم عليه الشيوعيون بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي. وفي هذا يكمن أحد المخاطر المحيقة بالدولة

الجديدة اليهو–عرقيّة. فلطالما كتبنا عن خطر تحوّلها بسرعةٍ إلى عامل ارتيابٍ لدى أهل الأرض. لكن علينا الأخذ في الاعتبار فطنة هذا الشعب الذي لديه رصيد من حدّة الذهن يلامس العبقرية. في حين أن السياسة اليهوديّة تعاني من نقائص على الصعيد النفسي.

ومع هذا فلا بد من إبداء التقدير لأداء السيد شرتوك Shertok[1] وأصدقائه. لقد ناوروا بشكل ملفت داخل الجماعة اليهودية التي، رغم طابعها الدولي، بدت على كمال ثباتها والتنظيم. أما نحن، فلطالما فرّقنا بين حقوق إسرائيل الشرعيّة وسياسة إسرائيل. (نعني هنا بلفظة إسرائيل اليهود وليس، بأي حال، الدولة المتحفّزة التي خلقوها). وبدا لنا، على الدوام، أن مستقبلهم في الشرق، وحيثما كان، لن يكون بتلفيق دولة دينيّة عرقيّة هي من أشدّ الدول انغلاقاً وتزمّتاً و«مراعاة للطقوس» على هذا الكوكب، حيث يختلط القانون المدني بالقانون الديني اختلاطاً يكاد لا ينفصم.

ولِمَ لا نتذكّر ههنا مغزى عظة (يسوع) على الجبل؟ «سمعتم أنه قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك... وسمعتم أنه قيل: العين بالعين والسنّ بالسنّ... أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وصلّوا من أجل مضطّهديكم...»[2]. عند جيراننا «الاسرائيليّين» ما برحت شريعة موسى على حالها: متزمتة وعصيّة على أي تغيير كما كانت زمن موسى.

(١) Moshé Shertok: أحد زعماء حزب العمل الإسرائيلي وعضو في الحكومة الاسرائيليّة المؤقتة سنة ١٩٤٨. كان بين خمسة من زعماء الحزب الذين اقترحوا انتخاب حاييم وايزمان رئيساً للدولة (١٧ أيار ١٩٤٨).

(٢) إنجيل متى (الفصل الخامس. الآيات ٤٣، ٣٨، و٤٤).

وبديهي أنّنا لا نجادل بشأنها على الصعيد الديني بل من حيث هي عامل سياسيّ واجتماعيّ.

ومهما يكن، فإن إسرائيل ترقى صُعُداً في خط عامودي وكأنما الكون حولها أصيب بالعمى. فعسى أن لا يحمل غد المغامرة (بقيام إسرائيل وصعودها) كل مبررات توجّساتنا وحسراتنا وذلك لصالح الإنسانية كلّها، بمن فيها اليهود أنفسهم!

٦ آذار ١٩٤٩

مستقبل إسرائيل

قرن جديد بدأ بمولد إسرائيل السياسي.

هذا الحدث سيتخطّى في أهميته التاريخية تكوين أوربا الغربية وتوقيع الحلف الأطلسي. فلقد أبصرت قوة عالمية النور و لم يكن يعوزها سوى الرأس والسيادة الوطنية.

الآن إسرائيل هي دولة ذات سيادة، أي أن ستة عشر مليون يهودي، وقد نُثروا في العالم هنا وثمة، وجدوا لهم فجأة ميناء القيد الذي به يرتبطون. ان أرباب رجال الأعمال والبورصة سيكون لهم جواز سفرهم وحقائبهم الديبلوماسية الخاصة. ستة عشر مليون يهودي رجعوا عوداً

على بدء، أي إلى كونهم هذا الشعب المتعلّق بالتوراة والمتمسّك بعناد بأنه الشعب «المختار» والمدفوع بمطامحه إلى حدود الأمل بحكم العالم كله.

إذ نقول ذلك عن إسرائيل ففي قولنا تكريم لها. فنحن نولي الفضل لمن يستحقّه. وليس في ما نكتبه للقارئ سخط ونقمة، إنما هي سلسلة تفكّرات في الحقيقة واليقين. ليس من ينكر على اليهود ذكاءهم وحدّة ذهنهم. إن كفاءتهم في مجال العلوم معروفة والسلاح الذرّي بالذات لم يكن غريباً عنهم. أما فن الاثراء فقد حذقوه حتى درجاته العليا. وعرفوا بالتضامن في ما بينهم وقد تجلّى ذلك في جميع العواصم، إذ هم لا يطيقون العيش خارج العواصم ؛ وبسبب ازدرائهم للوظائف المرؤوسة، فقد اتجهوا نحو المهن الحرة والسياسة ودفعوا أنفسهم إلى الطليعة. وإذا عرفتْ المناطق الزراعية بفلسطين تقدّماً على أيديهم، فعنايتهم بها مؤقتة، لأن الزراعة كما يعرفونها ويمارسونها ليست صنعتهم. فليس من دأب إسرائيل إنتاج الحبوب والشمندر. فهذا عمل يمكن أن يقوم به أكثر الناس تخلّفاً وسذاجة. إنما أقيمت إسرائيل من أجل ممارسة السلطان ومن أجل إدارة المال بكافة علاماته، وأخيراً من أجل الثورة التي ترسخ لها المُلك. نقول الثورة، لأنه بعد كل ثورة، بل بأكثر من واحدة، تُدمِّر حضارة وتحققُ إسرائيلُ لنفسها النصر.

هل ينبغي التذكير أننا نحن ههنا الجيران المباشرون لهذه «الاسرائيل» العجيبة. لقد نمت على حدودنا نمّو زهرة مسخ، وعلى قاب قوسين منا سيزدهر حقل اختبارها في الظلّ أو تحت نور الشمس.

إنَّ لدينا كل الأسباب التي تجعلنا نقلق من المستقبل وأن نرى ما لا يراه الآخرون أبداً.

فلنتتبّع هذا المشروع التاريخي (مشروع قيام إسرائيل) بانتباه لا يعرف الكلل، ولنعملْ جاهدين حتى لا يطموَ الغَمْرُ بنا.

٢٥ آذار ١٩٤٩

أشكال السياسة الخارجيّة لاسرائيل

لا تريد إسرائيل أن يتسلّح جيرانها في حين أنها هي مدجّجة بالسلاح.

وتحتج إسرائيل على الوسيط رالف بانش لأنه أوصى بأنّ الدول العربية، شأنها شأن إسرائيل، يمكنها شراء السلاح بموجب الحق العام، وهو حق علّقته بشأنهم منظمة الأمم المتحدة منذ عام ونيّف.

فمن جهة، يتمنّى الغرب أن تشتدّ شوكة الدول العربية عسكرياً تفادياً

لمخاطر حرب عالميّة، ومن جهة أخرى يمارس اليهود الدسائس كيما تظل هذي البلدان جد ضعيفة خشاة أن تشهر الحرب على إسرائيل.

حول هذه النقطة المحدّدة، والبالغة الأهمية يظهر التناقض ما بين مصالح الغرب ومصالح إسرائيل. ولسوف تبرز، ولا شك، تناقضات أخرى من هذه النقطة بالذات بمقدار ما تشرع إسرائيل في ممارسة دور العامل المناضل في الحياة الدولية. وعندها سوف تتساءل أميركا، بعد سذاجة طال أمدها، أيَّ مسخٍ سياسيّ حملته في دفء أحشائها.

أما الآن، فيقضي أمن العالم بأن تكون البلدان العربية قويّة بما فيه الكفاية، ليكون دفاعها عن نفسها فعّالاً، في حين يقضي أمن إسرائيل (بحسب ما تراه حكومة تل أبيب) أن تظلَّ الدول العربية منزوعة السلاح. ولسوف ينجم عن هذا النزاع المزمن مصاعب لا تحصى.

من المؤكّد أن منظورات إسرائيل السياسية البعيدة المدى تتجاوز الغرب والاتحاد السوفياتي. فلكي يصل العالم اليهودي إلى تحقيق غاياته فهو يخدم القوّتين العالميتين في وقت واحد، أو هو يقف منهما موقف المتقلّب في تحالفاته.

وتذهب إسرائيل، على صعيد السياسة اليهودية، إلى ما يتخطّى حلف الأطلسي والكومينفورم [1] Kominform على ما يشبه نيتشه حين يذهب «إلى ما يجاوز الخير والشر».

(١) معناه «مكتب الاعلام للاحزاب الشيوعية والعمّالية» وهي تسمية حلّت محل لفظة Komintern بمعنى الأممية الشيوعية. ألغي هذا المكتب عام ١٩٥٦.

هذا ما لا يريد الغرب أن يراه حتى الان وهو ما يراه الاتحاد السوفياتي الأكثر مرونة، بوضوح تام. وحده الموقف الهجين لإسرائيل يفسّر أن أميركا والاتحاد السوفياتي قدّما لها منذ البداية، وفي الوقت عينه، دعمهما لأن إسرائيل تمركزت في المعسكرين وهي تحمل ذات الشعور من الاستبشار.

إذن، ها هم اليهود يناورون كي لا يتسلّح العرب؛ وكيف يمكن الوصول إلى الفرات يوماً إذا ما أصبح العرب الأكثر قوّة؟ وعليه، ينبغي الاستنتاج وبكل دقّة، أن مصلحة إسرائيل تقضي بأن تغذي لدى العرب، وبشكل دائم، (حالة) الضعف العسكري، بالاضافة إلى عوامل الضعف الداخلي والخلل السياسيّ والاجتماعي، فالقوم يتسلّحون أخلاقياً وسياسياً كما يتسلّحون عسكرياً.

لسنا على يقين من أن الحكومات العربية تدرك ذلك ونوّد أن نكون مخطئين في زعمنا هذا. وأولى الحكومات التي نودّ أن نراها متيقّظة هي حكومتنا. وبالقدر ذاته، من دون شك، حكومة دمشق وقد بدا أنها شديدة الحذر على الصعيد العسكري.

فنحن، الساعين إلى العيش في ألفة مع المنطق والأحداث، ندرك جيّداً أن البلدان العربية لا يمكنها المجازفة بسياسة غير محسوبة. سياسة فرض النفوذ وادّعاء القدرة على التسلّح كدولة كبرى. ان في ذلك ما يتعذّر

بلوغه. ومع ذلك، فإننا نرى أنه لا بدّ من امتلاك حدّ أدنى من القوة لدرء الخطر عنها في أقل الاحتمالات.

لكن، من المؤكد، أن قوة الأمم لا تتأتى مما في حوزتها من آلات الحرب فحسب: وإنما نلقاها أيضاً وفوق ذلك، في ما تنتهج من سياسة وتحالفات.

فمن له أذنان سامعتان فليسمع: كما ان اسرائيل لا تريدنا مسلّحين، فإسرائيل تريدنا وقد أصابنا الوهن في كل شيء، أي أن ترانا من دون حلفاء ومحكومين بأسوأ الساسة.

وعليه لو كان الأمر متعلّقاً بإسرائيل دون سواها، لما أمكن البلدان العربية بأجمعها أن تتقدم خطوة واحدة إلا فوق حقول من الألغام.

٦ آب ١٩٤٩

خطابات أردنية

يصرّح الملك عبدالله خلال جولاته في الأردن أنّه يعمل «من أجل الوحدة العربية»!. ومن أجل هذا، ولا شك، تخاذلت قوّاته في الدفاع عن نقاطٍ حيويّة كاللد والرملة خلال حرب فلسطين. ومن أجل هذا أيضاً وأيضاً وبفعل «ارتياحه لمشروع تقسيم فلسطين، فقد أوقف قواته على

بعد تسعة كيلومترات من تل أبيب، منقذاً اسرائيل ومتخلياً عن بقية العرب»
(جاك نانته)[1].

إن مفردات اللغة الأردنية تتناقض مع غيرها من المفردات بحيث تثير شكوكاً لا حدود لها. فبعد مآثره الباهرة، ها هو ملك الأردن ينزع عن شركائه في الجامعة العربية ذاكرة ليس لديهم منها إلا القليل. وبالتالي، هل ينبغي التذكير في كل مرة يسنح لنا الظرف، كم هو الفارق كبير، بين الكلام والحقائق في السياسة الأردنية.

حقاً، ان أولى نتائج المطامح الأردنية تجسّدت في تفكيك مؤكّد للمحيط العربي. وطبيعيٌّ أن يبقى ذلك في الذاكرة، في دمشق وفي القاهرة، وفي ما هو أبعد منهما.

إنه من السهل أن يعلن ملك الأردن الآن أن لاجئي فلسطين هم اخوتنا. ولكن كان بمستطاع الأردن أن يكون أكثر أخوّة لهم لو مارس حدّاً من المقاومة العادية التي كانت أتاحت للعديدين منهم البقاء في منازلهم.

فإذا لم نأخذ بالاعتبار إلا هذا النوع من الخُطب فإن التاريخ سيُكتب حتماً بالمقلوب. فالعرب من الذين يتوجّه إليهم ملك الأردن، خارج مملكته، يقلل جلالته، إلى حد كبير، من قدرهم، ان في روحهم النقدية أم

(١) J. NANTET, dans: Vie intellectuelle, octobre 1949.

في ذكائهم. ولكن العرب لن يكونوا مخدوعين بما يُروى لهم وهو مناقض تماماً للأحداث والوقائع المؤكّدة.

إن الوحدة العربية، كما يريدها الملك عبدالله، لا يمكن أن تكون إلا وحدة هاشمية بحسب التعابير العزيزة على السلالة (الهاشمية). ويتراءى لنا أن وحدة كهذه، مهما كانت نقطة انطلاقتها، لن تكون شيئاً آخر سوى الوحدة في التبعيّة والبؤس.

فليست مصر، ولا العربية السعودية من يسمح بتمرير لعبة كهذه؛ فكم بالحري سورية وهي المعنيّة الأولى والهدف الرئيسي للصراع.

عندما تصبح «الوحدة العربية» ناضجة ولا بد من مواجهتها، فإنها لن تتقدم إلا على أسس منطقيّة وعقلانيّة.

١٠ تشرين الثاني ١٩٤٩

لم يبقَ ثمّة أرض مقدّسة

ها إن الوضع الدولي المتوقّع للقدس يفقد إلى حد كبير فرصته المؤاتية.

ومخافة ألاّ يؤمنّوا أكثرية الثلثين المطلوبة في الأمم المتحدة، فقد سارعت كل من هولندا والسويد إلى التسليم بتدويل الأماكن المقدسة بحصر المعنى، أي بخفض الوجود الدولي في الأرض المقدسة إلى الحدّ الأدنى.

فمنذ عهد قريب كانوا يتحدّثون عن أرض مقدّسة؛ أما اليوم فإنهم لا يتحدثون إلا عن أماكن مقدّسة. والأماكن المقدسة نفسها تتقلّص كل يوم لسببين: تنازُل حماتها الطبيعيّين عنها، وقضمها من جانب إسرائيل.

«لا صهيونيّة من دون صهيون» هذا ما يُستنتج أكثر فأكثر إزاء ظهور الحق المبين. فالضغط اليهوديّ على الحكومات لا يلين حيناً إلا ليعود فيشتدّ أكثر.

إنه لعجيب حقاً أن يقتضي إنقاذ القدس أصوات ثلثي الأمم في حين لا يقتضي التنازل عنها مثل هذه الأكثرية المهيبة. تلك هي الآلية الغريبة التي تُملي شرعة الأمم في مجال رهانُه الايمان أولاً وأخيراً. تلك هي مفارقة الساعة. وها أن «الغرب» كله ومعظم البلدان العربية مجتمعة تبدو عاجزة عن انتشال القدس من مصيبتها. وثمة أصوات غير مبالية تحبط مساعي فرنسا وانكلترا وحتى الولايات المتحدة وقسم كبير من أميركا اللاتينية. وطبيعيٌّ أن يكون الاتحاد السوفياتي وزبائنه في الجهة الأخرى. فلو أمكنهم أن يهدموا كلياً أعزّ رمز دينيّ في الكون لما تغيّر مسعاهم. فمنذ البدء، وقف الاتحاد السوفياتي بحماس وعناد إلى جانب إسرائيل؛ لكأنه يفعل ذلك احياءً لذكرى كارل ماركس وبعض الآخرين.

خلاص القدس يجب أن يتم بالقوّة. فكلّما كانت القوة بجانب إسرائيل سارعوا للخضوع لها. ولكن ما الذي تفعله بلدان عديدة ارتهنت لمصير القدس؟ وفي أي تخلٍّ سقطت المدينة المقدسة؟ ان صوتاً واحداً ملحداً أو وثنياً بين الأمم لقادر على تقرير مصيرها.

ها نحن نرى هولندا واسوج، بلدا المسيحيين، يتراجعان سراعاً ويقترحان تسوية باهتة بديل إشهار الحرب. مع أن أحدهما يحمل في ضميره الذكرى الدامية للكونت برنادوت وطيفه الذي لم يثأر له أحد؛ في حين يحمل البلد الآخر إرث قرون من ركوب البحار والشجاعة في استغلال خيرات المستعمرات، كما يحمل أيضاً ارث قرون عاشها في الايمان.

ان اتساع هزيمة الأمم أشبه باتساع المكيدة التي نالت منهنّ. فهي تمثّل تراجعاً غير مسبوق للقوى الخُلُقيَّة في مشهدٍ حزين أمام نظر العالم.

ونحن نضيف أن السلام بالذات هو في خطر. فلو كانت الأمم المتحدة تولّت حكم القدس، لغدا ذلك بمثابة سور لها، في حين أن ممارسة السلطة على بعض المباني (فيها) هي أقرب لمن يأوي إلى ملجأ أو يكاد.

ان المسيحية والاسلام في الأرض المقدسة يتهاونان بحيث يعاملان معاملةً الفارّين. إن في ذلك ما يثير الاشفاق حقاً.

٦ كانون الأول ١٩٤٩

مصير القدس

لم يعد الاتحاد السوفياتي راغباً في تدويل القدس. أعجب به من تحوّل غريب.

إن ألاعيب السياسة والحظ لا حد لها، ولكنه مشهد محزن أن نرى السياسة تتلاعب بقضية تتعلّق في الدرجة الأولى، بالشعور الديني وبضمير المؤمنين.

كيف يمكن تسليم القدس، المدينة المثلثّة التقديس، والمقسّمة إلى شطرين، وفي الظروف التي نحن فيها، كيف يمكن تسليمها إلى أولئك الطامحين إلى الاستيلاء، كل من جهته، على المدينة بكاملها؟

ما تقوله موسكو هو أن التدويل لا يرضي العرب أبداً كما اليهود. ولكنه يرضي المسيحية والاسلام؛ فهل أصبح هذا القول غريباً إلى هذا الحد عن الارثوذكسية؟ الواقع أن الأمر يطرح من هذه الزاوية. وما يجري النقاش بشأنه إنما هو حرية أسمى مكان للحج في الدنيا، وسلامتُه.

يبتغي اليهود الاستئثار وحدهم بالمدينة. والأردن، الذي لا يهدف إلاّ إلى التوسّع، بكافة الوسائل، يودّ الاستئثار بها أيضاً لوحده. إن تقسيم (المدينة) بالنسبة لإسرائيل والأردن ليس سوى حلّ مؤقّت. ولكن الأمم،

غالبية الأمم، وجماعة المؤمنين لا يمكنها أن تكون غير مبالية بمصير القدس.

إن في تدويل القدس إرضاءً لأربعين دولة بديل إرضاء دولتين من أصغر الدول. هذا ما لايريد الاتحاد السوفياتي أن يراه أبداً. وما من شك في أن اتجاه سياسته قد تبدّل وهو يتلهّى إذ يعمد إلى مناوأة فئة، واسترضاء أخرى تبعاً لمسار الأحداث.

ومهما يكن فإن موضوع الرهان هو القدس، أحد أكثر الأماكن شموخاً في العالم، والمدينة التي ولدت فيها الحضارة التي يحيا بها قسم مؤثر من الانسانية. والغرب، هل سيتمالك نفسه؟ أم سيتصرّف؟ أم سيخضع؟

قد يكون الاتحاد السوفياتي عدّل موقفه كي لا يكون بجانب المغلوبين. وإن صح ذلك، ففي الوضع إنذار بالخطر. وعندها، لا بد من الأخذ في الاعتبار أن إسرائيل، مسنودةً من حماتها المألوفين، قد ضمنت لنفسها مخرج الخلاص. ولكن يجب ألاّ نيأس. أما إذا تحوّلت الأمم التي تؤيد التدويل وتخلت عن دورها، فينبغي عند ذاك التسليم بأن الروح الغربي قد انهار وبأن آفة العجز تصيب الغرب والشرق في آن.

٢١ نيسان ١٩٥٠

جار شرّير

تتكاثر التعدّيات الاسرائيلية. إنها وليدة وضع ذهنيّ قد يؤدي إلى أسوأ العواقب.

تريد إسرائيل أن ترهب جيرانها. وتستزيد إسرائيل في تسلّحها حتى أضحت الأرض الاسرائيلية معسكراً رهيباً محصّناً. ومن المؤكد أن هذا (الوضع) لا ينبئ بشيء طيّب.

بالنسبة إلى لبنان، لن نعجب إذا أبدينا مخاوف من جهة إسرائيل أكثر من مخاوفنا إزاء كوريا. إنما الاسرائيليون يهاجمون السوريين يوماً والمصريين يوماً آخر. لقد لذّ لهم طعم الحرب. وها هي أرض الاسباط الاثني عشر، المعروفة في سالف الزمان، والتي بها يطمعون، تعرض عليهم كأنها طعم. لا نقصد أنهم سيطلقون المدفع غداً. ولكن هذا الأمر جزء من رؤاهم المستقبلية.

منذ سنوات، ونحن نُظهر إسرائيل على حقيقتها؛ ومنذ سنوات ونحن نشتكي الخطر الكبير الذي يتّسع على حدودنا. فإن نحن لم نحترز، وإذا لم يكن رد فعلنا كما ينبغي أن يكون، علينا أن ننتظر من جانب تل أبيب مفاجآت غير سارة.

إن اسرائيل تنظر إلى الوضع الدولي من زاوية مصالحها وحسب، أي من زاوية المصالح اليهودية البحتة. ولا ضير، في نظر إسرائيل إن هلك الكون، كله، شريطة أن تخرج مملكة داود منتصرة. إن هذا في نظر إسرائيل مفهوم وراثي (اثني) لكل سياسة؛ إنه مفهوم رهيب.

إن الناس الطيبين، الذين كانوا يعتقدون بأن اسرائيل يمكنها، بهذا، ان تمثّل دولة أمن ونظام، قد تبدّدت أوهامهم. فثمة خميرة حقد ونزاع في خدمة مطامح لا تُحدّ. وثمة مشروعات سريّة وشرّيرة قادرة على تهديد السلام وتدميره إلى فترة مديدة.

ومهما يكن، فالكل يوافق على أننا نحن اللبنانيين مهما كنا مسالمين وضعفاء، مساحةً وعدداً، فإننا مجبرون على التسلّح والبقاء في وضع الاحتراس الدائم. فقد تتجدد الغارة المشؤومة التي شنّت على الطائرة المدنية منذ فترة فأوقعت ضحايا وسنجد أنفسنا مجبرين على الدفاع عن أنفسنا.

جميع بلدان الجامعة العربية هي الآن في الوضع ذاته. فهل هذا ما كانت تعمل له الولايات المتحدة في الشرق الأدنى؟

٢٩ تموز ١٩٥٠

كوريا وفلسطين

ها قد انقضى أكثر من ستة أشهر على عدوان كوريا. والأسباب التي حدت بالأمم المتحدة على إرسال قوات إلى هذا البلد ما برحت كلها قائمة.

بالتأكيد، فإنه من دون الولايات المتحدة لما كان ذهب أحد إلى هناك. ولكن لم يعد مفر لهيئة الأمم المتحدة من إتمام واجبها بعد أن اشتبكت الولايات المتحدة مع العدو.

إن تقلّبات الزمن والمآسي لم تغيّر شيئاً من جوهر الأمور. فلو أن عدوان كوريا الشمالية لم يواجه بتدخل من جانب الأمم المتحدة، لكان ذلك بمثابة نكبة خلقية للمنظمة الدولية وللولايات المتحدة في آن. أكثر من ذلك، لكان الغرب بأسره قد سفح ماء وجهه في آسيا وفي العالم.

الأمم المتحدة ذهبت إذن إلى كوريا. وهناك دارت عليها الدوائر بعد انتصارات غير متوقعة. وهي قد انسحبت إلى جنوب خط العرض الثامن والثلاثين بانتظار تدبّر الأمور. لقد ناضلت من أجل الحق وإن لم تبلغ به الظفر الكامل. إنه نصر مبين ينبغي التوكيد عليه في كل مناسبة. فعلى المنظمة، كما على الأفراد تنطبق القاعدة الخلقية الأكثر ثباتاً وشيوعاً: «إفعل ما ينبغي، وليكن ما سوف يكون».

لئن كان موقف الأمم المتحدة عرضة للنقد في موضوع كوريا بسبب ضعفها المادي بإزاء الصين، فليس الأمر كذلك بالنسبة للتخلّف الخلقي.

وهو ما حصل نقيضه تماماً في حرب فلسطين. إذ كانت القوة بحوزتها و لم تفعل شيئاً من أجل الحق.

على عتبة العام الجديد تنام في إدراج لجان (المنظمة) أخطر القضايا الفلسطينية، والأماكن المقدسة تعالج وكأنها ممتلكات لا وريث لها. وعليه، يمكن الكلام عن إفلاس الأمم المتّحدة في فلسطين. ولكن مثل هذا الكلام لا يصح إطلاقه على وضع كوريا. وإذا شئنا الانصاف، لا بدّ من ملاحظة مُرّة مؤداها: لقد كانت المصلحة وكان الحق، في كوريا، من جانب واحد؛ أما في فلسطين فقد جرى اعتماد المصلحة في مواجهة الحق. لم يعد بدّ من قول هذي الأمور لأنه لا بدّ من قول الحقيقة.

مغزى ذلك، إن الغلبة لم تكن للحق على القوة، وهيهات! لقد أعرب رئيس الولايات المتحدة عن تمنياته في أن يكون العام الآتي عاماً يحمل المزيد من العدالة والسلام. أفلا يقع على عاتق الولايات المتحدة أن تخدم العدالة على وجه أفضل في أقدس منازل العدالة؟

لسوف تفرض المقارنة ما بين فلسطين وكوريا نفسها على تفكير البشر لأمد طويل. وهي جديرة حقاً بأن تُسجَّل في التاريخ. فهي تكرّس وبكل أسف مبدأ حجة الأقوى.

إنه من السهل أن نشيد بفكرة الحقّ عندما نتكلّم عن كوريا؛ ولكن ما عسى يقال عن فلسطين؟ ما عسى يقال عن هذا الغياب وعن هذا التخلّي وعن هذه المراوغة وعن هذا الصمت؟ فنحن نتفق من جهة على أن خلاص البشر يرتبط بالقوى الروحيّة. ومن الجهة الأخرى نُخضِع هذه القوى الروحية بالذات لأتفه الاعتبارات الماديّة. يموت الكوريون بالآلاف ليسترد الحق مكانته، ويلقى لاجئو فلسطين حتفهم لأن أرض الوطن موصدة دونهم. فماذا ترانا نصنع بالمبادئ وما ترانا نصنع بالعدالة.

ونختم القول بمقطع نستمده من أروع فترات رسالة الميلاد التي وجهها قداسة البابا بيوس الثاني عشر وفيها: «نقول ذلك، إذ نرى المخلصين من أصدقاء السلام وقد فاتهم الحزم وداخلهم الارتياب حيال المخاطر المتفاقمة. ولما كان خير الأمم جمعاء غالياً على قلبنا، فإننا نرى أن اتحاد جميع الشعوب التي تمسك مصيرها بيدها، اتحاداً وثيقاً، والمرتبطة ببعضها البعض بعواطف الثقة المتبادلة والعون المشترك، يشكّل السبيل الوحيد لصيانة السلام والضمانة الوحيدة لاستتبابه».

هذه هي الحقيقة ولا ريب. شريطة أن يتّم ذلك بين الشعوب «الممسكة لمصيرها بيدها»، فتستعمل أقواها سلطانها وتستخدمه بشكل أقل تعسّفية وأكثر إنسانية.

٢٧ كانون الأول ١٩٥٠

١٩٥١-١٩٥٤
إستمرار زحف النكبة

على اللبيب سلام!

يتحدّث السيد ج. ميرون، مدير القسم الاقتصادي في وزارة الشؤون الخارجيّة لإسرائيل، عن «الخلل الاقتصادي» في الشرق الأوسط، وذلك في مقال حديث (نشر في عدد شباط للجمعيّة البلجيكيّة للدراسات والتنمية)، ولقد وضع عنواناً لمقاله: «السياسة ضد الاقتصاد» وحاول أن يقنع جيران إسرائيل بضرورة إعطاء الأولويّة للاقتصاد. نردّ على السيد ميرون بأنه هو أيضاً كالسيد جوس Josse إنسان مغرض!

نحن ندرك، بدون ريب، أهمية الاقتصاد، ولكنّنا نضع أيضاً الروحيّ في مكانته؛ ونضع السياسيّ، الذي به تكون التبعيّة أو الاستقلال، بعد الروحيّ تماماً.

ثم يجهد السيد ميرون لإظهار أن مقاطعة إسرائيل من جانب البلدان المجاورة لم تلحق الأذى إلا بهذه البلدان ذاتها، وأن إسرائيل وجدت في ذلك، الظرف المناسب لإيجاد مورّدين آخرين للمنتجات الزراعيّة. قد يكون ذلك صحيحاً، ولكنّنا نقدّر من جانبنا المصاعب الهائلة التي تلقاها إسرائيل للتزوّد بالمؤن.

إنّ هدف جيران إسرائيل ليس أبداً السعي لتجويع إسرائيل، خاصةً وأنّ دفقاً من الهجرة المدعوة من الدولة والمتعاظمة باستمرار، يجعل جميع الاجراءات الاقتصاديّة غير ذات جدوى. إنّما هدفهم هو انتشال القدس والأماكن المقدّسة من الوضع المؤلم الذي آلت إليه، والعمل لإنصاف الفلسطينيّين من غير اليهود، المطرودين فعلياً من منازلهم، وقد أجبروا في منفاهم على العيش في أسوأ الظروف المرّة.

إلا أن الذي دفعنا إلى التعليق الوجيز هذا الصباح على مقال السيد ميرون لأمرٌ آخر. فقد أورد، ما قبل ختام مقاله، مقطعاً جاء فيه ما يلي: «إنّ المشاريع الرامية إلى تحسين أوضاع الريّ على حدود دولة إسرائيل وسوريا وشرق الأردن وتنفيذ تصاميم توليد الكهرباء التي تشرف عليهاجميعاً وتدعّمها الدول الكبرى والهادفة إلى إفادة إسرائيل وجيرانها في آن، إنّما قضي عليها بالتوقف، رغماً عن عروض ملحّة عرضتها دولة إسرائيل من أجل التعاون الفعّال».

أما نرى حقاً نهرنا الليطاني يتراءى في الأفق؟

هذا المجرى المائي، هذا «النهر الصغير» يضاعف من هواجسنا من أجل هذا بالذات، أي بسبب مشاريع إسرائيل ومطامعها. «وهذا التعاون الفعّال من جانب دولة إسرائيل» إنّما يبدو لنا من أشدّ المخاطر علينا. فإن ضاع الليطاني من يدنا أو تقسّم، أفنلقى في الأردن بفضل أريحيّة إسرائيل تعويضاتٍ عنه ومكافآت له؟

إننا بحاجة إلى الريّ والطاقة بمقدار حاجة إسرائيل. ولكن من حقنا أن نخشى من «أن توضع موضع التنفيذ مشروعات توليد الكهرباء التي تشرف عليها جميعاً، وتدعمها الدول الكبرى (وكلّنا يعلم أيّها) والهادفة إلى إفادة إسرائيل وجيرانها في آن».

لقد بدا لنا مهمّاً أن نضيف إلى ملف محاذيرنا المشروعة هذه الشهادة الاسرائيليّة المرموقة. فنحن في لبنان، طالما كنّا ميّالين إلى الاستخفاف بهذه الأمور الخطيرة. وغالباً ما تخلّينا أو كدنا أن نتخلّى عن حقوقنا المقدّسة مقابل ما هو أقلّ من صحن عدس؛ وليس علينا أن نكرّر الأمر الآن بالنسبة لـِ ٦٦,٠٠٠ دولار البائسة التي أسبغت علينا بسخاء لوضع الدراسات الأوليّة لنهر الليطاني.

على أيّ لبناني ألاّ ينسى أن البنك الدولي، رفض فعلاً، منذ سنتين، منحنا قرضاً ضئيلاً بخمسة أو ستة ملايين دولار (للتجهيز الزراعي)، في حين كان يمنح إسرائيل عشرين ضعفاً عن طيبة خاطر.

وما نحن عن قوانين الاقتصاد بغرباء، ونحسب أنّا، كالسيد ميرون، ندرك ما للجوار الصالح والمبادلات من فوائد، ولكن لا بدّ من تناول النقاش من جانبه الأعلى. فمهما كانت القضايا الاقتصاديّة حيويّة، فلا بدّ من إخضاعها للنطاق السامي للروح ولصيانة الأرض والحريّة.

١٧ آذار ١٩٥١

السلام الذي تفتّش عنه إسرائيل

هل يمكن تصوّر السلام مع إسرائيل، والاستعدادات تجري على قدم وساق داخل الأمّة اليهوديّة: لتكثير السكان بما لا يُحَدّ، واستغلال الساعة الملائمة لتوسيع رقعة الأرض؟ هذي هي في الواقع مرامي إسرائيل المنظورة.

وعبثاً تحاول حكومة تل أبيب أن تتنصّل من مراميها هذه؛ فكل تصاميمها تتّجه نحو العدوان وكل أعمالها تفضي إليه. إنّ النموّ الهائل لسكان إسرائيل هو المؤشّر الأول؛ وإنّه لنموّ سريع وضخم بحيث يفقد الاقتصاد توازنه مضيفاً إلى التهديد الدولي والسياسي، التهديد الاجتماعي.

مذ ولدت دولة إسرائيل، حدثان يبرزان للعيان وكلّ منهما أكثر إثارةً للقلق من الآخر: أن الوطن القومي المزعوم هو، ولا يمكن أن يكون، إلاّ رأس جسر ومعسكراً منعزلاً من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ اليهود في العالم بتشجيعهم الحماسيّ الأعمى المعروف لمشروع العنف هذا، فإنّهم يعلنون بشكل ضمنيّ، حرب المستقبل. ولئن استخدموا كل نفوذهم في العواصم الكبرى لفرض السلام، فإنّهم على النقيض يهيّئون للحرب. إنّ التناقض هو في أساس هذه المأساة. وينبغي أن يكون الإنسان أعمى كي لا يرى ذلك.

فإذا استمرّ قصور الأمم المتحدة، فسيظهر شبح الموت فوق حائط المبكى وفوق صهيون عاجلاً أم آجلاً. فليؤخذ كلامنا على محمل الجدّ، فليس فيه إنشاء ولا رومنسيّة.

ويجيء يوم سيندم فيه الغرب بمرارة على ما سمح بحصوله وهو في حال عدم اكتراث أثيم. ذلك أنّ بناء إسرائيل سيرتفع وكأنّه علامة شؤوم على أبواب الشرق. فهو يحمل في جنانه توعّدات رهيبة. إنّها أيام قاتمة تتجمّع برسم المستقبل القريب والبعيد. وليس من يجازف اليوم فينكر، أنّ الفاجعة اليهوديّة في إسرائيل سيكون لها صدىً في المعمورة كلّها.

وقد يبين لهم أن الدعاوة المثالية التي تلتفح بها إسرائيل أحياناً يمكن اعتبارها من أخطر الأوهام. ها هي جماعة إنسانيّة كبيرة في صراع مع الوهم، وشعب كبير، ولا شك، لما فيه من رجالات أذكياء وإرادات مسيطرة، خطأه أنه انقاد بشكل جنونيّ عكس مسار العصر. وانه راح يحيي سياسياً أشدّ العرقيّات والقوميّات انغلاقاً وأكثرها شراسة، في حين أن الطبيعة تقاومهما..

قد نرى مسوّغاً لاعتماد نبرة الأنبياء كلّما كان الأمر يتعلّق بإسرائيل. غير أننا نتحاشى الانزلاق في الإشراقيّة بعد هذا التبصّر الطويل. وإنّه لمن قبيل التبصّر أيضاً أن نسعى لنُظهر لليهود أن إسرافهم في اللطائف نفسه يضلّلهم، وأن ما يدافعون عنه بهذا المقدار من الحقد والهوى قد يكون مصدراً للكارثة.

وفيما نحن نتأمّل تطوّر إسرائيل، نفرك أعيننا متسائلين: أحلماً نرى؟ إنّما انبعاث سلطة الكنيس الزمنيّة لتحمل أكثر الناس تعقّلاً على التفكّر بنهاية العالم.

١٤ آب ١٩٥١

أسئلة

إلى أية مصالحة يمكن أن نصل مع إسرائيل إذا تفكّرنا في المستقبل؟ وهل يمكن لمصاعب الحاضر أن تنسينا للحظة مصاعب الغد؟

وافتراضاً أن القضيّة الخطرة للاجئين العرب قد وجدت حلاً، فما عسانا نصنع بالقضية الشديدة الخطورة، قضية الهجرة اليهودية إلى إسرائيل؟

ما جدوى الكلام على المصالحة اليوم، إن لم يكن مفرّ من ازدياد سكان إسرائيل بالإيقاع الذي نرى، وبأسلوب هجرةٍ تشكّل صدمة للعقل بحيث تغدو خطراً دائماً على البلدان المجاورة وعبئاً على حدودها لا يُطاق؟

وإذا ما ادّعينا أن المصالحة الآن تفتح أبواب النصر لإسرائيل، أما ينبغي أن نتذكّر أن الهدنة مع إسرائيل هي التي وفّرت لها النصر؟

وغنيّ عن البيان أن إسرائيل تعتبر حدودها الحالية مؤقتة وأنها لا ترقب غير السانحة، لتبعد بها، على مراحل، حتى تبلغ المدى الذي به تتحقّق أحلام الشعب المختار.

كلّما ازددنا تفكّراً في الأمر، بدا لنا بشكل أوضح، أن مشكلة إسرائيل لا تتجزأ. فكل تحريك للمهادنة لا يمكن أن يعني غير التحضير

الأسهل لنكبة آتية. وكل صيغة للتهدئة اليوم، إنّما تكتسي معنى من الخداع والوهم. «أعطونا الفرصة كي نتنفّس، كي نُعطى الامكانيّة للقضاء عليكم». هذا ما تعمل عليه إسرائيل الآن.

هذا هو التعليل الوحيد للوضع الحالي، تعليل لا ساذج ولا سخيف.

لقد ترامى إلينا أن في إسرائيل خرائط يجري بيعها أو تداولها وهي تظهر ما يبيّت من تعدّيات تطاول الأراضي اللبنانية والسورية والأردنيّة.

ففي مراد إسرائيل استعادة الحيّز الذي كان مقراً للأسباط الاثني عشر؛ وفي ذلك ما ينذر بالعدوان والحرب في أمدٍ قصير، بل في أمدٍ أقصر.

ليس في نيّتنا أن نثبّط من عزيمة أحدٍ كائناً من يكون. إنّما نقول بملء الخاطر مع راسين: «ليس النهار بأكثر صفاءً من عمق قلبي»؛ ولكنّنا لا نودّ أن نرى أنفسنا، مرة ثانية، في الشَّرَك. إذ لا نخفي رغبتنا في رؤية قضية اللاجئين المحزنة والقاسية وقد حُلّت، فإنّنا نرى أن حلّها يجب ألاّ يزيد الخلل في ما تبقّى.

وإذا كانت البلدان المجاورة لإسرائيل قد دُعيت إلى باريس للنقاش فقط حول دفع فاتورة، فالأجدر أن يُقال لنا ذلك حالاً. وسيكون هذا بمثابة مرارة جديدة في سلسلة المرارات.

إنّ ما يرغب فيه جيران إسرائيل، ويسعون إليه، هو حلٌّ يجمع العدل

والأمن في آن. وفي مشروع تصوّر كهذا، يصبح الدور الجماعي لبعض الأمم الكبيرة والصغيرة بيّناً. فمن دون تدخّلها الفعّال، وحتّى الحاسم، لا أمل بالمصالحة والسلام.

ها قد شرعوا يدركون حقاً، أنّه من السخف والجنون إدانة مصر، إذا لم تُدَنْ إسرائيل مرّتين أو ثلاثاً قبل ذلك.

١٢ أيلول ١٩٥١

ملاحظات حول خطاب السيد إيلي بالمر

الخطاب الافتتاحيّ لرئيس لجنة المصالحة من أجل فلسطين، الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر باريس، عملٌ جديرٌ بالتقدير. فهو يشفّ عن نيّات صافية وحسن قصد إلى حدّ بعيد. لكن النفاذ إلى صميمه يبرز ما فيه من ارتباك شديد.

معظم القضايا، والحق يقال، إنّما عُرضت أو جرى التطرّق إليها، غير مسألة وهي الأهمّ لم يعطِها ما يكفي من الاهتمام. نعني بذلك الكلام على مسألة الأمن في المستقبل. وكذا الهجرة العدوانيّة إلى إسرائيل لم يُشِرْ إليها أبداً.

إنّ الخطاب مدروس وموزون ببراعة. ولكن، إذا أمعنّا النظر فيه لوجدنا أنّه لا يلقي على عاتق إسرائيل غير تعويضاتٍ ماليّة (أقلّها ولا ريب)؛ بيد أنّه، بالمقابل، يطالب الدول العربيّة بانصياع كامل.

لقد عمل زملاء السيّد بالمر مطوّلاً لصياغة هذا النثر الملطّف حيث تُضمّ الطلاوة اللاتينيّة إلى المرونة التركيّة. «آه! ما أروع التعابير التي قيلت بها هذي الأمور!»... ولو تكلّم عنها أميركيّ، لخفّف بطبيعته، من تلطيف فكره وتدقيقه.

ولئن أمررنا هذا البيان على المصفاة، دون تفخيم، لجاء المتبقّي منه ضئيلاً. إذ يمكن اختصار كل شيء بكلمتين: ما الذي يتوجب على إسرائيل نحوكم، أنتم العرب، لكي تسلّموا بالأمر الواقع كما هو؟ وفي هذا كلّه لم نجد أن الوجه الإنسانيّ للقضيّة قد أعطي حقّه.

من ذلك أن اللاجئين اطُّرحوا بوحشيّة بين أيدي العرب وهو ما يتكرّم الخطاب الافتتاحي فيعلّله بالجملة التالية: «يتوقّف حلّ قضيّة اللاجئين على تحقيق برنامج نموّ اقتصاديّ في البلدان العربيّة». فهل تسمعون جيّداً ما يُقال؟

ويمكن الاعتقاد بأن لجنة المصالحة، مهما كانت عطوفة، فربّما خفّفت مشاعرها بفعل احتكاكها اليومي بالفاجعة.

وهكذا فكلّ شيء بالنسبة للاجئين مرهون بنموّ برنامج اقتصاديّ (قد يكون يهودياً–أميركياً)، وليس مرهوناً أبداً بالعدالة.

إنّما الغاية القصوى في كل ما يُقال ويُعمل، هي «تمهيد السبيل لسلامٍ دائمٍ في بلد تعتبره الأديان العالميّة الكبرى الثلاثة أرضاً مقدّسة».

هذا حسن! ولكن أما ينبغي، والحالة هذه، أن نبدأ بتدويل القدس؟

ثم، وقبل تركيز العلاقات الاقتصادية التي تلهث وراءها إسرائيل في نطاق الشؤون المادية، ألا ينبغي منع الاقتصاديّ من تدمير السياسيّ؟

جاء في نصّ الخطاب: «لن نحقق تقدّماً إيجابياً على طريق حلّ مشاكلكم، ما لم يعلن جميع الفرقاء، في مستهلّ مفاوضاتنا الحاليّة، عزمهم على احترام حق الغير بالأمن، والامتناع عن أي هجوم، أو أي عمل عدائي أو أي عمل حرب من جهة ضد أخرى، وعلى تيسير العودة الى السلام الدائم في فلسطين». هذا جميل حقاً.. ولكنّه مثاليّ أيضاً.

فما عسى تصنع لجنة المصالحة بسياسة إسرائيل الداخليّة المتفجّرة؟ وما عساها تصنع بالنار الملتهبة، وقد نقول المحتومة، التي تفضي إليها هجرةٌ لا حدّ لها؟

إنّ قضيّة إسرائيل هي سياسيّة قبل أن تكون اقتصاديّة. إنّها عشر مرات سياسيّة أكثر منها اقتصادية. إنّ لجنة المصالحة تكاد تكون مجرّدة (من أي سلاح) على هذا الصعيد. فهي تخضع لمؤثّرات من الدرجة الأولى، ظاهرة أو خفيّة. وفي أعمالها، مهما سمت درجة عطائها، نقطة ضعفها.

إنّ جذور المأساة الفلسطينية كما نهايتها هي روحيّة وسياسيّة. فليس هناك من حلّ اقتصاديّ خالص قادر على منع الكارثة. وليس ثمة أمل إلا بحضور القوى العظمى والصغرى وبإرادتها الجماعية التي تختصر بهدف واحد، ألا وهو تحقيق الأمن والعدالة في آن واحد.

١٥ أيلول ١٩٥١

ذكرى الكونت برنادوت

إنّما الأسوجيّون أمراء صالحون.

وشهادةً منهم على الصفح عن اغتيال الكونت برنادوت، فقد انضمّوا إلى ممثّلي إسرائيل لغرس نبتات السرو الأولى في «غابة برنادوت» التي ستنمو على المنحدرات الصخريّة من تلال اليهوديّة.

لقد أعربت دولة إسرائيل، في الشهادة التذكاريّة التي وجّهتها إلى زوجته الكونتيسّة برنادوت عن رغبتها في تكريم «هذا الأسوجيّ الكبير الذي وقف نفسه على خدمة الانسانيّة في أحلك مرحلة من تاريخ العالم، وترأس الصليب الأحمر الأسوجي، وساعد في إنقاذ العديد من اليهود، سجناء النازيين، من الإبادة، وناضل بشجاعة خلال السنة الأخيرة من حياته ليعيد السلام إلى الأرض المقدّسة، ثم قضى وهو على طريق الواجب».

إنّه لنصٌّ مؤثّر؛ ولكن كيف لا نتذكّر أن منظمة يهوديّة أخذت على عاتقها اغتيال الكونت برنادوت واعتبرته مدعاة فخر لها، مع أنه خلّص يهوداً كثيرين من الإبادة؟ وكيف لا نعجب إزاء هذا التكريم ونظرة إسرائيل إلى إعادة السلام إلى الأرض المقدّسة ليست نظرة هذا الكونت برنادوت نفسه، الذي قضى وهو على طريق الواجب؟

وفيما يراودنا أن قَتَلة الكونت برنادوت لم يلقوا عقاباً قطّ، يتّضح مقدار ما في الشهادة من سخرية فظّة. لكان أَولى أن تُغرس غابةٌ في أسوج وليس في إسرائيل لتخليد اسم الضحيّة البريئة؛ أما في إسرائيل فلا بدّ أن تنتفض روحه ضد ممارسة فريسيّة لا مكان فيها للندم.

ثلاثة أيام مضت على موت الكونت برنادوت وقد لفّت مؤامرة الصمت اسمه. قليل من الوقت يكفي لإلقاء النسيان على الجرم الكبير. والآن تتذكّر إسرائيل أنها مدينة للكونت برنادوت بهدنةٍ لأربعة أسابيع وبها انتهت المرحلة الأولى من حرب فلسطين، وهي كانت فعلاً، بالنسبة إلى إسرائيل، مرحلة الخلاص.

إنّ أنباءً كتلك الخاصة بالذكرى لتثير أكثر مما تعزّي. والكل على يقين بأنه لو أتيح للكونت برنادوت الخروج من القبر وهو يحمل ذات الأفكار وذات التصميم بالنسبة إلى فلسطين، لجرى اغتياله مرّةً ثانية. وكما يقول المثل: «يقتلون الرجل ثم يسيرون باكين في جنازته».

إنّ تكريمنا لذكرى الكونت برنادوت هو بالتأكيد أكثر صفاءً من تكريم إسرائيل.

٧ شباط ١٩٥٢

في صلصلة السلاح

[illegible] الخدمة العسكرية الاجبار[illegible]

[illegible] أعمارهم بين ١٨ و٢٦ سن[illegible]
[illegible] وعلى هذا النسق مَن تب[illegible]
[illegible] مدة سنتين. أما مَن كان م[illegible]
[illegible] من شكّ بأن أركان الج[illegible]
[illegible] ذلك.

[illegible] زيادة مدة الخدمة العسكرية [illegible]
[illegible] في ضوء عدد المجنّدين [illegible]
[illegible] إسرائيل يكاد لا يناهز المليونين، في حين أن
[illegible]

وهكذا ترتفع الحمّى ويتضخّم التسلّح ليبلغ ذروته. ونلفت أيضاً إلى أن النساء في إسرائيل هنّ مجنّدات أيضاً بشتّى الأساليب. وبانتظار تجديد إنجاز يهوديت[1] ونشيد ديبوراه[2]، فإنهنّ يحملن السلاح لحراسة الجسور والأعمال الفنيّة.

(١) يهوديت Judith بطلة يهوديّة، قامت بإغراء القائد الأشوري وبقطع رأسه في أثناء نومه ورويت قصتها في سفر يهوديت من كتب العهد القديم.

(٢) ديبوراه Deborah نبيّة وقاضية إسرائيليّة قاتلت الكنعانيّين واحتفلت بالنصر بنشيد فخم جميل (ومعنى اسمها بالعبرية الدبور).

إنّ المناورات الحديثة في إسرائيل ذهبت بعيداً بحيث اتّخذت شكل حرب حقيقيّة. لكن، وفي الوقت عينه، فإنّ الوضع الاقتصادي في حالة يُرثى لها وهو في ذلك إلى ازدياد. لكن، وعلى وجه التقريب، فإنّ جميع الدولارات التي تحوّل إلى إسرائيل إنّما تُحوّل إلى الحرب القادمة.

إنّ الولايات المتحدة ترى أن ذلك خطر كما ترى أنه عندما حلّ العام، [illegible] الولايات المتحدة عهد توقيع [illegible] أن تمهّد للسلام. [illegible] فلسطين جوار، [illegible] باسم الشرق الأدنى كما [illegible] كاتب الافتتاحية في مجلة «لايف» الأسبوعية الأميركية الكبرى (عدد ١٤ تموز) الكولونيل [illegible] إلى تغيير جذري A drastic change لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى.

لن يغرب عن بالنا أن الشيوعيّة، منذ كارل ماركس، ليست غريبة عن إسرائيل، وأنّ مبدأ الجماعيّة الاشتراكيّة مطبّق، على نطاق واسع في هذا البلد منذ أمد بعيد، وأنّ الاتّحاد السوفياتي هو السند الأمين للدولة اليهوديّة، وأن ما لا يقلّ عن مليوني يهوديّ يعيشون في روسيا. مثل هذا الأمر يستوجب التفكّر لدى أكثر الناس تشكّكاً وتصلّباً.

وهذا ما يحدونا على التكرار بأن سياسة إسرائيل الخاصة تتجاوز سياسة شرق وغرب، كما تتجاوز سياسة الغرب والشرق بحيث أن «الشعب المختار» لديه سياسة خاصة به تطال نظرياً حدود العالم، إنّها

سياسة مبنيّة على «الأنانيّة المقدّسة» والتي ليس لها من غاية تنشدها سوى عظمة «الشعب المختار» مهما كانت تقلّبات الشرق والغرب.

منذ فترة قصيرة، قام جدل داخل برلمان إسرائيل (الكنيست) حول القانون الأساسي «للمنظمة الصهيونية العالمية». وكان بين الحكومة والمعارضة خلاف حول تعريف هذه المنظمة. فالحكومة تعرّفها [illegible] الشعب اليهودي في [illegible]

[illegible]

[illegible] (المحسنة) التي [illegible] تحدّثت عن فعله، وقد أقامتها على حدودها الجنوبية [illegible] وكأنها أشدّ آلات الحرب هولاً في الدنيا.

[illegible] إذاً الوضع دخل في الحلقة المفرغة. ولكن كيف لا يراد للعالم العربيّ أن يتسلّح بدوره وألاّ تنتهي المغامرة الجنونيّة إلى ليل من القنابل بل وإلى المجزرة؟ وحسبنا أن نستمع إلى الزعيم الشيشكلي وإلى الجنرال نجيب لندرك ماهيّة الجوّ الذي نعيش فيه.

فإلى أيّ مدى سيبلغ تعامي الغرب؟ ومتى سيبدأ الحديث جدّياً عن تدويل القدس؟

٢١ آب ١٩٥٢

وجهٌ - لوجه سابقٌ لأوانه

في الأمم المتحدة هناك مَن يوحي بإجراء محادثات مباشرة بين العرب وإسرائيل. إنّه لتدبير خطر. ولربّما كانت له فوائد ظاهرة، ولكنّ مخاطره كبيرة، كبيرة إلى حدّ يصبح من الأفضل تجنّبها.

فلنذكّر ما يسمّونه مصير الأماكن المقدّسة وأنّها قضية دولية.

فليس في وضع العرب والإسرائيليين الادعاء بأنهم قادرون على حلّ مشكلة الأماكن المقدسة لوحدهم، كما ليس في وسعهم الادعاء بأنهم [illegible] لقرار الأمم المتحدة بتدويل هذه الأماكن، فالمسيحية والإسلام، وكلاهما معنيان بذلك، لأنه لا توجد في القضايا الدولية قضية أكثر خطراً، [illegible] إليها كما تم إعادته إلى القضية.

تلك ستكون العقبة الكبرى للحؤول دون السلام بين العرب وإسرائيل. أما تدويل القدس فمن شأنه أن يسهّل كل أمر، وعلى الأربعين أمة على الأقل أن تجعل منه شغلها الشاغل. إنّ وضع العرب والإسرائيليين وجهاً لوجه لبحث مثل هذا الأمر ينمّ عن عدم تبصّر سوف يؤدّي إلى تقويض التباحث بشأنه.

يُضاف إليه واقع ضمان الحدود الذي يفترض الوجود الدولي.

إنّ جميع الضمانات التي تقدّمها إسرائيل باطلة، وباطلة أيضاً جميع تأكيداتها وأقسامها[1]. إنّ السياق الذي يحكم مسار إسرائيل يجعل ساعة التوسّع أو الانفجار أمراً محتوماً. وعلى افتراض أن العرب قبلوا

(١) أقسام، جمع قَسَم: اليمين بالله أو غيره Serments.

اليوم بالتوقيع، فسيأتي مَن يحدّثهم بعد خمس أو عشر سنوات عن المدى الحيويّ. فمن الجنون أن نهيّئ بأيدينا وعلى اسم سلام اليوم، أعمال عنف الغد.

ستبقى قضية زيادة السكان في إسرائيل قائمة ما بقيت دولة إسرائيل قائمة. إنّ عدد اليهود في العالم يصل إلى ستة عشر مليوناً، [illegible] عشرين أو خمسة وعشرين مليوناً في عشر أو خمس عشرة سنة. فإذا كانت دولة إسرائيل [illegible] لاستقبال ربعهم فقط، فسوف [illegible] أن الهجرة [illegible] وجودها.

بالنسبة إلى اللاجئين [illegible] أن يتم [illegible] ولكن هؤلاء [illegible] العودة بحيث [illegible] كل [illegible] بخصوصيته [illegible] بهذه النقطة [illegible] أكثر منها حقيقيّة. وحتى التعويضات [illegible] بطريقة جدّ هزيلة، بحيث [illegible] جرى إدخال التعويضات [illegible] على [illegible] الأمر.

ليس في العالم موضوع [illegible] أعسر من هذا الموضوع. إذن، علينا أن نواجه الأمور [illegible] لقد صنعت الأمم المتحدة دولة إسرائيل، وبالتالي يقع [illegible] واجب عظيم، فليس بمقدورها أن تتنصّل منه.

٧ تشرين الثاني ١٩٥٢

الشَّرَك الإسرائيلي

إن اقتراح محادثات مباشرة ما بين العرب والاسرائيليين، انطلاقاً من لا شيء، يفترض بعض الوقاحة لدى مقترحه (أو يفترض صفاء طويّته وهذا أمر مستبعد). على أن السيد أوبري إيبان (١)، ممثّل إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة، يرى الظروف ملائمة لمثل هذه المحادثات، وقد نوّه بالأمر أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة.

[illegible]

[illegible] خطيرة، لمقدار ما هي [illegible] والحدّ من الهجرة إلى إسرائيل [illegible]

السيد أوبري إيبان وحكومته يعتبران أن هذا الأمر ثانوي، أو كأنه لم يكن، أو أنه عديم الجدوى، في حين أن الصلح بين العرب وإسرائيل وعلاقات العرب الاقتصادية بإسرائيل والحدّ من التسلّح لدى العرب رأي

(١) أوبري إيبان: هو نفسه السياسي الإسرائيليّ المعروف باسم إيبا إيبان Abba Eban مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة، ثم سفيرها في الولايات المتحدة، ثم وزير خارجيّتها. وقد لُقِّب بـ«أوبري» خلال دراسته في جامعة كامبردج-انكلترا.

إسرائيل أمور في مقدّمة اهتماماتهم. نحن نسلّم، استناداً إلى ما ترامى إلينا، من أن السيد أوبري إيبان يتمتّع بذكاء وقّاد، ونحن نودّ أن نسلّم بنيّته الحسنة. ولكن من تراه يخال محادثيه في الأمم المتحدة، ومن تراه يحسبهم؟

إنّ السلام مع إسرائيل، وفق الشروط التي يقترحها السيد إيبان يعني تشجيعاً متعمّداً لممارسات العنف التي ستقترفها إسرائيل في المستقبل. فالسلام الذي يبتغيه إيبان إنما هو بالضبط سعيٌ لتهيئة الحرب. إنّ سلاماً كهذا سيكون أسوأ من الهدنة العجيبة التي نعيش في ظلها.

أما العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل فلربما كان لها مغزىً مباشر ألا وهو الاختراق الإسرائيلي، ومن ثمّ تجري محاولات مختلفة ليتمكن جيراننا في الجنوب من وضع أيديهم على اقتصادنا الخاص، وعلى مصادر الطاقة لدينا.

وأمّا الحدّ من التسلّح، بمعزل عن الحضور الدولي، وعن الضمانة الدولية، فسيخلي الساح لإسرائيل كي تستورد أرهب الأسلحة من أين تشاء وساعة تشاء.

بما يخصّنا، إنّ محادثات مباشرة مع إسرائيل، في ظلّ الوضع الحالي، ستكون غير معقولة. ومن المؤكّد وجوب البدء (قبل أية محادثات) باحترام التعهّد المتعلّق بالمقررات السابقة التي اتخذتها الأمم المتحدة. وليس أقلّ تأكيداً وجوب أن تقوم الأمم المتحدة بوضع الممهّدات لهذا السلام الذي سيحاول العرب بلوغه بمعيّة هيئة الأمم.

ليس لأيّة قضيّة ما لهذه القضيّة من محتوى دولي. تلك هي البداهة الساطعة. أإلى هذا الحدّ يستهين السيد أوبري إيبان وحكومته بقدرة العرب على التمييز العقلانيّ، فيدعوانهم إلى الانتحار على نحو ما يفعلون؟

إنّ كل تفاوض مع إسرائيل، أين وأنّى كان، لا يمكن أن تكون نقطة البداية فيه سوى الحضور الدولي في القدس والضمانة الدوليّة والتعاقديّة حول الحدود.

وانطلاقاً من ذلك، يمكن التقدم نحو حسن الجوار ومواجهة حياة ممكنة، شريطة أن تكون مشكلة اللاجئين المأساويّة قد حُلّت.

إن بلدان الجامعة (العربيّة) لن ترتضي غير هذا (الموقف). إنّها لن تقترف مثل هذا الجنون.

٣ كانون الأول ١٩٥٢

بخصوص المفاوضات مع إسرائيل

إنّ أسس السلام مع إسرائيل هي، بالاضافة إلى تسوية إنسانيّة لقضيّة اللاجئين، تدويل القدس وضمان الحدود. وفي ما خلا ذلك، فليس من مخرج معقول.

نحن نعتبر وجود إسرائيل أمراً واقعاً، وليس المقصود إلقاء الإسرائيليّين في البحر. ومنذ أمد بعيد، ونحن نقول إن قضيّة إسرائيل، أقلّ من كونها قضية وجود، إنما هي قضيّة اقتدار.

إن دولة يهوديّة رائدها التوسع في كل عقد أو عقدين من السنين، وتجعل جيرانها يعيشون في هذا الهاجس الدائم، إنّما هي دولة لا تطاق.

وشرّ البليّة أن الدولة اليهوديّة أنشئت كي تتوسّع باستمرار. وفي خَلَد مبدعيها أنّها لجميع يهود العالم، وطن أم وان غاية وجودها هي غاية مسكونيّة. فالمقصود قيام دولة ذات قدرة عالميّة هي إلى حدّ ما ظاهرةٌ ومخفيّة في آن.

إنّ محاكمة براغ الرهيبة[1] تعكس النفوذ السياسي لليهود. نحن لا نقول ان هذه المحاكمة كانت عادلة؛ وإنّما نقول إنّها تُظهر ما لاسرائيل من نشاط بارز وتأثير في جميع البلدان. وإذ نقول إسرائيل فلا نعني هنا الدولة، وإنّما نعني الأمّة. لقد رأينا يهوداً يحاولون الاستيلاء على السلطة، أو يستولون عليها، في براغ هذا العام كما في بودابست زمن بيلاكن، وكذا في بلدان عدة، وكانوا تارةً يخفقون وطوراً ينجحون.

ولا يمكن أن تكون صاحب الأمر والنهي في تل أبيب، وفي الوقت عينه صاحب الأمر والنهي في براغ وبودابست كي لا نقول في لندن وواشنطن.

إن دعوة اليهود لممارسة السياسة تعادل دعوتهم لكسب المال. إنّها تعكس تفوّقاً بين بعض التفوقات، ونقصاً لديهم بين بعض النقائص. وكل اليهود يتوقون لأن يكونوا مثل ديسرائيلي Disraëli (مع أن ديسرائيلي قد تعمّد) أو

(١) يشير الكاتب إلى المحاكمات التي أعقبت الانتفاضات التي قادها شيوعيّون يهود داخل الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي (١٩٤٩-١٩٥٤) وتبعتها محاكمات ولاسيما محاكمة سلانسكي Procès Slansky، ثمّ يقابل ذلك بانقلاب اليهوديّ بيلا كن Bela Kun مؤسّس الحزب الشيوعي الهنغاري لإرساء ما عُرف بـ République des Conseils في بودابست عام ١٩١٩. وقد حكم أربعة أشهر وأزيح بانقلاب، فلجأ إلى روسيا.

مثل ليون بلوم اوتروتسكي[1]. لكن، منذ قيام دولة إسرائيل، لم يعد ممكناً الاقتناع بسهولة بمثل هذا التوجّه.

بالنسبة إلى البلدان العربية، فإنّ كل ما يعنيها هو أن لا تطغى عليها الأحداث. على أن ذلك سيحلّ بها بالتأكيد إذا وقعت في الشَّرَك الذي يُنصب لها الآن. ذلك أنّه ممنوع النظر في أي تفاوض مع إسرائيل ما لم تُستوفَ الشروط التمهيديّة التي نحن بصدد التنويه بها. فلن يذوق العرب طعم الراحة من دون حضور دوليّ في الأماكن المقدّسة ومن دون ضمانة تعاقديّة دوليّة خاصة بالحدود.

وفضلاً عن ذلك، فمن البديهي أن تدويل القدس يثير اهتمام نصف البشريّة.

على ممثّلي إسرائيل في الأمم المتحدة، الذين تلقوا إيحاءات جديدة بشأن التحادث المباشر مع العرب، أن يُقلعوا عن هذا الالتباس. إنّما تعنينا أفكارهم المبطّنة أكثر مما تعنينا أفكارهم (المعلَنة). كما أن مطامع إسرائيل المستقبليّة تقلقنا بقدر ما تقلقنا مطامع إسرائيل اليوم.

للخروج من المخاطر التي نحن فيها، يلزمنا جبال من المثابرة والحكمة.

١٠ كانون الأول ١٩٥٢

---

(١) إشارة إلى ثلاثة من أبرز وجوه رجالات السياسة ذوي الأصول اليهودية في بريطانيا وفرنسا وروسيا.

- بنيامين ديسرائيلي (١٨٠٤-١٨٨١): رجل سياسيّ بريطاني معروف، رأس الحكومة البريطانية مرتين في ١٨٦٦ و١٨٧٤.

- ليون بلوم (١٨٧٢-١٩٥٠): رجل سياسيّ فرنسيّ ترأس حكومتين في فرنسا خلال الثلاثينات والأربعينات .

- ليون تروتسكي (١٨٧٩-١٩٤٠): أحد أبرز وجوه الثورة البولشفية في روسيا ومنشئ الجيش الأحمر.

شكايات السيّد موشه شاريت

تَقلَقُ إسرائيل إذا رأت البلدان العربيّة تزيد من تسلّحها، مع أنّها هي مدجّجة بالسلاح.

ويتشكّى السيد موشيه شاريت من الولايات المتحدة وانكلترا موجّهاً إليهما توبيخات قاسية. ونعجب كيف أن رجلاً مثله على جانب من الذكاء والفطنة، يعتبر أن اسرائيل لوحدها ينبغي أن تبقى إلى ما لا نهاية، أكثر قوة من كل العرب مجتمعين. فإذا تعذّر على إسرائيل البقاء إلا بهذا الثمن، وجب قطع الرجاء بمستقبل إسرائيل!

مليونا رجل على الأكثر تجاه ثلاثين أو أربعين مليوناً: تلك هي الوضعية الديمغرافيّة بين إسرائيل والعرب. وحيّزات (مساحات) تبلغ مئة ضعف في جهة أكثر منها في الجهة الأخرى.

أتتّكل إسرائيل على القوّة وحدها لإبقاء العرب في حال الخيبة حتى منتهى الدهر؟ فلئن كانت تبغي السلام فبغير هذه الوسائل يمكنها أن تحصل عليه.

ويتوجّب على السيد بن غوريون الذي أعاد تشكيل حكومته وسط تفتّت الأحزاب السياسية، والذي يأمل أن يحكم حتى نهاية مدة سلطته التشريعيّة في العام ١٩٥٥، أن يتعوّد مع وزير خارجيّته على الرويّة. فكلّما سارعا إلى التفكير مستقبلاً بالحدّ من مطامحهما، نهائياً وعلانيةً، كان تحقيق السلم أسرع.

غير أن الدول العربية لن تتوقّف عن التسلّح، كما لن تتوقّف عمليّة تسليحها. وسيصبح عادياً التفكير بأن مصالح الغرب برمّته تتقدّم على مصالح إسرائيل، وأنه من غير المعقول دفع العرب إلى حلول أقرب إلى اليأس.

إنّ مغامرة اسرائيل تبقى، بالرغم من جميع الأوهام والدعاوات، أكثر مغامرات العالم لا معقوليّةً. ولا يزيل لامعقوليّة هذا الأمر أنّه صار مألوفاً. فالسيد بن غوريون والسيد شاريت يدّعيان العمل بكلّ قوّة، لجعل القدس عاصمة لهما، لكي فيما بعد يتدفقان مع سيل هجرتهما إلى الدول المجاورة ومع ذلك فهما يودّان أن لا يتسلّح العرب. ففي حين لا يخفيان إرادتهما في توسيع رقعة أرضهما ما إن يشعرا بقوتهما على فعل ذلك، فإنهما يريدان في ذات الوقت أن لا يبدي جيرانهما أي حراك.

لن يبلغ مثل هذه الحال إلا من أصيب حقاً بالعمى.

فمن أجل وقف سباق التسلّح وتحقيق السلام في المشرق، هناك شرطان أساسيّان لا بدّ منهما: الأول أن يتمّ تدويل القدس وذلك بوجود دولي فعليّ فيها؛ والثاني تأمين ضمانة تعاقديّة دوليّة تغطّي الحدود العربو–إسرائيليّة. والواضح أن الاعلان الثلاثي الأحادي الجانب، الصادر عام ١٩٥٠، غير كافٍ.

في ما عدا ذلك، لا بريق أملٍ يُرى في الأفق. بل يفترض الأمر، فوق ذلك، حلاً إنسانياً لقضيّة اللاجئين المأساوية، ومن دون هذا الحلّ، سيستمرّ التسلّح ويتعذّر الشفاء من حال الجنون القائمة.

٣١ كانون الأول ١٩٥٢

صرخة القلب

منذ أعلن بن غوريون أن القدس هي عاصمة إسرائيل «كما أن واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة»، وأن الهجرة سوف ترفع عدد سكان إسرائيل إلى خمسة أو ستة ملايين، ازداد القلق في الشرق الأدنى. ولقد اتّسع هذا القلق أيضاً في جميع البلدان التي لا تقف من فلسطين التعيسة موقف اللامبالاة: أي المسكونة كلّها على وجه التقريب.

إلامَ تحتمل الأمم المتحدة (أو المفكّكة) هذا التحدّي للحقائق والعقل؟ ومتى ستُفتح العيون على هذا المشروع العرقيّ الأكثر تجرّؤاً، والأكثر لا معقوليّةً، والأكثر هولاً في هذا العصر؟

إنّ نموّ إسرائيل لا يتمّ، ولا يمكن أن يتمّ إلا على حساب جيرانها. وان تعتبر إسرائيل حدودها الحالية (التي تفصل ما بين مصر والأردن، وما بين افريقيا وآسيا) بمثابة حدود نهائيّة، فإنّنا نعرف ما يعنيه ذلك. فنحن نذكّر منذ سنوات، أن أسرائيل تسعى، مرحلةً بعد مرحلة، إلى تحقيق حلم امبراطوريّ، لما فيه شقاء إسرائيل وجيران إسرائيل.

لقد بدأ يتحقّق ما كنّا رأيناه آتياً من أمدٍ بعيد، وها هي الانتي–ساميّة تزداد في العالم. ويجري التساؤل في كل البلدان، لماذا لا يذهب اليهود لتحقيق الرفاهيّة في ديارهم، في البلد المستقلّ الذي أعطوه لأنفسهم

بديل ممارسة الحكم على الآخرين؟ وها إنّ العرب ينظرون بخوف إلى هذا الدفق المستمرّ من البشر الآتين من كل جنبات الأفق، بل إلى هذا التهديد الدائم لهم.

مَن يصدّق للحظة أن السلام يمكن أن يتحقق في ظلّ الأوضاع التي نحن فيها؟ ومَن ذا الذي يعزو إلى العرب هذا القدر من السذاجة والبلاهة بحيث يسمحون بغزوة تجعل حدودها المضمرة، في المستقبل، في أعالي ميزوبوتاميا وصولاً إلى مدينة كلدان القديمة؟

ولا يكفي أن يكون ابراهيم قد أتى من «أور» لجعل كل هذا ممكناً. لكن اليهود، بانتظار ذلك، يعدّون لأنفسهم حياةً لا تطاق في الغرب كما في الشرق. مع أن فيهم أشخاصاً متّزنين يعرفون ذلك جيداً، وأشخاصاً حكماء يعترفون به.

نحن لا ننكر عليهم أي شيء من ذكائهم، ولا من قوّة نشاطهم. وليس من ينصفهم أكثر منّا إزاء هذا الجنون. ولذا نقول إنّ مثل هذا الذكاء يُضلّ ومثل هذا النشاط يفضي إلى الدمار. فليس ممكناً أن تبقى إسرائيل منعزلةً من دون عقاب في ما هي عليه من ممانعة للتكيّف والتحوّل في العصر الذي يشهد علاقات قربى عميقة بين الديانات التوحيديّة. ولأن النكبة ستحلّ على إسرائيل وعلى جيرانها، نحاول نحن أن نتجنّب النكبة.

ولسنا نكتب ما نكتب لنقص في التفاؤل، وإنّما نكتب بالعقل المجرّد، عقل يرتكز على الأحداث، على التجربة، على سريان الدم، على أكثر مما هو ملموس، وما هو مادي في الحياة.

أما على صعيد الزمن، فإنّ مشروع إسرائيل يقود حتماً إلى الحرب: حرب يستحيل على الغرب أن يبقى غريباً عنها.

وأما على صعيد أوسع، عنيت الصعيد الكوني، فلطالما أشرنا إلى أنّ إسرائيل تفضّل بالتأكيد وقوع حرب عالميّة على (إعلان) إفلاسها.

فما العمل لمنع النكبة؟ لقد ردّدنا مراراً حتى ملّ منّا القارئ: «يجب تدويل القدس، ليس شكلياً، وإنّما بحضور دولي فعليّ. كما يجب إعطاء جيران إسرائيل ضمانات دوليّة تعاقديّة، بحيث لا تستطيع نقضها أية إرادة أو أية مكيدة، أو أي عمل عنف».

إنّ الاعلان الثلاثي، الساري المفعول، والملزم لجانب واحد، لا يفي بالغرض وإن تمتّع بحق سلطة الوصاية. وأما بخصوص اللاجئين، فلا بدّ من وقف اتخاذهم «ذريعة» لعمل إحسان إنسانيّ وهم بكل أسف اصبحوا كذلك، إذ من حق هذه الجماعة الحيّة والمتألّمة أن تستردّ ديارها.

١٦ كانون الأول ١٩٥٣

زمن الغضب

لئن ظلّت الصهيونيّة، في نظرنا، خطراً جسيماً، وإحدى الضلالات الكبرى في العالم المعاصر، فليس في وسعنا، تحت أيّ ظرف، القبول بأي تبرير خلقيّ أو سياسيّ لبعث الانتي–ساميّة.

إنّما الديانة هي ديانة وحسب، أي أنّها قضيّة شخصيّة وفعل إيمان. إنّ اضطهاد امرئ من أجل إيمانه هو مخالفة للحق الطبيعي وللحق الإنساني. وإذا كان الاتحاد السوفياتي يضطهد يهوداً لمجرّد كونهم يهوداً، فهذا سبب إنساني لكره النظام الشيوعيّ ولما يمثّله من عنف وأحقاد. ولكن الغريب أيضاً أن نجد هذا القدر من اليهود في السياسة وفي الحكومات وفي المجالس النيابية، خلف الستار الحديدي وما دونه.

إنّ ميل اليهود إلى السياسة يتخطّى ميل بقيّة البشر أجمعين. هذا أمر لم يجرِ النظر فيه كفايةً، إذ هو يفسّر النزوع الطبيعي اليهودي باتجاه ما هو ثوروي كما باتجاه ما هو دولي.

فمنذ قرن على الأقل، وفي كافة النظم الليبراليّة، تجاوزت نسبة اليهود في حياة الغرب السياسيّة أهميتّهم العددية بشكل مفرط. فإذا كان

اليهود، وقد أنشأوا الآن دولة إسرائيل، لن يقلقوا لردّات الفعل الخارجيّة نسبة لإسرائيل، فإنّهم سيعرّضون أنفسهم للأسوأ. إنّهم سيتعرّضون للبليّة في عدة بلدان في الغرب. وها قد انقضى زمن طويل ونحن نرى ونكتب ذلك. ولسنا وحدنا مَن يراه ويكتب فيه. ويصدف أن يكون الشرق الأدنى،حيث يزدهر التسامح الديني الأفضل، هو الذي يتحمّل التبعات الدراميّة لعمليّات النبذ العنصري التي مارسها الغرب.

فليس من المعقول التسليم بأن تكون إسرائيل دولة طائفيّة وعرقيّة كما هي، من جانب، وأن يعتبر وضع اليهود في بقية أنحاء العالم، وضعاً انتي–عرقياً وغير طائفي، من جانب آخر، إن في ذلك تناقضاً غريباً يأباه العقل ويصعب أن يتقبّله أكثر الناس سذاجة.

إن اضطهاد البلدان السوفياتيّة لليهود الآن طمعاً في نيل حظوة لدى العرب، بعد أن كانت هذه الدول ذاتها قد دعّمت بشكل مطلق سياسة إسرائيل، لأمر يدعو اللبنانيين الى الحذر. فليس ثمة انتهازيّة أبعد من هذه الانتهازيّة.

ولكن يخطئ الغرب إذا ما اتخذ من موقف السوفيات تجاه اليهود سبباً لدعم مركز إسرائيل ومطامحها.

فكل ما يستطيع الاتحاد السوفياتي أن يقوم به من ظلم وقسوة، لن يغيّر شيئاً من ضرورة تدويل القدس، وإعطاء العرب المهدّدين في ديارهم، الضمانات الحاسمة.

فمن غير المسموح الوقوع في أيّ شكل من أشكال الالتباس.

وأن تهاجم مفوضيّة الاتحاد السوفياتي في تل أبيب وأن يصاب ثلاثة أشخاص بجروح بينهم زوجة الممّثل الديبلوماسي للاتحاد السوفياتي، فهذا ما يؤسف له شديد الأسف. إذ لا يجوز، بأي ثمن، أن يتأزم الوضع وأن يندفع الغضب الإسرائيلي باتجاه ارتكاب ضلالات أُخَر. إنّ عواقب أحداث كهذه لا يمكن حسبانها.

وأياً كان شجبنا للصهيونيّة ولسياسة إسرائيل، نجد من المعقول التنبيه إلى المخاطر التي يمكن أن تجرّ إليها الانفعالات والميول الإرهابيّة بحجة الثأر.

فعلى الصهيونيّة أن تتحلّى بالحكمة، وعلى اليهود أن يترصّنوا إنْ هم أرادوا أن تذوق اليهوديّة العالميّة السلام الذي هو من حقها.

١٢ شباط ١٩٥٣

الشقاق ما بين معسكر كارل ماركس وذريّته

قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته الديبلوماسيّة مع إسرائيل. ليس ذلك بالنبأ اليسير، وإنّما ينبغي تعليله كما يجب.

لقد جاءت القطيعة بعد اعتداء تلّ أبيب بسرعة هائلة. لكأنّما كان الاتحاد السوفياتي، كما يُقال، لا ينتظر سوى هذه السانحة. لكن ذلك يبيّن أمراً إضافياً من أن سياسته الجديدة الانتي – يهوديّة هي سياسة جرى التفكّر والتشاور بشأنها مسبقاً.

إنّ الطابع المسرحي لهذه السياسة يثبت السعي للتأثير على الرأي العام العالمي؛ وخاصة على الدول العربيّة التي تحيط بإسرائيل، والتي هي أكثر حساسيّة تجاه كل دعم ضدّ إسرائيل، سلبياً كان أم إيجابياً، وأنّى كان مصدره.

فمنذ فترة، والاتحاد السوفياتي يظهر حذراً مطلقاً تجاه اليهود.

وإذا حدث صدفة أن هذا العدد الضخم من اليهود قد انخرط في مؤامرات حقيقيّة أو مزعومة في البلدان الدائرة في فلك الاتحاد السوفياتي، فإنّه يكشف، على أي حال، سعة الوجود اليهودي في سياسة هذه البلدان كما في سياسة الغرب المضادة.

وممّا يسترعي الانتباه أن أعمال القسوة التي يمارسها تلامذة كارل ماركس إنّما تُوجّه الآن إلى أبناء ذريّته. وهذا يظهر أيضاً كم هو الغليان الوراثي وكم هي التناقضات في تركيبة الموقف اليهودي عامة، إزاء الفلسفات والسياسات المعاصرة. وما من شكّ أن في دولة إسرائيل من الشيوعيين ما يزيد على أيّ من البلدان العربية.

ولقد رأينا أول من أمس مظاهرات مضادة يهوديّة شيوعيّة في تل أبيب لم تخلُ من أعمال العنف. وتقول البرقيات إنّ عدد المصابين بلغ تسعة عشر جريحاً.

هل سيترجم ردّ فعل العرب، إزاء قطع العلاقات الديبلوماسيّة بين السوفيات وإسرائيل، بردّة شعبيّة لصالح الاتحاد السوفياتي؟ لئن حصل ذلك، فلن يكون سوى مجرّد مظهر. إذ ان العرب سيوازنون بين الروس والأميركيين، وبالتالي بين سياستَي البلدين إزاء إسرائيل. وسيضعون من دون شكّ محصّلة لخيباتهم ومصائبهم.

غير أنّهم لا يعتقدون بأن ما يجري إنّما يجري حبّاً بهم. وهم لا يرون فيه سوى نادرة لبقة تظهر الأهمية المتعاظمة، بل الأهمية القصوى للشرق الأدنى ولآسيا الجنوبية.

قد يكون موقف الروس إشارة نذير لعمليّة عنف وشيكة على غرار حرب كوريا في مكان ما من الشرق الأوسط بدلاً من الشرق الأدنى. إنّ ما تهيّئه السياسة الروسيّة الانتي–يهوديّة ربّما يكون ألْهِيَةً في مكان ما حيث تأثير الاسلام لا يذهب سدى.

فهل ستضاعف الولايات المتحدة اهتمامهابإسرائيل تحت ستار التعويض عليها وكرهاً بالاتحاد السوفياتي؟ إنّنا نشكّ في ذلك. ولكن ما هو واضح أن ناشطين يهوداً يعملون داخل المعسكرين. وهو ما تكشف عنه بنوع خاص قضايا التجسّس لصالح الاتحاد السوفياتي التي تفشّت في الغرب، ولاسيّما في حقل الطاقة الذريّة.

بكل موضوعيّة، ومهما كانت النظرة إلى دولة إسرائيل (كما كنا نقول بالأمس)، فلا بدّ لهذه الدولة من أن تقلّل من نفقاتها، وأن تعتدل، وأن لا تثير أحداً إذا كانت تطمح إلى مستقبل غير مأسوي. عليها أن تطلب من الإدارة الجمهورية للولايات المتحدة التعريض بنفسها من أجلها مثيرة المزيد من السخط في العالم العربي. وعلى إسرائيل أخيراً أن تكفّ عن دغدغة حلمها بضمّ القدس كلّها والتوسّع باستمرار.

إنّ الخط السياسي المتبقي لإسرائيل هو أن تقبل التدويل الفعلي للأماكن المقدّسة، وأن تشرع في التفاوض بهدف إعطاء العرب ضمانات

أرضيّة ودوليّة وتعاقديّة وحاسمة (وليس بين هذه النعوت ما هو فوق الحدّ، لاسيّما الأخير منها).

فإذا ما ظلّت إسرائيل متماديةً في تعنّتها، وماضيةً في الطريق الملتوي حيث هي، فستصبح في نظر الولايات المتحدة كما في نظر الغرب دولةً لا تُطاق.

ولسوف ترى الولايات المتحدة نفسُها كم أن صداقة إسرائيل هي وهميّة، وبالقدر نفسه مثيرة للمتاعب.

١٣ شباط ١٩٥٣

عرض وجيز برسم السيّد جون فوستر دالس

ترتسم سياسة أميركيّة جديدة إزاء الشرق الأدنى (أو «الشرق الأوسط» وحسب، بإعتبار أن الشرق الأدنى والشرق الأوسط يجري الخلط بينهما بطريقة تعسّفيّة)، وسيزور السيد فوستردالس شخصياً «الشرق الأوسط» (أي بدءاً بالشرق الأدنى).

إنّ دولة إسرائيل لن تبقى عماد سياسة الولايات المتحدة في المتوسط الشرقيِّ. ولن تنعم بعدها بقسط المحبة الذي تعهّدها به الأميركيون منذ ولادتها. ولن تبقى سياسة الولايات المتحدة تحدّياً دائماً للأمم العربيّة كما هي الحال منذ زمن بعيد.

يقع مجمل هذه الأنباء موقعاً حسناً في النفس، ونتلقّاه باستبشار. فأن تقوم أخيراً أول قوّة في العالم باعتماد المزيد من الانصاف في سياستها الشرق-أدنويّة لأمر يهمّنا إلى أقصى حدّ. إنّ فاجعة إسرائيل لم تتم و لم تتفاقم إلا بفضل العطف الأميركي عليها. فالتشجيع والسلاح جاءا من هناك. والدولارات كانت تنهمر على الوطن اليهودي في حين أن الولايات المتحدة كانت بالكاد تناقش مع العرب أقلّ مساعدة مادية لهم.

وهكذا، بعونٍ فعّال من الولايات المتحدة، كان تحريض إسرائيل يكبر.

يؤكدون لنا أن هذا الأمر سيتغيّر. إننا نأمل ذلك ونجهد كي نصدّقه. فليس من صنو للظلم إلا الاثم. لقد كان لزاماً أن تقطع العلاقات بين الاتحادالسوفياتي وإسرائيل لردّ الولايات المتحدة عن تعنّتها. ولكن لا بدّ من التسليم ههنا، بأن حكومة الرئيس إيزنهاور ليست كتلك التي كانت للرئيس ترومان.

إنّ أميركا تستفيق من حال النوام التي جعلتها فيها إسرائيل، وناخبو ولاية نيويورك بشكل خاص. هذا أفضل للعرب وأفضل لليهود، لأنّنا كنا سائرين نحو النكبة. ولطالما غفلوا عن أن حياة دولة إسرائيل كما هي، ليست سوى خدعة كبرى.

فإسرائيل لا يمكنها أن تبقى معسكراً منعزلاً ورأس جسر حتى منتهى الدهر. ولئن استمرّت أميركا في تحيّزها، فإنّ انفجاراً رهيباً سيقع.

غير أنهم يؤكدون لنا أن وجهة نظر أميركا تتغيّر، وأن السيد فوستر دالس سيأتي ليقول لنا ذلك، وإنّما في الخفاء. نأمل أن لا يكون كلام السيد فوستر دالس كثير الخفاء. فلقد حان الوقت للتحدّث بتعابير واضحة وبصوت عالٍ. فإذا استمرّ الالتباس كان الشكّ والحذر أسوأ من ذي قبل.

لكن لا بدّ من التفاهم. إن مشكلة اسرائيل هي مشكلة سياسيّة، وقبل أن تكون سلسلة من قضايا مادية، فإنّها متعلّقة بالسياسة. وبعد، فإن كانت معالجة حالة اللاجئين المؤسفة بروح إنسانيّ أرحب تقتضي العجلة، فيجب أن نتذكّر بأنّ الأعمال السياسية الكبيرة وحدها يمكنها أن تحلّ الأزمة. ومن هذا الجدل تبرز حقيقتان كأنهما جملتان تختصران النقاش كلّه.

إنّ الضمانة الدوليّة التعاقديّة لحدود إسرائيل مع كل جيرانها مسألة تفرض نفسها. وتدويل القدس ضرورة مطلقة. والوجود الدولي الفعلي في القدس، وحده، يستطيع أن يمهر الإرادة الدوليّة بحيث تحول دون أي تعدّ جديد تقوم به إسرائيل، ودون أي توسّع في رقعة أرضها.

إنّ العرب يعيشون في هاجس الأطماع الأرضيّة لدى إسرائيل؛ ولديهم اليقين بأن اسرائيل تبتغي الاستيلاء على ما تبقّى من المدينة المقدّسة.

منذ أعوام ونحن نردّد: لا صهيونيّة من دون صهيون. وهذا هو بالضبط ما تثور عليه المسيحيّة والاسلام. فلن يكفي أي تأمين، ولا أيّ تسامح ولا أية تسوية. يجب تدويل القدس. فلا يجوز أن تصبح القدس عاصمة لإسرائيل مهما كلّف الأمر. فإذا كانوا لا يرغبون في أن تنتهي مغامرة إسرائيل في الحقد الدائم وفي الدم، فإنّ ما قلناه سيبقى حقيقة ساطعة إلى يوم القيامة.

إنّ السيّد فوستر دالس هو قريب جداً من القيم الروحية الأساسية كي لا يتجاهل ذلك. فالشعور الديني يسود محيطه وتفكيره في آن. إنّ البشرى الكبرى هي حين نسمعه يعلن بأن القدس ستدوّل فعلياً (لا اسمياً)، وأن أهمّ موقّعي حلف الأطلسي بمن فيهم المتوسطيّون، سيضمنون الحدود العربية – الاسرائيلية. يضاف إليه عمل المستحيل لإعطاء اللاجئين حقوقهم.

فإذا أصبحت هذه الأمور الثلاثة التعبير الرسمي للمشيئة الأميركية، عندها سيبدأ العرب يفكّرون بالسلام مع إسرائيل. وما لم يتحقّق ذلك، سيضيع كل رجاء كما لو كان الوضع على حافة الجحيم.

٥ آذار ١٩٥٣

تمهيد لزيارة السيد فوستر دالس

ستُعلَّق أهمية كبرى على الزيارة الوشيكة لأمين سرّ الدولة في الولايات المتحدة إلى الشرق الأدنى وهي أهميّة تستحقّها.

ويُرجى بادئ بدء، أن لا يخلط السيد جون فوستردالس، في ذهنه على الأقل، ما بين الشرق الأدنى والأوسط، فلا يحملنه داء (النظرة) الاقليمية إلى ارتكاب هذه الإساءة إلى المنطق وإلى التاريخ. وما من شك أنه يميّز ما بين الحياة الروحية للمتوسط وتلك التي للمحيط الهندي.

ثم إن السيد جون فوستر دالس سيدقق النظر في مسائل تسترعي اهتمام العالم:

- علاقات الغرب، ولاسيما الولايات المتحدة، بالعالم العربي.
- الدفاع المشترك المتوسّطي باعتباره أيضاً دفاعاً لا يتجزأ عن الشرق الأدنى الآسيوي والافريقي والأوربي.
- علاقات العالم العربي مع إسرائيل.

وما سيراه السيد فوستر دالس سيضحي في ناظريه، ربّما، حقيقة طالما تجاهلتها بلاده حتى الآن أي: **تقديم السياسي على الاقتصادي في كافة النقاط الأساسيّة.**

فلو كانت مصر، مثلاً، تستهدف المغانم الاقتصادية أولاً لما كانت

تتورّط في الاضطلاع، على عزلة نسبيّة، بعبءٍ مرهق هو حماية منطقة قناة السويس. وكذا القول في الدول العربية، فهي في موقفها من إسرائيل تنظر إلى شرفها وأمنها قبل أن تلتفت إلى ازدهارها.

فمن شأن زيارة السيد فوستر دالس أن توضّح الدور المركزيّ للشرقين الأدنى والأوسط في عالم اليوم. وهي تُظهر، بفضل الاهتمام المتجدد للولايات المتحدة، أن حكومة واشنطن تنوي اعتماد سياسة غير مادية وغير فئوية وغير عاطفية في مناطقنا، وإنما سياسة ذات طابع عالمي، سياسة إنسانيّة ترقى إلى مستوى القلب والعقل ولا تقف عند مستوى البطن وحسب.

وما يدركه العرب، من جهتهم، حتى الآن، إدراكاً كافياً، **إنّما هو الأهمية الفائقة لأراضيهم** (إذا قيست بضعف وسائلهم) **وعطوبيّتها ايضاً كونها مجالهم الوحيد**. هذه الوضعيّة الجغرافية، مهما كانت مثيرة للحميّة، فهي خطرة بذات المقدار إذ تفرض علاقات لا مفرّ منها مع القوى العظمى.

ولكي يرى كل هذا بشكل أوضح، ولكي يضيء عليه من كافة جوانبه، سيمضي السيد فوستر دالس ثلاثة أيام في القاهرة وثلاثة أسابيع في الشرقين الأدنى والأوسط.

ولكن ما هو مستبعد بشكل نهائي: **إنّما هو حياد العالم العربي إذ لا تُحيَّد الطريق البحرية والجوية الرئيسة في الكرة الأرضيّة، ولا يُحيّد مركز الجاذبية في العالم القديم.** إنّ قوة وعظمة الاسكندر الكبير وامبراطوريّته، لو كانت امبراطوريته باقية، لما كانتا كافيتين لذلك.

إنّنا نأمل أن تتحسّن العلاقات العربية – الأميركية وعلاقات أوربا بالعرب أيضاً. وبإزاء أمبرياليّات مستحدثة، تضحي امبرياليات الماضي التي في طور الاختفاء (على شاكلة الكومنولث البريطاني) الأحلاف الطبيعيّة للمستقبل وضمانته. هذا هو تطوّر العالم. فلم يعد في الأرض من عزلة سياسيّة إلا وهي من الجنون.

إنّ النقطة الأساسيّة في زيارة السيد دالس، ليست في نظرنا، الدفاع المشترك (والذي سوف يتم بوجه من الوجوه) إنما هو موقف العرب إزاء إسرائيل.

لقد عمد الأميركيون، حتى مجيء الإدارة الجمهورية، إلى إكراه العرب لصالح إسرائيل. ومارسوا التعسّف على المسيحيّة والاسلام معاً. وقبلوا بل شجّعوا على المستحيل ضمناً وهو غزو القدس. واعتبروا أن العالم العربي الآسيوي مدى حيويّ لإسرائيل المتنامية. **هذه هي البلبلة الفكريّة والسياسيّة التي يجب أن تتوقّف.**

ونتمنّى أيضاً، أن يقتنع السيد فوستر دالس بأنه **لا حلّ آخر لمأساة إسرائيل خارج التدويل الفعلي للقدس والضمانة الأوليّة التعاقديّة للحدود العربية – الاسرائيلية.**

إن الكلمات التي تبادلها الرئيس إيزنهاور وسفيرنا في واشنطن بمناسبة تقديم السيد شارل مالك أوراق اعتماده الجديدة، لتبعث على الارتياح. فهي، بحق، تفترض اعتماد الحلول التي نادينا بها منذ أمدٍ بعيد. ومنيتنا أن يكون صداها عميقاً، وأن تخرج الحقيقة أخيراً من البئر حيث ألقيت كما فعل أبناء يعقوب بأخيهم، فأصابها الضنى والفشل.

فعلى زيارة السيد جون فوستر دالس يتوقف، إلى حدّ بعيد، النظام والسلام بالنسبة إلى الولايات المتحدة وإلى الشرق الأدنى بأسره.

٦ أيار ١٩٥٣

المنفذ الوحيد

للمرة الأولى، في ما نعلم، توصي جريدة بريطانية كبرى صراحة بتدويل القدس.

وإذ تعدّد «الإيكونوميست» (في مقال بعنوان «السيد دالس والعرب»، عدد ٩ أيار) الشروط لحلّ النزاع الفلسطيني، فإنّها تقترح، بالإضافة إلى ما تقترح من وسائل سياسيّة واقتصادية، «إصراراً مناسباً» a dignified insistence كي يطبّق قرار الأمم المتحدة القاضي بجعل القدس «كياناً مستقلاً بذاته».

أما ضرورة ضمانة الحدود العربية – الاسرائيلية دولياً، فتراها الإيكونوميست على شكل تقوية للضمانة الانغلو–فرنكو–أميركية الأحادية الجانب، وذلك بفرض حدود دائمة ومقبولة من الوجهة الاقتصادية.

وتقول «الايكونوميست» إنّ أسلوباً كهذا قد يفرض اللجوء إلى القوة.

وقبل ذلك، كانت «الايكونوميست» قد اعترفت بالضعف الاقتصادي البائس لكل من إسرائيل والأردن اللذين يعيشان، الواحد والآخر، بفضل مساعدات الغرب لهما.

وفي الختام، تبدي «الايكونوميست» هذه الملاحظة اللاذعة التي تلتقي مباشرة بما أبديناه أول أمس من ملاحظات هنا بالذات (وتحت عنوان: السيد فوستر دالس في الشرق الأدنى): «إذا كان الأمن في الشرق الأوسط له الأولويّة في اهتمام السيد دالس، فسيتضح له آنذاك أن خطر الحرب بالنسبة إلى العرب لا يكمن في روسيا وإنما في إسرائيل». أما النص الذي كتبناه فكان التالي: «**إنّ النزاع العربي – الاسرائيلي هو أشدّ خطورةً بالنسبة إلى العرب من أي نزاع عالمي**، الأمر الذي لم يُدرك بعد في واشنطن».

إنّها لتعزية لنا، أن نلقى، بعد هذا المقدار من الأدلّة والجهود، صدى حاسماً كالذي حملته «الإيكونوميست» إلينا. إنّها لتعزية وتشجيع أيضاً. وبعد، فإنّها الحقيقة تنتصر والحق المبين يسطع. وليس هذا بالأمر اليسير بالنسبة إلينا أن تصل «الإيكونوميست» إلى الخلاصة التي هي بالفعل خلاصتنا.

وإنّنا لنحتفظ، من مقال الصحيفة الانكليزية الكبرى، بسطرين على حدة، لكونهما تتويجاً لوجهة نظرنا، وقد جاء فيهما: «لا يمكن كسر الحلقة إلا بالاقلاع عن التوهّم بأن المقاومة السياسية يمكن تذليلها بوسائل اقتصادية من دون الاستعانة بخطة سياسية واضحة المعالم...».

وهذه الخطّة السياسيّة **ليست سوى الضمانة الدولية التعاقدية لحدود معدّلة بشكل معقول، وهي تدويل القدس.** هذه هي الخطة، وليس من خطة سواها على الإطلاق.

فليُسمحْ لنا أن نجدِّد ندائين ملحّين: الأول، مليء بالوقار نرفعه إلى الكرسي الرسولي المقدس كي يعبّر عن إرادة الأب الأقدس في تدويل القدس بفعل وصايته عليها بحيث يبقى ذلك في أذهان الأرض قاطبة. والثاني موجَّه إلى الدول العربية، كما إلى دول الغرب، كي يتحسّسوا أكثر بإتّساع واجباتهم وبقداسة قضيّتهم.

وفي حين يتنقل وزير خارجية إسرائيل السيد موشيه شاريت من بلد إلى بلد في أميركا اللاتينية، ومن عاصمة إلى عاصمة في المنطقة ذاتها (وقد زار ريو دي جنيرو، وبوينس ايريس وسنتياغو في تشيلي ومومنتفيديو) داعماً سياسة إسرائيل، فإنّ الحكومات العربية الضائعة في أحلامها والغارقة في نزاعاتها الداخلية، تبدو جاهلة لكل ما يتصل بمسار العالم.

هناك مشكلتان كبريان بالنسبة إلى العالم العربي تسودان ما تبقّى من قضايا: إسرائيل والدفاع المشترك، هذا هو بيت القصيد.

١٤ أيار ١٩٥٣

من السويس إلى القدس

لقد فشلت المفاوضات الانكليزية–العربية مؤقتاً على الأقل، لأنّهم سيعاودونها عاجلاً أم آجلاً. لكن الوقت الذي أضاعوه فيها والتذمّر الناتج عنها لمن أكثر الأمور سلبيّة وأشدّها إضراراً بالعرب.

فلنتفاهم في ما بيننا: هل المشكلة المركزية في العالم العربي هي مشكلة قناة (السويس) أم مشكلة إسرائيل؟ من واجبنا أن نقول لمصر ومهما بلغ شعورنا الأخوي نحوها، أن التورّط في موضوع القنال إنّما هو بالتأكيد ابتعاد عن المسألة المركزية.

فلإسرائيل طابع مختلف من حيث كونها مسألة أساسيّة وذات استمراريّة في آن. فهي تهدّد العالم العربي بأكثر مما يهدّده وجود في القنال. ومهما بدا هذا الوجود مثيراً، فإنّه يظلّ، على صعيد مطلق، وبالنسبة لمصر ذاتها، ضمانةً في وجه أعظم المخاطر.

ليس من مجال للتوهّم. فلئن كان الوجود البريطاني في نقطة الوصل بين افريقيا وآسيا ناتجَ معاهدةٍ مشروعيّتها عرضة للجدل، وتمّت الاستعاضة عنها بوجود عربي – غربي بموجب معاهدة أخرى، فسيتيح ذلك لمصر التي لم تعش خلال الحروب الكبرى على سرير من ورد، أن تذوق مزيداً من طعم الراحة. غير أن حماية مصر تقتضي مسبقاً حماية العالم العربي الآسيوي وبالتالي حمايتنا.

إنّ الخطر يأتي الآن من الشرق ومن الشمال. في الماضي، وزمان واقعة العَلَمَين، كان الخطر يأتي من الغرب. ولكن منذ خمس وعشرين سنة كان الألمان والترك يهدّدون الممر العالمي من الشرق، وسواء داهمنا الخطر من الشرق أم من الغرب، فسيبقى القنال هدفاً. ومنذ انتصار الشيوعيّة، صار خط الدفاع المؤكد باتجاه الشرق.

ألا يرون في القاهرة أن الزمان يسرع وأن اسرائيل تترسّخ وأن حظوظها تكبر؟ ألا يرون أن التماهل في الحوار بين مصر والغرب الذي يتوسّلها، إنما يشجّع روح الثورة؟

وبعد، فأيّ ضير في البحث عن حلّ يُحسم به النزاع الأنغلو–مصري في شبه جزيرة سيناء على مثل ما هو وضع الأميركيين في أوربا؟ ألا يُقال إنّ شبه الجزيرة هذا إنما جُعل لمثل هذا الاستعمال؟ ومن هناك يمكن أن ينطلق الدفاع عن افريقيا والشرق الأدنى مجتمعين.

إنّ واجبنا، والعالم على ما هو عليه، يفرض أن نذكّر، بأن قضية السويس تستطيع الانتظار إذا ما اقتضى الأمر ذلك. **أما الذي لا يحتمل الانتظار فهو الضمانة التعاقديّة العربية – الغربية بوجه توسّع اسرائيل، وهو أيضاً تدويل القدس.**

فإذا شاءت مصر، أو ارتضت ذلك، كان في وسعها أن تسدي خدمةً كبرى لنفسها ولكافة بلدان الجامعة العربية، إزاء إسرائيل، على أن تعود من بعد فتتدبر موضوع الدفاع المتعلّق بقناة السويس.

٢٨ أيار ١٩٥٣

من أجل سياسة أقلّ بؤساً

هل ينبغي التكرار بأن بلدان الجامعة العربية لا تعير فلسطين ربع الاهتمام الذي تقتضيه سياستها وشواغلها؟

ولو أنها فعلت لتضاءلت أهميّة قضايا تحولت لديهم إلى ما يشبه الوسواس.

إنّ الوضعية الحالية تفرض أن يكون العرب في حال تأهب دائم وتسلّح مستمرّ إزاء إسرائيل. إنّه الموقف نفسه الذي يقفه الغرب إزاء الشيوعية.

وبالفعل، يمكن طرح هذه المعادلة على اعتبار أنه، بالرغم من خطر وقوع حرب عالميّة، فإن الخطر الذي تشكّله إسرائيل بالنسبة إلى الدول العربية ليس أقلّ من خوف الغرب من مشاريع موسكو. وهذا هو بالضبط ما لا يراه الأميركيّون.

في موازاة ذلك، يفترض الوضع ازدياداً دائماً في قدرات إسرائيل عبر اختلال قوىً لا بدّ منه: في القوى العسكرية والقوى الاقتصادية وقوى العدوان، وقوى الاضطراب حاملة معها بشكل دائم مخاوف الانفجار.

ولو أن إسرائيل قيّدت مطامحها في حدود ما تملك، لما عاد من مسوّغ لوجودها. فسيظل عدد اليهود في العالم عشرة أضعاف أكثر ممّا في إسرائيل.

ثم إن النظر إلى دولة اسرائيل، من الوجهة الانسانية وحسب، وكما هي، لا يحلّ شيئاً من المعضلة اليهودية، ولن يحلّ شيئاً من هذه المعضلة العالميّة ما لم تتوسّع دولة اسرائيل بوتيرة سريعة أو بطيئة.

إنّ مبتكري «الوطن القومي اليهودي» لم يروا خلف هذا الوطن الوادع نموّ ظلٍّ لأمبراطوريّة، ولم يبن لهم أن إرادة الصهاينة تتجسّد في قيام وطن ذي بُعدٍ كونيّ.

فإذا لم يكن في نيّة دولة اسرائيل أن تزيد سكانها إلى حدّ تغصّ به الحدود، لما أعوزها المزيد من التوسّع في أرضها. وينسون في تل أبيب أن دولة الفاتيكان تكتفي بأربعين هكتاراً، في حين يبلغ عدد الكاثوليك أربعماية مليون من جهة، وعدد اليهود ستة عشر مليوناً من جهة أخرى: هذا هو حكم الواقع.

غير أن دولة إسرائيل مفتوحة ليهود المسكونة كما ينص دستورها وكما أعلنه حكّامها مئات المرات. من أجل هذا فإنّ دول الجامعة العربيّة لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحة. فلقد كتب عليها الأرق وحوادث الحدود التي ستتكرّر إلى حدّ الانفجار.

وكما أن الدول ذات الغالبيّة الكاثوليكية أو الأرثوذكسيّة أو البروتستانتية أو الاسلامية هي كثيرة في أرجاء الأرض لكل واحدة من هذه الطوائف، كذلك يتوجّب أن يكون لليهود أكثر من مكان يمكنهم فيه أن يتوالدوا ويتكاثروا من دون أن يسمّموا العرب الأبرياء بتهديداتهم.

ذلك ما تتجاهله السياسة الأميركية مع أن ولاية نيويورك تضمّ لوحدها أربعة ملايين يهودي. فهل نقترح، بكل سذاجة، على الرئيس ايزنهاور، أن يجعل من ولاية نيويورك دولة يهوديّة كما فعل سلفه بالنسبة لفلسطين؟

أجل، إن المسألة اليهودية هي من أشد المسائل تعقيداً وصعوبة.

فكأنها في ما نظن، تعود إلى أمر العناية الإلهية. غير أن ذلك لا يبرّر للغرب أن يلقي بكل ثقلها على أكتاف العرب لقاء فاتورة بالدولارات مبهمة. إنّ المسألة اليهودية كما يجهد البعض لحلّها في فلسطين بدت لبعض اليهود الأكثر بصيرة والأقل تهوّراً مدعاةً للخوف لديهم.

وفي هذا الوقت تنصرف بلدان الجامعة العربية إلى نقاشات مملّة تتحمّل الاعتبارات الاقتصادية الموهومة نتائجها. وهم يحرّكون الرأي العام بخصوماتهم الداخلية وبقضايا الكرامة الشخصية التي لم تعد أوربا الأبيّة نفسها معنيّة بها.

إنّ المشكلة الأولى للسياسة الخارجية وللسياسة الداخلية في الدول العربية إنما هي إسرائيل. وحتى مشكلة الدفاع المشترك، وإن كانت من ذات الدرجة، فإنّها تأتي في المرتبة الثانية. **إنّها من ذات الدرجة لأنّها واحدٌ من شروط حلّ الأولى. وبها يُتفادى حقاً خطرُ المشكلتين معاً.**

لقد انتهى زمن الصبيانّيات. فلنظفرْ بالضمانة التعاقدية الدولية لحدودنا، وبتدويل القدس.

ولننظّم في الوقت عينه (العلاقة) ما بين الدفاع الجماعي ودفاعات القوى العظمى التي تدافع عن حريات الروح وحريات البحار.

عندما ننتهج مثل هذه السياسة الكبرى يمكننا الانصراف إلى الاقتصاد بكل ارتياح.

٣٠ أيار ١٩٥٣

ديبلوماسيّة إسرائيل

ها إنّ العلاقات الديبلوماسيّة الروسيّة–الاسرائيليّة تعود إلى حالها. ونتساءل: أيّ من اللعبتين السوفياتيّة والإسرائيليّة كانت الأكثر غموضاً ومهارة؟

إنّ إسرائيل التي أنجبت مؤسسي الماركسية ورعيلاً من قادة الشيوعيّة، لديها أفكار ومواقف متناقضة. فهي إلى اليسار وإلى اليمين في الوقت عينه، وهي تجيد الذهاب حتى أقصى اليسار وحتى أقصى اليمين في آن.

والحقيقة أن سياسة إسرائيل الطبيعية تذهب إلى ما يتخطّى الشيوعية وما يتخطّى الديمقراطية. فهي سياسة مستقلّة بذاتها خاصة «بالشعب المختار»؛ سياسة هي في العمق ملكيّة تستوحي ملك داود، وتيوقراطية مبنية على الحق الإلهي تستوحيه من سفر القضاة، وأخيراً هي سياسة سرعان ما تتحوّل إلى فوضويّة إذا كان المطلوب زعزعة العالم. فتبعاً للظروف وتبعاً لمقتضيات الساعة تقترب إسرائيل من الاتحاد السوفياتي أو تبتعد عنه، تستعطف الغرب أو تجترئ عليه.

فهذا الشعب العجيب، الذي يدّعي، من جهة أنّه يخدم الحريّة حتى أقصى التطرّفات الثوريّة، هو ذاته الشعب الذي كان يدّعي، منذ ثلاثة أشهر، أنه منع عازف كمان شهيراً من عزف موسيقى ريشار شتراوس[1]، وذلك بإحراق يديه.

(١) ريشار شتراوس :(1864-1949) Richard Strauss أحد كبار الموسيقيّين الألمان، مؤلّف وقائد أوركسترا. تميّزت موسيقاه بالقوة، واعتبرها البعض، وخاصة من اليهود، جزءاً من يقظة الروحية القومية الالمانية التي أدّت إلى نشوء النازية.

في الواقع، لا بدّ للغرب وللاتحاد السوفياتي من أن يظلاّ في حالة حذر دائم إزاء إسرائيل. فهما يخدمان مخططاتها من دون أن يجدا فيها حليفاً أميناً. وهكذا يعيش في إسرائيل الحزب الديني والحزب الشيوعي وحزب الإرهاب اليميني جنباً إلى جنب ويتعاونون ضمنياً في ما بينهم.

وفيما تنتقل وزارة الخارجية في إسرائيل إلى القدس، تتوثّق العلاقات الديبلوماسية مجدداً ما بين الاتحاد السوفياتي وإسرائيل. إنّه لأمر جدير بالاهتمام. أما التعليل القانوني الذي تعطيه بعض القوى العظمى لهذا الانتقال، فنحن لا نوليه إلا أهميّة مثالية. إنّما القصد أن نعرف إذا كان الوزراء المفوّضون للولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة سيتّخذون القدس مقراً رسمياً لهم. وأخشى ما نخشاه أن ينتصر الأمر الواقع مرة أخرى على الرغم من التحفّظات التي لم تكتب لها الحياة.

أما إسرائيل فتبرز قدرتها بنشاطها الديبلوماسي والعديد من المبادرات الجسورة. في الوقت عينه، يستمرّ العرب في التشاور وهم أسرى ضعفهم المعهود.

فلو كان الأردن منطقياً مع نفسه، لكان نقل هو أيضاً وزارة خارجيّته وكل حكومته إلى القدس. عندها (وعندها فقط) ستخرج الأمم المتحدة من سباتها.

٢٢ تموز ١٩٥٣

خلاص القدس

لمرة، على الأقل، نرتاح إلى ردّ فعل بلدان الجامعة العربيّة إزاء نقل وزارة الخارجيّة الاسرائيليّة إلى القدس.

فثمة يقظة، ندّعي، على غير ما تواضع، أن لنا يداً في جزء منها. فلقد تغلّب هذا النضال الطويل، بل هذا الصمود الذي اتخذناه واجباً ومبدأً على غفلة الجامعة العربية وإجراءاتها العقيمة.

فمنذ العام الماضي، كنا نناشد حكومة الأردن أن تنقل إلى القدس وزارة خارجيّتها في حال عمدت إسرائيل إلى مثل ذلك من باب التحريض. هذه السنة، وقد وقعت عملية التحريض كما كان متوقّعاً، فإننا ندعو حكومة عمّان الى الانتقال بكاملها إلى القدس. وكان مثل هذا التدبير، في تقديرنا، الطريقة الوحيدة لإحباط مساعي إسرائيل وإعادة الأمم المتحدة إلى تحسّس واجبها الأكثر قداسة.

والحالة هذه، ها هو مجلس الجامعة العربية يتخذ قراراً بعقد دورته المقبلة في القدس. وها هو مجلس الوزراء الأردني لا يتعامى عن إمكانيّة عقد اجتماعاته في المدينة المقدّسة على شاكلة إسرائيل. وها إنّ الممثلين الديبلوماسيين لبلدان الجامعة يقومون بمسعى جماعي حثيث لدى حكومة واشنطن. كل ذلك لم يكن منه بدّ. فمن امتناع إلى امتناع، ومن كبوة إلى كبوة كان العرب يضيّعون أنفسهم وسط الصراخ والنقاشات المملّة.

ينبغي الانتقال من الاحتجاج الشفهي إلى العمل الدفاعي والرد على الفعل بالفعل. وعندما تثبِّتُ الجامعة العربية والأردن وجودهما في القدس بشكل كافٍ، فعندها يصبح تدويل القدس ضرورة راهنة، وكذا احترام القرار الرسمي للأمم المتحدة.

إنّ سلاماً ممكناً مع اسرائيل يبدو اليوم بعيداً ووهمياً أكثر من أي يوم مضى؛ وأقلّ من أي وقت سنستسلم لرغائبنا فنقع في مجّانية الشَرَك الذي ينصب لنا بعروض بخسة من الدولارات والليرات الاسرائيليّة التالفة بمثابة تعويض. إن حكاية الثلاثين فلساً لن تتكرّر[1]. وسيكون اللاجئون الفلسطينيون التعساء أول من يرفض ذلك مهما كان وضعهم مأساوياً.

لقد حان الوقت لدول الجامعة العربية أن تنهض للعمل في حين تسعى إسرائيل للضغط على كل القوى العظمى. إن القدس العاصمة الروحية لنصف البشرية لن تصبح العاصمة السياسية لإسرائيل ونقطة الانطلاق لمطامح الاستيلاء على أراضٍ جديدة ولدسائس لا نهاية لها.

إنّما المخرج واحد لا اثنان: **التدويل الفعليّ للقدس والضمانة التعاقديّة للحدود.**

وفي ما خلا ذلك، لا مكان لأيّ رجاء.

٦ آب ١٩٥٣

(١) إشارة إلى خيانة يهوذا للمسيح لقاء ثلاثين من الفضّة (متى ٢٦/١٥).

سياسة عميان

وبعد، أيّ إنذارات علنيّة، وأيّ حجج، وأيّ نداءات بإمكانها، أخيراً، أن تفتح عيون الأمم المتحدة وسادة العالم؟ أجل، إنّ إسرائيل تهيىءُ لخطر الموت من حولها.

فإسرائيل لا تنفكّ تتسلّح، والعرب يتسلّحون. ولها الآن من القدرة ما يكفي لتتوعّد وتهاجم. وتحريضاتها واعتداءاتها لا حصر لها. وحكومتها تأكدت بنفسها مما يستطاع كسبه من صبر الولايات المتحدة ومن فساد الأمم المتحدة. ولقد جاوزت الحد في ذلك.

إن المشروع المجسيّ[1] (الإسرائيلي) يتّسع في جميع الاتجاهات. وسيكون من سوء النيّة والكذب الإنكار بأن إسرائيل لديها في مخطّطاتها القريبة والبعيدة، تحقيق توسّعات إقليمية. وسواء أكانت القدس أم كان مجرى الأردن أم المرفأ بجوار العقبة أم حدود مصر، أم حدود أخرى، فإنّ الخطر ماثل في كل مكان.

إنّ الأمم المتحدة تتصرّف وكأنّ إسرائل دولة راضية، دولة ليس لها مطامع في حين أن رغباتها بادية للعيان. وبديل أن تضع الأمم المتحدة رادعاً لهذه الرغبات، وبديل أن تنقذ منذ اليوم سلاماً يزداد عطوبيّة، فهي تكتفي بإبداء بعض الإشارات «المحافظة» التي لم تعد تحافظ على شيء. والهدنة العربية – الاسرائيلية، بعد أعوام، صارت تقرّب الشرق الأدنى من الحرب أكثر من السلام.

(١) المجسّي أو التلمّسي tentaculaire: صفة المجسّ tentacule وهي زائدة لا مفصليّة قابلة للانمغاط والانكماش توجد عند بعض الحيوانات تمكّنها من القبض على فريستها أو التماس طريقها. ويستعمل ميشال شيحا هذه الكناية، أكثر من مرّة، ليصف علاقة اسرائيل بدول الجوار: الأرض والبشر، تعبيراً عن غريزة التوسّع لديها بحسب مقتضى الحال وفي جميع الاتجاهات...!

ولطالما أشرنا إلى أن إسرائيل تفضّل دائماً حرباً على خسران نفسها، **حرباً عالمية إذا اقتضى الأمر**. وهذا هو أكثر صحّة اليوم ممّا كان في الأمس.

أيّ عمى مفجع هو في أصل هذا التدبير المخدّر الذي اتخذته الأمم المتحدة؟

إن كل هدنة لا معنى لها إذا لم تزد في حظوظ السلام، ولكن ما يحصل هو العكس تماماً. فمشاكل إسرائيل تضحي، كل يوم، أكثر صعوبة. وبالمقابل، يبدو الحلُّ السلميُّ، في كل يوم، من دون جدوى.

إن الأمم المتحدة لا ترغب في اللجوء إلى العلاجات الناجعة والوسائل الحاسمة. فكأنّما هي تترقّب، كما يُقال، وقوع معجزة لصالح إسرائيل. في غضون ذلك، يزداد الوضع خطورة ويصبح المستقبل أكثر تجهّماً. وفي غضون ذلك تنمو روحيّة الفتح والثأر ويرتفع الغضب والحقد كموجِ البحر.

أفبعد كل هذي الايضاحات والبيّنات والمناشدات يمكن للذهن المتّزن أن يتصوّر مخرجاً **سوى الضمانة التعاقدية الدولية للحدود العربية – الاسرائيليّة والتدويل الفعلي والوافي للقدس**. إن في تأجيل ذلك خطيئة تُرتكب ضدّ الروح. **بل فيه حمل لمسؤوليّة النكبة الآتية فوق مسؤوليّة النكبة الحاضرة**.

فما الذي ترتقبه الولايات المتحدة؟ وما الذي ترتقبه الأمم المتحدة؟

وما الذي ترتجيه الولايات المتحدة من هذا التسويف الأثيم؟ وما الذي تنتظره الأمم المتحدة وهي تهرب من وجه العقل؟ وأيُّ واحدٍ من رجال الدولة العديدين، ذاك الذي سيقف، نقيّ الضمير، في وجه الكارثة القادمة؟

أيقولون عن كل هذا إنّه لم يكن سوى صوت صارخ عبثاً في البريّة؟

١ تشرين الأول ١٩٥٣

من عدوان إلى آخر

لكم هو قبيح هذا العدوان الاسرائيلي ضد بلدة أردنيّة صغيرة بخراج فلسطين العربيّة.

حصيلته واحد وأربعون قتيلاً بينهم أطفال ونساء وجرحى، وبيوت مدمّرة، وخسائر أُخَر.

وجاء في البرقيّات أن لجنة الهدنة المشتركة قد اعترفت صراحة بأن المسؤولية تقع على عاتق السريّة الإسرائيليّة التي أنجزت هذه المأثرة! لقد ترأّس غلوب باشا بنفسه المجلس العسكري في الأردن للتداول بهذا العدوان. ولقد أحيطت الأمم المعنيّة علماً بذلك، العربيّة منها والغربيّة.

إنّ نزوات إسرائيل تشتدّ كل يوم، وتجلّيات (هذه النزوات) تصبح أكثر قسوةً وفتكاً. وتحدّي إسرائيل للأمم المتحدة يصبح أشد وقاحةً أيضاً.

فإلى أين ترانا نسير هكذا وكيف ستتّسع المأساة؟ ومهما تكن قدرة إسرائيل التسلّحية، فربّما هي تفرط في الاعجاب بقوّاتها. ولكن هناك غير السلاح الذي تستعمله. فما هو أسوأ منه اشتداد الأحقاد والضغائن. ومع لجنة الهدنة أو من دونها ستظلّ الأمور هكذا سحابة قرن كامل في المهادنة كما في الحرب.

لن يحجب ذنبُ إسرائيل عن نواظرنا ذنوباً أخَر تتيح لإسرائيل أن تبلغ هذا المرمى من الإجرام.

ولقد شجّع تقاعس الأمم المتحدة ضمناً على حصول أفظع المظالم. فعلى الولايات المتحدة، التي تستطيع وحدها أن تحول دون كل شيء، والتي تتغافل عمّا يجري، أن ترتدّ إلى التوبة. ولا بدّ أن يحرّكها أخيراً حصاد الشقاء والكراهية الذي تقف حياله غير عابئة.

ألم يتبدّد بعد وهم الولايات المتحدة من أن كل أمر في فلسطين يمكن حلّه بالدولارات؟ وهل هذه هي قضايا اقتصاديّة تلك التي تطرح على حكومة واشنطن؟ وحتّام يدوم هذا التجاهل المتعمّد لأخطر القضايا السياسية في عصرنا هذا؟

فأيّ خطوب، وأيّ كوارث جديدة ينبغي أن تقع، ليضع رئيس الولايات المتحدة عَلَمه المكوكب النجوم، في الميزان؟

والذين لديهم حل غير الذي نشير إليه منذ زمن، فليطرحوه شريطة ألاّ يكون طيفَ خيال.

إنّ الأمور لن تعود إلى نصابها في فلسطين إلا بضمانة تعاقديّة دوليّة للحدود وبتدويل فعليّ وافٍ للقدس.

فإذا فات الأوان، لن يكون هذا المخرج ممكناً.

١٧ تشرين الأول ١٩٥٣

التحذير الأميركي ومهمّة السيد اريك جونستون

أخيراً ثارت ثائرة الولايات المتحدة. فهل هو أمر عارض أم مجرّد مزحة؟ إنّها تهدّد إسرائيل بوقف المساعدات عنها إذا استمرّت في ممارسة العنف.

فما تفعله اليوم حكومة واشنطن لوقف تحويل مجرى نهر الأردن، لماذا لم تفعله منذ خمس سنوات لدواعٍ أكثر جدّية وأكثر خطورة أيضاً؟

نحن لن نكون واهمين. فمن حقّنا أن نظلّ مشكّكين عندما يتعلّق الأمر بعقوبات محتملة يمكن أن تفرضها الولايات المتحدة على اسرائيل. فلقد أظهر الماضي مئة مرة ما يمكن أن يبلغه التعامي الأميركي والعطف الأميركي عن / وعلى الصهيونيّة الزاحفة. ولكن الأميركيين سوف يدركون أخيراً أنهم إن تصرّفوا (أو لم يتصرّفوا) كما يفعلون، فإنّهم إنّما يخدمون الحرب ولا يخدمون السلام أبداً.

إن ممثّلاً خاصاً لرئيس الولايات المتحدة هو على وشك القدوم إلى لبنان. فلقد أوكل إلى السيد اريك جونستون بعد كُثُرٍ سواه، مهمة التحرّي عن الأوضاع المتقلّبة في الشرقين الأدنى والأوسط. وما يعنيه بشكل خاص، كما قال، هو قضية اللاجئين (القضية الأبدية، القضية التي لا تجد جواباً). ومن ثمّ قضيّة نهر الأردن. وهو سيعير المشاكل الاقتصادية اهتمامه الأول.

فإذا لم يبدّل السيد اريك جونستون وجهة نظره خلال رحلته، فإنّنا نخشى أن يكون مسعاه متجهاً إلى الفشل على شاكلة ما كان أمر أسلافه.

إنّ المشكلة العربية – الاسرائيلية هي مشكلة سياسية أولاً. إنّها مشكلة سياسيّة قبل كل شيء. ولئن وُجدت مشكلة سياسيّة فهي هذه المشكلة بالذات. ومن يدّعي بأن مشكلة كهذه يمكن حلّها بالاقتصاد وحده، يرتكب خطا فادحاً.

ينبغي وضع حدّ لمطامع إسرائيل وقلق العرب في آن. أليس هذا هو الجوهر؟ ينبغي تطمين العرب بأن حدودهم لا تمسّ وتطمين العالم حول مستقبل القدس. أليس هذا هو الجوهر؟ إنّها المشاكل الكبرى التي يمكن حلّها خلال جيل واحد.

أمام مثل هذي الهواجس وهذه الجراح، ليس للاقتصاد ولا للدولارات سوى قيمة عارضة. هذا ما يقوله المنطق.

وما من شكّ بأن قوة الاستمرار لم تخمد شعورنا بمأساة اللاجئين ولن تنسينا نكبتهم. وأنّ مجرد وجودهم في وضع التشرّد البائس حيث هم، فيه حكم على الولايات المتحدة والأمم المتحدة والانسانيّة جمعاء. ومن المؤكد أننا لن ننسى اللاجئين أبداً. والسيد اريك جونستون إذ يُعنى بهم بكل مثابرة، فإنّما يتصرّف كديبلوماسي ماهر، وأكثر، كرجل شريف. ولكن ليس حلٌّ مشكلة اللاجئين، مهما كانت جارحة، ما يؤدي إلى استتباب السلام. وسيكون من الخبث القول ان حلاً من خارج فلسطين لهذه المشكلة يهدّئ العواطف ما لم يكن القصد إعادة العدد الأكبر من هؤلاء اللاجئين إلى منازلهم. إذ سيكون الأذى الناتج عنه أشدّ إيلاماً.

ولسوف تلقى قضية اللاجئين حلّها إذا ما حُلّت القضايا السياسية؛ أي إذا جرى ضمان الحدود العربية – الاسرائيليّة تعاقدياً ودولياً، وإذا ما فرض على إسرائيل تدويل القدس بشكل فعليّ وكافٍ.

فكل ما يفعله السيد اريك جونستون خارج ذلك لن يكون له من نتيجة سوى تحريك الجرح، وإزكاء اليأس، وجعل المستقبل أكثر اضطراباً وسواداً.

إنّ حلّ المشكلة السياسيّة هو الأساس ومن دونه لا معنى لأيّ عمل آخر.

٢١ تشرين الأول ١٩٥٣

على المستوى الأعلى

عندما سُئل رئيس لجنة الهدنة التابعة لهيئة الأمم المتحدة لدى وصوله إلى نيويورك، سؤالاً بريئاً عن الحظوظ الحالية لسلام عربي – اسرائيلي، أجاب بكل وضوح أنه لا يؤمن بمثل هذا السلام. وأضاف، إن قضيّة كهذه ينبغي أن تدرس «على مستوى أعلى».

من النافل الحديث في هذه المرحلة عن سلم عربي – اسرائيلي. فنحن لا نبني على الجواب السلبي للجنرال فان بينّيك Van Bennike, وإنما نوكّد على ملاحظته التالية «من أن القضية يجب أن تدرس على مستوى

أعلى». أعلى، بكل تأكيد، ومن دون شك الأعلى في العالم. وفي الأمر ما يدعو إلى الارتقاء إلى هذا المستوى.

إن المعنى العميق لملاحظة الجنرال هي أن الجدل سياسيٌّ (وليس اقتصادياً فقط أو إدارياً)، وهذا ما لا نفتأ نردّده منذ أمدٍ بعيد.

وإذا ما ردّدنا ذلك بمثل هذا الإلحاح، فلأن الوقت يدهمنا. ولأن الشرق الأدنى لن يُعطى السلام بريّ صحراء سيناء أو ضبط مجرى مياه نهر الأردن. فالمخاوف غير ذلك، والجراح غير ذلك والمأساة هي غير ذلك.

فإذا ما اقتصر النقاش على مسألة اللاجئين، كان ذلك تجنّياً خطيراً على العقل. فالذي يهزّ مشاعر العرب والعالم في مغامرة إسرائيل أنها لا تعني مصير جيل واحد فقط.

فأيّ سلم يخطر في البال ما دامت إسرائيل تنوي مسبقاً، مذ تتمكّن، توسيع الهجرة وتسريعها من جديد؟

قد يُلام العرب على عدم تبصّرهم وضعفهم المزمن، ولكن لا ينبغي اعتبارهم أغبياء. فإلى ماذا يؤدي إعداد فلسطين إذا كان التوسّع

الاسرائيلي في احتلال الأرض سوف يستمرّ ويستفيد من هذا الإعداد؟

فإذا ظلت الأمور على ما هي عليه، كان عقد السلم مع إسرائيل بمثابة تسهيل لها كي تحقق لنفسها مآثر جديدة.

فحتّامَ نردّد وننادي بهذا؟ وهو **أن إسرائيل تبتني امبراطورية.** والامبراطورية قائمة، عن حق، بشكل مشتّت وهي تأمل أن تعطي لوطنها الأم، فلسطين، أبعاداً أمبراطوريّة.

فكيف السبيل إلى عقد سلم مع إسرائيل، ونحن على يقين بأنها لن تترك سانحة ولن تتخلى عن ممارسة العنف حتى تستعيد أرض الأسباط الاثني عشر ومن ثم أرض الملوك؟

فإذا ما كان ارتقاء إلى المستوى الأعلى، أي، مستوى المسيحية والإسلام كليهما، مستوى العالم العربي والكرسي البابوي وإيزنهاور: وإذا ما تمّ من هناك النظر بصفاء إلى مستقبل اليهود في العالم، كان لا بدّ من اتخاذ القرارات التي لا مفرّ منها، وهي: **ضمانة دوليّة وتعاقديّة للحدود العربيّة وتدويل القدس.**

٢٤ تشرين الأول ١٩٥٣

شهادة

لقد صدر في مجلة الإيكونوميست اللندنية بتاريخ ٢٤ تشرين الأول مقال رائع بعنوان «حول حدود إسرائيل».

وهذه خاتمة المقال الذي عرض بالتأكيد لموضوع تحويل مياه الأردن ولجريمة القتل الجماعي التي ارتكبت في بلدة «قبيّة»[1]:

«هذه الوقائع كافية لتظهر إلى أي مدى يمكن أن تكون صيغة المسالمة ثابتة وممكنة في فلسطين. إن القوة الآتية من الخارج هي وحدها القادرة على فرض السلام. ومهما كان هذا الأمر مزعجاً بالنسبة للذين يفترض فيهم تطبيقه، فإنّه كان السبيل الوحيد لتأمين حياة مستقرّة خلال سنوات الانتداب البريطاني، ولا يزال كذلك حتى اليوم.

«إن الشعور الذي يفصل العرب عن اليهود هو اليوم أكثر مرارة من أي يوم آخر. وما يلطّف من وقعه أن تعمد القوى الغربية إلى التشديد على البيان الثلاثي الانكليزي – الفرنسي – الاميركي لشهر أيار ١٩٥٠ (وهو الذي يؤكد ببساطة أن تبديل الحدود بالقوة لن يكون أمراً مسموحاً

(١) قبيّة: بلدة عربية تقع على مسافة ٢٢ كلم شرقي مدينة القدس، وعلى بعد كيلو مترين من خط الهدنة الاردني – الإسرائيلي. تعرّضت لهجوم إسرائيلي ليل ١٤–١٥ تشرين الأول ١٩٥٣، فدمّر قسم كبير منها وقتل ٦٧ من سكانها. وقد أدان مجلس الأمن بقراره رقم ١٠١ تاريخ ١٩٥٣/١١/٢٤ هذا العدوان الذي برّرته إسرائيل كردّ على مقتل اثنين من مستوطنيها قرب قبيّة.

به)، على أن تقوم (هذه الدول الغربية) بفرض حدود دائمة إذا دعت الضرورة..»

«فإذا تقاعست الدول عن القيام بذلك، نشأت تبعات خطيرة. إذ أنّ القوى العربية والإسرائيليّة ستزداد على جانبي خط الهدنة كما حدث هذا الأسبوع. وستتقلّص الآمال بالسلام، كما تتقلص إمكانية تحويل إسرائيل والأردن إلى دولتين قابلتين للحياة. ومن دون السلام يتحتّم على الدولتين كليهما العيش عالة على صَدَقات الغرب. وسيبقى اسم مليون لاجئ فلسطيني على لوائح الاعانات من الغرب أو أن يموتوا من الجوع. وما الذي يحلّ بالجيل الطالع من الاسرائيليين إذا ستمرّ زعماؤهم في تشجيع العنف في اسرائيل وهو عنف يجدون أنفسهم مضطرين إلى إدانته في الخارج؟»

لقد شفيت «الايكونوميست» مما كان يتهدّدها، وها نحن ننحني، أمام اهتمامها بالحقيقة. والمقال الذي ترجمنا مقطعاً رحباً منه، كان بالإمكان أن نكتب نحن بالذات خاتمته. لأنّها في روحها ستكون متوافقة مع ما نردّده منذ سنوات دون كلل.

إنّه لمن دواعي الارتياح أن نقع في جريدة لها ما «للإيكونوميست» من شأن، على صدى بريطاني، بمثل هذه السعة والسموّ.

إن الحقيقة تفرض نفسها وتجرف في طريقها كل شيء. فباطلاً يتفلسفون لأنّ السلم لن يتحقق في فلسطين إلا بتدويل القدس والضمانة التعاقدية للحدود. وما نعنيه بتدويل القدس هو وجود الأمم المتحدة فيها وجوداً فعلياً يخفق فوقه العلم اللازوردي للمنظمة الدولية. هذا هو التعليل القيّم والوحيد الذي عبّرت عنه الايكونوميست بقولها: «إن القوة الوحيدة الآتية من الخارج يمكنها تحقيق السلام».

لم يبقَ غير الخروج العاجل من عالم الأوهام للدخول في الواقع. أما محاولات الحل التي يراد بها الاستعانة بالاقتصاد والمصالح المادية فقد انقضى زمنها. إن المشكلة السياسية تفرض مواجهتها بشكل مباشر. وينبغي الخروج منها بتهدئة روحية وسياسية في آن. **وهو ما لن يكون ممكناً إلا بالوجود الدولي في القدس وبالضمانة الدولية للحدود العربية – الاسرائيلية.**

٣٠ تشرين الأول ١٩٥٣

مشاكل اسرائيلية أم مشاكل يهوديّة؟

خصّصت صحيفة «لوموند» بالأمس افتتاحيّتها لموضوع تقاعد بن غوريون. فكلا الرجل والموضوع أمران مهمان بالتأكيد. وما يحدث في إسرائيل يعرض دائماً على الصفحة الأولى للجريدة الكبرى القائمة في شارع الإيطاليين.

في هذه المناسبة، أوردت «اللوموند» ملاحظتين لا بد من الاحتفاظ بهما. في الأولى تقول:

«كل الحملة الانتخابية (الحديثة) في ولاية نيويورك سادها الاستياء لدى التيار اليهودي الأميركي، الأمر الذي أجبر الإدارة الأميركية على الاستسلام العاجل وتثبيت انتصار جديد للتضامن اليهودي».

إنما المقصود بذلك العقوبة العارضة التي اتخذتها (الإدارة الأميركية) عقب أعمال تحويل مياه الأردن.

أما الملاحظة الثانية فتقول:

«غير أن مشكلة الولاء المزدوج (لدى اليهود) لا تزال مطروحة.

فالبارون غي دي روتشيلد، الذي هو من أشدّ الدعاة حماسة للتجربة الصهيونية، أطلق في مقابلة طنّانة فكرة حل المنظمة الصهيونية العالمية والاستعاضة عنها، في كل بلد، بجمعيات أصدقاء إسرائيل على غير ما تمييز في الانتماء الديني».

وهكذا، من جهة، يستمر «التضامن اليهودي» في فرض نفسه على السلطان الأميركي، ومن جهة أخرى، تبقى مسألة «الولاء المزدوج» أي مسألة الجنسية المزدوجة (ضمناً على الأقل) وجواز السفر المزدوج، عند الحاجة، بحوزة كل يهودي في العالم مثار قلق في الاتجاهين كليهما. فليس البارون غي دي روتشيلد هو وحده من يتساءل عن تلك الشبهة الخطرة «للولاء المزدوج» التي تطاول أهل دينه في المعمورة كلّها. أيمكن ليهودي غير اسرائيلي، يهودي انكليزي أو فرنسي أو أميركي، أن يكون، عند الاقتضاء، مع بلاده وضد إسرائيل؟ فهل يمكنه فعل ذلك، وإلى أيّ حدّ؟ ومهما يكن، فإن «المنظّمة الصهيونّية العالميّة»، باعتبارها تنظيماً سياسياً، هي التي تؤكد الوحدة السياسية العالمية لكل من هو اسرائيلياني Israélite وليس لمن هو إسرائيلي Israélien فقط.

ها قد دارت السنون ونحن نتوقّع بروز أمور كهذه. لقد دارت السنون ونحن ننبئ بها. وبها ينشغل اليوم أولو الأمر في إسرائيل لأنها تمهّد الطريق لمصير غامض. إننا نكتفي بالتوكيد على هذه الموضوعات الخطرة والدقيقة كي نلفت نظر الحكومات عبر القارئ.

إنّ بادرة البارون غي دي روتشيلد تذهب أبعد من المشروع اليهودي نفسه.

وإنّ رجلاً مجرّباً يساوي اثنين.

١٤ تشرين الثاني ١٩٥٣

صوت الفاتيكان

في الوقت الذي تزعم فيه إسرائيل أنها سوّت موضوع الاعتداء الدامي على «القبيّة» بمفاوضات تسويفيّة مباشرة مع الأردن، مضيفةً بذلك تحدياً جديداً (كما لو أنّ ما وقع هو مجرد حدث حدودي عارض)، في هذا الوقت يرفع الكرسي الرسولي صوته مجدّداً، مطالباً مرةً أخرى بتدويل القدس. هذا ما أعربت عنه «الأوسرفاتوري رومانو» صراحةً، في مقالٍ افتتاحيّ نقلت البرقيّات صداه فوراً.

من جانبنا، وقفنا افتتاحيّتنا على فلسطين ليومين متتاليين. إنّ الموضوع يستدعي مثل هذه المثابرة ويبرّرها. فليس من سانحةٍ أكثرَ إلحاحاً من مسألة «قبيّة» تحمل الأمم المتّحدة على وضع حدٍّ للمأساة الاسرائيليّة – العربيّة.

لئن كانت أميركا قد قطعت الرجاء من السلام، وإذا كانت تودّ الاكتفاء بهدنة لا نهاية لها، وبوقف للقتال يولّد النكبات اليوميّة، فَلْتقلْ ذلك (جهاراً).

وما من شيءٍ أقلّ إنسانيّةً من تقرير مصير أرض هي الأكثر قداسة في العالم على يد حُماة العالم. وما من شيءٍ أكثر ضنىً وإيلاماً من غياب الأمم المتّحدة عن نقاش انخرطت فيه الحضارات الكبرى وبه ارتُهن مستقبل العالم. وعلى الرغم ممّا يُقال في مجلس الأمن، وفي الأمم المتّحدة، ومهما كانت الظواهر الخادعة، فإنّهما بالفعل غائبان. وليس من السهل الاعتراف بوجودٍ دوليّ في ظلّ موقف سلبيّ دائم تتّخذه الهيئات الدوليّة الكبرى في نهاية المطاف.

غير أنّ الكرسيّ الرسوليّ الأقدس، الذي لا ينفكّ يطالب منذ العام ١٩٤٨ «بمبدأ الانفصال» يؤكّد اليوم مطلبه العادل والضروريّ. كما يؤكّد مشيئته في وجه المطامع الأنانيّة والزمنيّة الضيّقة. ويدعو إلى الإرعواء أولئك الذين ضلّلتهم انتهازيّةٌ خلوٌ من التبصُّر والشجاعة.

وعلى الرغم من كل المقاومة الإسرائيليّة واليهوديّة، والمقاومة العاطفيّة والمقاومة الجامحة، والمقاومة ذات المطامع العمياء والعنجهيّة الجارفة، كيف لا نرى خيَر وضمانات السلام (وخلاص اسرائيل نفسها) في تدويل الأماكن المقدّسة؟ وكيف لا نرى في وجود الأمم المتحدة في القدس فعلياً ووصاية وضع حدّ لفوضى لا مثيل لها، فوضى روحيّة وخلقيّة وسياسيّة معاً؟

على حكومة إسرائيل أن تقتنع بأنه من دون التدويل لن يكون من حولها سلام ولا هدنة، وأنّ أجيالاً من البشر ستتوالى عليها وتحيا في القلق، وأنه في مناخ كهذا لا عيش ممكناً لأمّةٍ ترتقب خلاصَها من فائض سكان الهجرة (وكذلك بالنسبة لجيرانها الذين هم في حالة استنفار دائم). هذا ما يقوله العقل.

نحن نرحّب، شاكرين، بما أعرب عنه الكرسي الرسولي مجدّداً كتعبير عن إرادته الثابتة. ولا ريب بأنّ مشاعر البلدان العربيّة ستتأثّر بهذا الموقف. وما من شكّ في أنّها ستجد فيه، بالإضافة إلى كل دول المسيحيّة والاسلام، تشجيعاً قوياً لها.

فعلى الأمم المتحدة أن تقوم بواجبها الآن. وعليها أن تحدّ من الأضرار وأن تعيد إلى الشرق الأدنى السلام الذي عرّضه للخطر قيام دولة في الأراضي المقدّسة، هي الأكثر عرقيّة، والأغلق سرّية، والأكثر توسّعيّة في العالم.

للخلاص من الظلام ليس سوى مخرج واحد: تدويل القدس وضمان دوليّ وتعاقديّ للحدود. وما لم يحدث ذلك، فهذا معناه القبول باستمرار حرب لا نهاية لها.

٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٣

«العام المقبل في أورشليم»

نفكّر، في ختام هذه السنة، بمصير القدس ومستقبل السلام. وكلّما تعمّقت تفكراتنا، وكلما تحكّم بها منطق متماسك، كلّما ازددنا اقتناعاً بأن تدويل الأماكن المقدّسة هو شرط للسلام لا مفرّ منه.

إنّ الوجود الدولي بين العرب وإسرائيل هو الفرصة الوحيدة المؤاتية لاستتباب النظام والوئام (بينهما). وينبغي أن يكون هذا الوجود فعلياً ومسلّحاً ودائماً، بحيث يتقوّى به نفوذ الأمم المتّحدة. وسيكون من الخطأ تصوّره في أرض إسرائيل أو الأردن، وإنّ تصوّره المناسب أن يكون في القدس. وينبغي أن يتّسع مداه ليطاول حيّزاً كافياً من السكّان يبلغ ضعفين أو ثلاثة أضعاف ما هو عليه اليوم.

إزاء الموافقة المؤكّدة لبقيّة العرب على هذه الضرورة الملحّة، تبدو مناهضة الأردن لها نافلةً وباطلة. كما تبدو مناهضة إسرائيل، يائسة كما نعلم. لكنّنا نعلم أيضاً أن خلاص إسرائيل نفسها مرتبط بهذا الوجود، وأكثر من ذلك خلاص السلام أيضاً.

لأنه من دون وجود دوليّ لن يذوق العرب طعم الرقاد. كما لن يكون هناك ضوابط للحدّ من دسائس إسرائيل الوراثيّة ومن مطامعها أيضاً. هذه هي مآسي الغد التي نراعيها بثمن حكمة اليوم.

بالنسبة لإسرائيل، فإنّ رابية صهيون تبرّر الصهيونيّة (مع هاجس القدس الدائم). ولكن بالنسبة إلى المسيحيّة والاسلام جميعاً، فإنّ القدس هي مكان مقدّس لا يمكن وضعه تحت سلطة إسرائيل السياسيّة كائناً ما كانت أنواع القَسَم.

إنّ الدواعي الدينية والانسانيّة والشعوريّة لتدويل القدس جدّ وفيرة، ولكن الداعي السياسي فيها هو الأكثر إلحاحاً. **لن يكون سلم دائم بين العرب وإسرائيل من دون الوجود الدولي.** هذا الوجود سيكون بمثابة حدّ يتعذّر عبوره، وأمانٍ سيتيح للعرب (واليهود) النوم من دون أيّ تهديد يوميّ بالقنابل أو المجازر أو الحرائق.

لقد ارتفع الشهر الماضي، صوت الفاتيكان مجدداً، عالياً وحازماً، لصالح تدويل القدس. وشاع نبأ وساطات عربيّة رسميّة لدى الكرسي الرسولي. في مثل أمر جللٍ كهذا حيث التزمت به عدة أمم، فلا

«الإسرائيل» ولا الأردن يمكن أن يشكّلا عقبة (بوجهه). فوسائل الضغط المتوفّرة عظيمة الشأن (الوسائل الماليّة والاقتصاديّة تكفي).

وعلى صعيد المطلق، لقد قاتلوا في كوريا، وهم يقاتلون في الهند الصينيّة لما هو أقلّ شأناً من ذلك.

٣٠ كانون الأول ١٩٥٣

بين المطرقة والسندان

أيتّكل العرب على الشيوعية لتدافع عنهم إزاء الصهيونيّة؟ إنّه لتناقض عجيب. ولكنّهم فعلاً بين المطرقة والسندان، أي في الوضع الأقلّ راحةً الممكن أن يكون.

يقول العالم الغربي إنّ الشيوعيّة هي الخطر الأعظم بين كافة الأخطار. أمّا العالم العربي، فهو على العكس، يرى أن الصهيونيّة هي الخطر الأكبر.

حتى الآن، ساند الغرب الصهيونيّة بشكل منهجيّ. فكيف له أن يفعل ولا يجنّ جنون العالم العربي ويضع نفسه في مواجهة معه؟ هو هذا ما يجعل وسائل الاقناع، وخاصة لدى أميركا، غير ذات قيمة.

بالنسبة إلى العرب، فإنّ المعالجات الموصوفة «بالاقتصادية» تزيد من قوة إسرائيل وتضاعف من جنون العظمة لديها. وفي رأي العرب أن

السلم مع إسرائيل ليس له معنى سوى مهلة معطاة إلى الصهيونيّة كي تُعدَّ لاعتداءات أُخَر.

هذا هو النزاع العميق الذي لا يودّون معالجته إلا بحلول تبقى على السطح. مع أنّ هذا النزاع يضرب أصوله في النفوس وليس في حاجات الجسد على الاطلاق.

ليس القصد، بالتأكيد، أن يُلقي العرب الإسرائيليين في البحر. إن الوجود السياسي لإسرائيل في الشرق الأدنى سيكون معترفاً به إذا ما تحدّدت قوة إسرائيل المدعومة من الغرب، وذلك بفعل الوجود الدولي وإذا ما جرى ضمان الحدود بشكل تعاقديّ.

غير أنّ مطامع إسرائيل معروفة. فهي تعمل لجعل إسرائيل مكتظّةً بالسكان وبالتالي الذهاب أبعد من ذلك. أي الاستيلاء على كامل القدس وإقامة ما يشبه مملكة داود وسليمان منذ ثلاثين قرناً، وأخيراً إنشاء وطن أمّ في الشرق الأدنى أقرب ما يكون إلى امبراطوريّة يهوديّة عالميّة.

هو هذا ما لا يسلّم به العرب (وإن تمّ فعلى أجسادهم). وهو هذا ما يمدّ له الغرب يد الدعم على غير ما رويّة منه، أو مسيَّراً تبعاً للأوساط والظروف بفعل الهيمنة الاسرائيليانيّة (وليس الاسرائيليّة).

إنّ كلامنا يبلور الاتصالات التي أجريت مؤخراً بين ديبلوماسيّين عرب وسوفيات. فالسيد فيشنسكي في مجلس الأمن، والسيد سولود في القاهرة، وسفير الاتحاد السوفياتي في دمشق قد استجابوا لدعوات مختلفة. والحقيقة هي أن العرب لم يعودوا يعرفون إلى أيّ قديس (أو إلى أيّ شيطان) ينذرون نفوسهم.

إنّ الدعم الذي تقدّمه الشيوعيّة للعرب أشبه ما يكون بالحبل الذي يسند عنق المشنوق.

هذا ما يفضي إليه ثلاثة (أمور) (مجتمعةً أو منفصلةً): تخلّف العقل، وغياب الرأي، وإفلاس العدالة.

١٠ نيسان ١٩٥٤

حول خطبة ألقاها نيافة الكردينال أغاجيانيان

كان خطاب نيافة الكاردينال أغاجيانيان في الاستقبال الذي عقب قداس الفصح لدى الأرمن الكاثوليك أشبه ببلسم للفؤاد. ويسرّنا أن يكون فخامة رئيس الجمهوريّة الذي شرّف الاحتفال بحضوره قد شهد لنيافة الكاردينال قائلاً: «لقد شئتم أن يتجاوز هذا الاحتفال حدّ الزيارة

البروتوكوليّة في تبادل التمنّيات الطيّبة. وشئتم إذ تكلّمتم باسم السلطة الموكولة إلى نيافتكم كأمير من أمراء الكنيسة وممثّلاً للكرسي الرسولي الأقدس أن تقولوا الحق، كل الحق، في ما يتعلّق بموضوع فلسطين».

هذه الحقيقة تهزّنا وتحرّك منّا المشاعر. فكلمة نيافته، هي بالنسبة إلينا بركةٌ وعزاء. إنّها تؤكّد قناعةً طالما دافعنا عنها تعبيراً عن شرف الإيمان، وتبريراً للأمل، وحباً بالعدالة والسلام.

وأضاف رئيس الدولة قائلاً: «لكي تجد المشكلة الفلسطينية حلاً عادلاً ومنصفاً، فإنّه من المحتّم أن نحظى بدعم أعظم سلطةٍ روحيّة، هذه السلطة التي لا تعمل إلا في سبيل خير الانسانيّة ولا تستوحي إلا العدالة. وهذه السلطة هي الكرسي الرسولي المقدّس».

«فبمقدار ما يشاء أن يتدخّل، وأنا على يقين أنه سيفعل، فإنّ المشكلة الفلسطينية يمكن أن تجد لها حلا».

لكنّ الكرسي الرسولي تدخّل غير مرة، وأعرب عن رأيه بتعابير واضحة، كما حدّد بمناسبات عدّة أحد مطالبه الفذة؛ وألمع بحق إلى مضيّه في مطلبه الدائب عبر مداخلاته وأعماله:

«لا أحد ينكر، يقول نيافته، أن الذي تمّ في هذا المجال، وخاصة بشأن تدويل القدس، على يد الممثّلين الديبلوماسيين للكرسي الرسولي، كان بمثابة دعامة كبرى، كثافةً واتّساعاً لكلّ ما أمكن عمله...».

ذلك أنّه منذ الأسطر الأولى، بل الكلمات الأولى في خطابه، تكلّم الكاردينال أغاجيانيان عن الأرض المقدسة. تكلّم عنها بتعابير موجعة دونما خشية من المزج بين إشارة الحزن وهاليلويا القيامة. قال:

«بكل أسف فإنّ الأرض المقدّسة حيث بشّر الملائكة بالسلام لجميع الناس من ذوي الإرادة الحسنة، وحيث أذاع يسوع رسالته في المحبّة، قد تحوّلت إلى بؤرةٍ للنزاعات، وغدا بضع مئات الألوف من سكّانها الوادعين يواجهون مصيراً صعباً كلاجئين.

وأورشليم، «مدينة السلام» حيث ختم المسيح بدمه على السلام ما بين السماء والأرض، وظهر لتلامذته بعد قيامته الظافرة قائلاً لهم: «السلام معكم»، أورشليم هذه، تحوّلت بأسف في هذا الزمان، إلى ساحة صراعات وخلافات، جعلت منها «مدينة الدمار».

«أنعجب أن يكون لفلسطين، في وضعها البائس هذا، صدى في لبنان العزيز وكافة الدول العربيّة، وهي قلب الشرق الأدنى وبالتالي النقطة الحسّاسة فيه؟».

«ذلك أن هذه البلدان بأجمعها مقتنعة بأن السلام سيبقى مهدَّداً ليس فقط في الشرق الأدنى، بل في العالم بأسره، ما بقيت المسألة الفلسطينيّة من دون حلّ عادل ومنصف.

وذكّر نيافته بأنّ «الدول العربيّة، اعتباراً من الثامن من كانون الأول ١٩٤٩، وبعد جهود خارقة، نجحت أخيراً في جعل الجمعيّة العامة للأمم المتحدة تعلن تدويل منطقة القدس ووضعها تحت مراقبة الأمم المتحدة».

«ومن جانبه، فإنّ الكرسي الرسولي، كان هو أيضاً قد بذل نشاطاً بارزاً في هذا المجال طوال أربعة عشر شهراً. وقد تحدّث قداسة البابا في الرقيم أعلاه صراحةً عن فرصة مناسبة لإعطاء القدس وجوارها.. صفةً دوليّة».

«...لأن التاريخ المنصف، سيقول يوماً، ومن دون شك، ان قرار تدويل القدس الذي اتخذته الأمم المتحدة، يعود في جزء كبير منه، إلى العمل الديبلوماسيّ الرائع والسرّي والذكي والدائب الذي قام به الكرسي الرسولي».

* * *

فمن أقوال الكاردينال أغاجيانيان، ومن موقف الفاتيكان الدائم، يُستشف بشكلٍ ساطع أن تدويل القدس ضرورة لازمة.

من جانبنا، يعلم قرّاؤنا منذ أمد بعيد أن تدويل القدس هو شرط السلام بالذات. فلن يكون سلام ممكناً، ولن يذوق العرب طعم الراحة، إلاّ بوجودٍ دوليّ قانونيّ في الأماكن المقدّسة. فإن كانت إسرائيل صافية النيّة تعيّن عليها أن ترضى بذلك. فإن لم تفعل، فما من حكمةٍ في الأرض

توصي العرب بأن يذعنوا للنكبة. وما لم تتوفّر هذه الضمانة فسيكون السلام تهيئة لعدوان قريب.

لقد أظهرت الحوادث الماضية كلّها أنّه ما من ضمانة دوليّة تكفي ما لم يتمّ تدويل القدس. فالمسيحيّة تعلم والإسلام كذلك، أن هناك تهديداً دائماً يجثم فوق أورشليم.

وإذ نعرب عن امتناننا للكردينال أغاجيانيان لخطبته الرائعة، فلسنا نغالي إذا أكّدنا لنيافته بأن جميع اللبنانيّين وجميع العرب يشاركوننا هذا الشعور.

ففي النضال من أجل القدس، وفي الجهد الجماعيّ للحيلولة دون «فتح القدس» ستظهر ثمرة المقاومة الشرعيّة التي تقوم بها المسيحيّة والاسلام سويّةً.

إلا أنّه لا ينبغي تدويل القدس لدواعٍ دينيّة وعاطفيّة سامية وحسب، وإنّما، بالضبط، للحيلولة دون الحرب وأهوالها، ولانتشال اليهود من وسواسٍ دائمٍ ورهيب.

لن يذوق العرب طعم السلام إلا يوم يُطبَّق على القدس النظام الدوليّ الذي أقرّته هيئة الأمم عام ١٩٤٩، ويوم تضمن الحدود العربيّة – الإسرائيليّة تعاقدياً على الصعيد الدولي. ولا سلام في ما خلا ذلك.

٥ أيار ١٩٥٤

الأساس لسياسةٍ (خارجيّةٍ عربيّة)

لنبدأ هذا الصباح حيثما انتهينا أول أمس: بتدويل القدس، **وهذا يعني وجوداً دولياً وقانونياً ودائماً ومسلّحاً في فلسطين.**

فلقد بات هذا التدويل شرطاً للدفاع المشترك مع الغرب، وللسلام في الشرق الأدنى. إنّه وجود ضروري ما بين العرب وإسرائيل.

كان لمقال «الأوسرفاتوري رومانو» الذي يشير إلى ضرورة تدويل القدس وجوارها صدى تناقلته البرقيّات. لقد كان موقف الكرسي الرسولي في ما يخصّ هذا الموضوع بالذات معروفاً. وها هو يؤكّده مرةً أخرى. وإنّ لدينا من الأسباب ما يجعلنا نأمل بأنّ صوت الفاتيكان في هذا الموضوع سيصبح أكثر إلحاحاً.

إن الغرب لن يظفر بمساهمة الشرق الأدنى، من دون تحفّظ، في الدفاع عن السلام، ما لم يشارك الغرب هو نفسه في هذه المساهمة.

فمن حقّ عرب الشرق الأدنى، ومن واجبهم، أن يجعلوا من تدويل القدس، بعد الآن، أساساً لسياستهم الخارجيّة. فالدول التي خلقت دولة إسرائيل بكل مخاطرها لا تستطيع أن ترفضه. فإن قَبِلَتْ تحمّلت مسؤوليّة خرق العدالة بشكل معيب.

منذ أيّام كتبنا أنّ على مصر القيام بتنازل مقبول في السويس لتخليص القدس. هذا ما نراه حقاً. ذلك أنّه في الوضع الذي انتهينا إليه، فإنّ الخطر الإسرائيلي، بالنسبة إلى العالم العربي، هو أبعد مدىً من الخطر الإنكليزي بالنسبة إلى مصر. والمتفَّق عليه، فضلاً عن ذلك، أنّ أميركا لا يمكن أن تكون لامبالية إزاء مستقبل منطقة السويس.

إنّ تقديم وضع السويس على وضع القدس هو مجرّد وَهْمٍ لدى مصر. فلئن تمّ الاتفاق الانغلو–مصري قريباً، كما يتمنّى جميع اللبنانيين، لغدا كل شيء على ما يُرام. فإن لم يتمّ ذلك، فعلى مصر أن تتذكّر أكثر كلاً من فلسطين وإسرائيل.

١٦ تموز ١٩٥٤

لجنة الهدنة العاجزة

أحد آخر أحداث الحدود العربية – الإسرائيليّة ما وقع في بيت لقيا في الأردن حيث قتل جنديان عربيان وجرح أربعة وأسر ثلاثة. إنّها بليّة قاسية تصيب الجيش العربي.

بناءً عليه، أقرّت لجنة الهدنة تجريم إسرائيل، ولكن ما تراها تكون العقوبات؟ أو لنقل ما هي لجنة الهدنة هذه، والتي تخلو قراراتها الاحتكاميّة شبه اليوميّة من العقوبات؟

حسبها القول: هذا هو المعتدي، وتلك هي الضحيّة. وبعد ذاك يُسكت عن كل شيء كما حدث بعد مصرع الكونت برنادوت.

بئس تلك العدالة التي لا حول لها! إنّه شعور من الحزن يداخلنا إزاء هذه العدالة العاجزة. يقول القاضي: أنتَ المعتدي وأنا أحكم عليك معنوياً. إلا أني لا أستطيع الذهاب إبعد من ذلك. وهذا الأمر يتكرّر مايتين وثلاثماية مرة في العام الواحد.

إنّ موقف الأمم المتحدة ولجنة هدنتها في فلسطين هو أبعد ما يكون عن النموذج الذي يقتدى به، بل الأكثر تخييباً للآمال في موضوع الحق الدوليّ. إنّ لجنة الهدنة نفسَها لا تقوى على فعل أيّ شيء. لكنّ جحود العدالة يتأكّد في نهاية الأمر من مستوى أعلى.

فحتّامَ تبقى الأمور على هذه الوتيرة؟ أفما يرون أنّ إسرائيل تسعى إلى إخضاع العرب بالإكراه، وإلا فبالإعياء؟

إلاّ أنّ ذلك كلّه سيفضي إلى سخط مكبوت، ويتكدّس الحقد جبالاً حبلى بالكارثة المقبلة. لسوف يُدفع الثمن في غضون السنين القادمة أو بعد ربع قرن، ولكنّه سيدفع في النهاية. ولكن السلام الذي نبتغيه جميعاً لا يُدرَك عن هذا السبيل.

إنّما يؤتى السلام عن قرار رجوليّ تتخذه الأمم المتحدة والولايات

المتحدة وحسب. إنّ السلام لن يحلّ في فلسطين إلا بوجود مسلّح ودائم للأمم المتحدة في فلسطين، وهو وجود يشكّل تدويل القدس صيغته المعقولة، والسلام لن يتحقق إلا عبر ضمانة تعاقديّة للحدود، وليس من البيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠، وهو بيان لا يخفى مدى عطوبيّته على الرغم من التأكيدات المتكرّرة للحكومة الأميركيّة في واشنطن.

إنّ إسرائيل التي تتحدّى الأمم المتحدة، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة معاً، لتظهر رويداً رويداً طابع سلطانها العالميّ المجسّي (الأمّغاطي) في جوهره.

لكم نحن بعيدون إذن عن «الوطن القومي اليهودي» المثاليّ الذي كانوا يطالعوننا به من قبل وعليه مسحة خفرٍ ووداعةٍ وإنسانيّة؟!

٧ أيلول ١٩٥٤

صلة وراثة ما بين «نيويورك وتلّ أبيب»

في آخر عدد من جريدة «الإيكونوميست» اللندنيّة ملاحظة تحت عنوان «نيويورك وتلّ أبيب»، لا بدّ من لفت نظر القارئ إليها. إنّها تظهر مدى تبعيّة السياسة الأميركيّة لإسرائيل ولاسيّما في فترة الانتخابات.

يقول المقال، إنّ موقف إسرائيل يتصعّد حيال العرب والغرب (وهو ما يفسّر تكاثر الاصطدامات والاعتداءات على الحدود الأردنيّة). فهذا العام هو حقاً عام انتخابات في ولاية نيويورك. والأصوات الستة والتسعون، بولاية نيويورك، قد تقرر مصير الانتخاب على مستوى الأمّة. ومع أنّه لا شيء يهدّد مصير الرئاسة هذا العام، فإنّ انتصار الديمقراطيين في نيويورك ينبئ بهزيمة الجمهوريين عام ١٩٥٦. وإنّه لواقع أساسي في السياسة الأميركيّة بأن **ولاية نيويورك لا يمكن كسبها انتخابياً ضد اليهود** (ونحن نكتبها هنا بحروف كبرى). إذ في مدينة نيويورك لوحدها مليونان ومئة وخمسون ألف يهوديّ يقبلون على صناديق الاقتراع وفي ذهنهم هاجس المواقف الدوليّة.

لقد عرفت إسرائيل دائماً أن تحرّك منطقة نفوذها الخلفيّة الشاسعة عبر الأطلسي.

وأن يكون السكان اليهود في أميركا، في رأي «الإيكونوميست»، بمثابة منطقة نفوذ خلفيّة لإسرائيل، فهذا أمر مخيف. وما من شكّ أنّه كان معروفاً، ولكن كم هم قلّة أولئك الذين ارتضوا سابقاً أن يسلّموا به؟ وأن يسلّموا أيضاً بأنّ إسرائيل ليست «وطناً قومياً» أبوياً وإنسانياً، وإنّما هي قوّةٌ عالميّة وتحلم بامبراطوريّة كونيّة.

وجاء في «الإيكونوميست» أيضاً: «إنّ التقليل من أهميّة الخدمات المسداة إلى إسرائيل والتعهّدات التي سيقطعها الجمهوريّون

والديمقراطيّون على أنفسهم لصالح الصهيونيّة هذه السنة، ستكون بمثابة انتحار سياسيّ لهؤلاء وأولئك على السواء».

وتضيف الصحيفة الانكليزية أخيراً: «على العرب أن يتذكّروا هذا الأمر».

ومن جهتنا، نأمل أن يتذكّره الإنكليز أيضاً. ولكن، كيف يستطيع الأميركيّون والانكليز سويّةً، أن يتصوّروا للحظة إزاء هذه الحقيقة الساطعة، إمكانيّة عقد السلم ما بين العرب واليهود من دون الوجود الدوليّ السياسيّ والعسكريّ والقانونيّ والدائم في فلسطين؟

تعجب واشنطن ولندن، بين فينة وأخرى، إذ تريان العرب يرفضون الدخول في مفاوضات مع إسرائيل. ومن جهة ثانية، تُظهر واشنطن ولندن للعرب كم ان السياسة الأميركيّة والبريطانيّة متضامنة مع سياسة إسرائيل. إنّ في هذا تناقضاً ومفارقةً يعدمان المنطق ويثيران القلق.

سنظلّ نردّد، إلى ما شاء الله، ما نرى أنّه الأمر الأكثر وضوحاً في العالم: إذا كان الأميركيّون والانكليز يودّون أن نعقد سلاماً مع إسرائيل، **فليأتوا وليشكّلوا منطقةً عازلةً ملموسةً وجليّة بين إسرائيل والعرب عن** غير طريق لجنة الهدنة العاجزة، **وليقرّروا (مبدأ) الضمانة التعاقديّة للحدود.**

إنّ الشرط الأساسي للسلام هو فعلاً هذه الضمانة، بالإضافة إلى تدويل القدس.

١٧ أيلول ١٩٥٤

فتح القدس

خطوةً خطوة، تتابع إسرائيل فتح القدس، وكأنّه تحدٍّ للحق العام وللأمم المتحدة وللمسيحيّة والاسلام معاً.

فسفير الولايات المتحدة الجديد في إسرائيل سيقدّم أوراق اعتماده في القدس. وغير صحيح ما ذهب إليه الأميركيّون بعدم اعتبار ذلك بادرةً عدوانيّةً تجاه العرب. فها هم ينغمسون أكثر فأكثر وعاماً بعد عام. وباطل هو الاعتداء المقصود على حق الناس والقول بعد ذاك ببرودة إنّه ليس في الأمر عدوان.

ولكن، من ضعف إلى استسلام، لا نعلم إلى أين تقودنا سياسة أميركا القويّة. وبشكل ظاهر فهي تخضع سياستَها الخارجيّة لسياستها الداخليّة، بحيث تجري الأمور وكأنّ واشنطن ليست حرّةً في قراراتها بما يتعلّق بإسرائيل.

ولقد تأكّد هذا الأمر، مرةً أخرى طوال فترة التحضير للانتخابات الأميركيّة التي جرت يوم الثلاثاء.

تتمسّك إسرائيل بالقدس عاصمةً لها كما لو أن القدس مدينة لا تكترث بها بقية العالم. فلئن كان في العالم مدينة يجب تدويلها حقاً تلبيةً لأهمّ الاعتبارات الروحيّة والسياسيّة، فهي بالتأكيد القدس.

ويتّضح أكثر فأكثر، أن وجود الأمم المتحدة القانوني والدائم في القدس هو بمثابة ضرورةٍ وشرطٍ أساسيّ للسلام. على أنّ ذلك لا يحول دون سعي الولايات المتحدة لعرقلته من دون مبرِّر، مما يرسّخ إسرائيل أكثر في ما اعتزمت عليه.

على خطّ موازٍ، تتدجّج إسرائيل بالسلاح. وإذا شاء العرب بدورهم أن يتسلّحوا، اعترضت إسرائيل وعلا صراخها حتى بلغ أقاصي الأرض.

إن مئات المناورات تتعاقب كي تتمكّن إسرائيل يوماً، من إتمام فتح القدس. وأميركا لا تنفكّ تقدّم لها يد العون بكل عناية. إنّ تلّ أبيب هي العاصمة الرسميّة لإسرائيل، ولكن سفير الولايات المتحدة، شاء أن يكون قدوةً صالحةً لجميع ديبلوماسيّات الأرض، فارتضى أن يقدّم أوراق اعتماده في القدس. فإذا لم يكن هذا العمل، بالنسبة إلى العرب، عمل إساءةٍ وعداء، فما تُراه يكون؟ ومع ذلك، ها هم الأميركيّون يُقْدمون عليه. ولئن سلّم الأميركيّون بالأمر، فما الذي يُنتظر من مقاومة الآخرين؟

كنّا بدأنا نؤمن بوجود تبصّر أكثر ونأمل بوجود عدالة أوفر من ذي قبل بالاستناد إلى بعض خطب السيد بيرود Byroade وها هو التيّار يجرف كلّ شيء. وفتح القدس يأخذ طريقه بتواطؤٍ مكشوفٍ من جانب أولئك الذين عليهم منعه بأيّ ثمن. وإنّ النكبة الكبرى لا تزال أمامنا.

٤ تشرين الثاني ١٩٥٤

السلم مع إسرائيل يتوقّف على إسرائيل

لن نتغلّب على إسرائيل إذا ما أكدنا بأننا لن نعقد سلماً معها مهما كان الثمن. ولكنّنا سنتغلّب على إسرائيل إذا ما أظهرنا الخطر الهائل الذي تمثّله مطامح إسرائيل الشاذة.

علينا أن نطلب من الأميركيّين، كما من الانكليز، ضمانات ضد إسرائيل، وليس أبداً المشاركة في حرب ضدّ إسرائيل أو العمل لارتضائها.

ذلك أن الأميركيّين والانكليز هم الحماة الطبيعيّون لإسرائيل، وحسبنا للتأكد من ذلك أن نحصي اليهود في مدينة وولاية نيويورك وأن نتصفح من جهة أخرى صحيفة «المانشستر غارديان» مثلاً. فأميركا وانكلترا، هما الواحدة والأخرى، سجينتان لإسرائيل. والانكليز والأميركيّون لا يتحركون في هذا المجال إلا كردة أمام الخطر الداهم والانحراف والعنف. لأنّهم يودّون أن يظهروا، في الوقت عينه، أصدقاء للعرب. فهم بحاجة ماسّة إلى الشرق الأدنى، فلا يفقدون محبة الشعب بشكل نهائي. ولعبتهم العربو–اسرائيليّة هي لعبة القلاّب[1] والتوازن، توازن يبلغ بعض الأحيان حداً من عدم الاستقرار بحيث يبعث على الخوف.

(١) القلاب او الرجّاجة (المرجوحة بالعامية) وهي لعبة من لعب الأطفال تكون بالترجّح (بالتأرجح) على طَرَفي عارضة. ومنها الشاحنة القلّابة لافراغ حمولتها.

إنّه لأمر واقع أن اليهود هم أقوياء جداً في مختلف أنحاء العالم. وأن يكون لديهم هذا الكمّ من الوسائل الصالحة للاستعمال، فهذا يبيّن مدى اتّساع مواردهم المادية والفكرية. إنّهم يشغلون مراكز جوهريّة لا يمكن عزلهم عنها في وقت قريب. فلا ينبغي القول إنّنا سنلقي الإسرائيليين في البحر لأنّهم لن يُلقوا في البحر. إذ يقتضي، لحدوث ذلك، وقوع أحداث قياميّة[1] تذكّر بالقيامة ونهاية العالم، ونحن من جانبنا لا نتمنّى وقوع أيّ شيء من هذا القبيل.

إنّنا، والحمد لله، لا نزال نتمسّك بمعنى الأخوّة الإنسانيّة في أعلى درجاتها. ولا نبتغي أذى حتى لأولئك الذين يطبقون شريعة المِثْل (السن بالسن...)، فجلّ ما نريد، بعد الآن، أن لا نصبح مهدّدين في عواطفنا كما في منازلنا. وليتذكروا أخيراً، ما الذي تمثّله المسيحيّة والاسلام في وجه عرقيّة إسرائيل الطائفيّة.

تحلم إسرائيل أن تستولي على كامل القدس وتجعلها عاصمةً لها. وتحلم إسرائيل بأن تستعيد أرض الأسباط الاثني عشر وأن تدفع باتجاه الفرات لإعادة بناء مملكة داود وسليمان. وربّما تحلم إسرائيل أيضاً في «الاستيلاء على اور» من أرض كلدان التي هي موطن ابراهيم... إنّنا نناهض مثل هذه الضلالات. فإنْ هي تحققت في مرحلتها الأولى بالذات، فهي تعني حصول الكارثة والعبوديّة بالنسبة إلى العرب.

إنّ التهديد الإسرائيلي قائم بحيث لا يغمض للعرب جفن. وإذا ما عدنا إلى هذه الصورة، وهذه الكلمات، فلأنها تمثّل الحقيقة الظاهرة.

(١) قياميّة Apocalyptiques او رؤيويّة تذكّر بنهاية العالم وحدوث القيامة. وهو يقصد الأحداث الخارقة الكبرى التي تتجاوز كلّ تصوّر.

فكيف لنا أن نستسلم لنومٍ قرير العين وقد حفّ بنا خطر إسرائيل الذي لا يُحدّ ومطامحها الصريحة والمضمَرة؟

أمّا أنّ إسرائيل لم تعد «وطناً قوميا» إنسانياً، فهذا ما يعرفه الجميع. وأن ترعى مشروع امبراطوريّة وهيمنة، فهذا ما لا يتجاهله أحد. ولهذا كان السلام مع إسرائيل مستحيلاً، إلا إذا...

قلنا إلا إذا وضعت الأمم المتحدة وأميركا وإنكلترا مسبقاً حداً لجشع إسرائيل، وإلا إذا أصبح الوجود السياسي الدولي والقانوني الدائم في الأماكن المقدسة وتدويل القدس، أمراً واقعاً. وإلا إذا تمّ ضمان الحدود العربو – إسرائيليّة تعاقدياً ونهائياً على الصعيد الدولي في ما يتجاوز «البيان الثلاثي».

فلقد شرعنا نعلم ونرى بالفعل، إلى أيّ حدّ يقترب البيان الثلاثي من نظريّة «النسبيّة» الشهيرة...

وعليه، يحسن بالعرب أن يظهروا إمكانيّة السلام وليس استحالته. فلا تشهر حرب دائمة إلا ضدّ عدوّ دائم. ويتوقّف الأمر على الأميركيّين والانكليز لإعادة اليهوديّة العالميّة إلى معنى الأمور الواقعيّة في فلسطين حبّاً بالسلام.

فالسلام يصبح ممكناً عندما تقتنع إسرائيل بضرورة التخلّي عن مجموعة من الحماقات والأوهام.

٦ تشرين الثاني ١٩٥٤

الشهادة الشريفة
لألفرد ليلنتال، اليهوديّ الأميركيّ

إنّ ما قاله السيد ألفرد ليلنتال لناظر الخارجيّة فوستر دالس إثر عودته إلى الولايات المتحدة هو، حسبما نقلته وكالات الأنباء، الحقيقة بعينها. فالبلدان العربيّة تميّز بشكل قاطع بين اليهوديّة والصهيونيّة. وهي تكنّ لليهوديّة كديانة، كل ما ينبغي من احترام؛ في حين أنّها تناهض الصهيونيّة كتعبير عنيف عن سياسة العدوان والفتح. وجميع اليهود اللبنانيّين يشهدون من دون شكّ على ذلك.

ويرى مؤلّف كتاب «أيّ ثمن لإسرائيل» أنّ وجود دولة يهوديّة صغيرة ومسالمة في فلسطين هو في نظر العرب أمر ممكن. في حين أن دولةً صهيونيّة، دائمة التوسّع كما في المفهوم الحالي لإسرائيل، تناقض طبيعة الأشياء، سيقاومها العرب مقاومة شرعيّة حتى منتهى الدهر. إنّ تشخيص السيد ليلنتال هو أشبه بتشخيصنا. إنّه تشخيص لرجل صافي النيّة.

أنّ السلام يمكن أن يعمّ فلسطين إذا ما تمّ تدويل القدس وتأمين ضمانة دوليّة تعاقديّة للحدود. ها نحن نردّد ذلك منذ زمن بعيد. وعبر تدويل القدس يتيسّر بالطبع حلّ مشكلة اللاجئين المأساويّة.

إنّ جرأة السيد ليلنتال هي شرف له بمقدار ما هو حرصه على الحقيقة. فإذا ما أُخذ رأي السيد ليلنتال بالاعتبار لدى حكومة واشنطن، فإن السياسة البرو–اسرائيليّة للولايات المتحدة لا بدّ من إصلاحها وأن تتخذ وجهاً جديداً. وكذا القول عن السياسة البريطانية (التي هي سياسة

المانشستر غارديان). وقريباً، عندما يعقد الديبلوماسيّون الانكليز في الشرقين الأدنى والأوسط مؤتمراً في بيروت، ويقوم زملاؤهم الأميركيّون بالشيء نفسه في دمشق، فإنّهم من دون شكّ سيتداولون جميعاً هذي الأمور التي هي على درجة عالية من الإلحاح والخطورة.

لطالما ذكّرنا دائماً (بالحقيقة القائلة): إذا كانت حاضرة الفاتيكان ومساحتها أربعة وأربعون هكتاراً، تكفي لحكم ما يزيد على ٤٠٠ مليون من الكاثوليك، فإنّ عشرة آلاف كيلومتر مربّع في أرض فلسطين ستكون كافية وضافية لحكم ١٦ مليوناً من اليهود المشتّتين في أنحاء العالم. ولأنّه ليس وارداً أن يعود جميع يهود العالم ويقيموا في فلسطين، فإنّ الملجأ السياسي، و«الوطن القومي» الذي يريده اليهود المتعقّلون سيكون كافياً لإشباع جميع حاجاتهم على مساحة عشرة آلاف كيلومتر مربّع. وسيكون ذلك ضمانةً كافيةً بوجه كل المخاطر.

إلا أن الصهيونيّة تودّ الإستيلاء على القدس، تريد أن تبني امبراطوريّة. إنّها تدغدغ حلماً مضطرباً قد يعرّض اليهود في فلسطين وكلّ أنحاء العالم، لشرّ النكبات. ذلك أن الادّعاءات الوقحة للصهيونيّة تمنع العرب من النوم، وتنتهي بإثارة الدول ضد اليهود حيث يقيمون، حتى ولو كانت هذه الدول الأكثر ضيافةً وليبراليّةً في الأرض والعالم.

إنّنا لنتساءل: ما الذي يمكن أن يقوله في السيّد ليلنتال أبناء ملّته؟ مهما يكن،فهذا الرجل الجسور، يؤدّي الآن، كما نرى، أكبر خدمة لإسرائيل وللولايات المتّحدة سويّة. فما يقوله ويدعو إليه، هو الحقيقة التي تحرّر.

٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٤

فتح القدس (تابع)

إذا كان الأردن يعترض على تدويل القدس، فما عليه إلاّ التخلّي عن الوقوف في وجه مطامح إسرائيل. ذلك أن إسرائيل تتحكّم بثلاثة أرباع المدينة المقدّسة، وما تطالب به الآن هو الربع الرابع أي، تحديداً، مكان الهيكل الذي هو مسجد عمر.

من أجل الحصول على بقيّةٍ باقية في القدس، يعرّض الأردن المدينة كلّها ومحيطَها للخطر. وفي قضيّة فلسطين يتحمّل الأردن، منذ البداية، مسؤوليّات جسيمة. وها هو يزيد من خطورتها. إنّه يمارس سياسة بائسة، وهل هي سياسته؟ فإذا ما رضي بالقليل الذي لديه، هل تُراه حصل صدفةً على ثمن لمسايراته؟

إذا كان يُراد للعالم العربي أن يردع مطامع إسرائيل، فلا بدّ من تدويل القدس. وحده الوجود الدوليّ يقدر أن يعيد إلى العرب النوم الذي طالما افتقدوه. وحده يجعل السلام إمكانيّةً قائمةً في سياق الزمن.

إنّ الأردن الضعيف يعترض على ما يشكّل ضمانته الأمنيّة. **إنّه يعترض على خلاصه بالذات.** فهل شركاؤه في الجامعة العربيّة مستعدّون لقبول ذلك؟ هل هم مستعدّون كي يكونوا فقط مجرّد ممثّلين صامتين في المأساة – الملهاة (التراجي–كوميديا) التي يجري تمثيلها؟

وفي حين يتمّ الإعلان على الملأ، في العواصم العربيّة، أنّ قتال إسرائيل سيستمرّ إلى ما لا نهاية له، يُسمح للأردن أن يدمّر الحظ الوحيد (للعرب)، ليس فقط بعدم وضع نهاية للحرب وإنّما لكي لا يأخذوا المبادرة، ذلك أنّ الأردن هو بين (البلدان) الأكثر تعرّضاً للخطر.

ها إنّ إسرائيل تستولي على القدس شيئاً فشيئاً. وآخر إنجازاتها تقديم ثلاثة من سفراء الدول الكبرى أوراق اعتمادهم في القدس. مرحلة بعد أخرى، تجعل هذه الإسرائيل من القدس عاصمتها، في حين يفضّل الأردن، ضد رغبة كافة شركائه، وضدّ رغبة كل المسيحيّة وكلّ الاسلام، أن يستجيب لمصالح عارضة وأنانيّة، على حساب تدويل القدس والسلام المقبل.

إنّ الغرور الأردنيّ لا يشرّف الهاشميّين. ولا يشهرهم في العالم العربي، بل هو يظهرهم وقد اتّبعوا مجداً باطلاً ومضلّلاً بدلاً من مصالح ذات بُعد عام، بل ذات بُعدٍ عالميّ.

فليتوقّف الكلام على توحيد السياسة الخارجيّة للعرب، وخصوصاً إذا كان أميرٌ هاشميّ يتحدّث في مثل هذا الأمر. وليتوقف الكلام إلاّ مع الابتسامة (الساخرة)، حول الصراع الفعّال ضد إسرائيل.

ها هي حكومة إسرائيل تسجّل انتصاراً. فموشيه شاريت سينجح بالتأكيد. ولكي يتجنّب ما يزعجه أكثر، يجد في الأردن حليفاً، وكدنا نقول شريكاً متواطئاً.

إنّنا نطالب بعد هذا بحقنا في أن يكون للبنان سياسةٌ خارجيّة محض لبنانيّة. هذا واجبنا. فنحن أيضاً، جيران مباشرون لإسرائيل، ولدينا هواجسنا والمخاوف. فإذا كان بإمكان الأردن أن يتحدّى الجامعة من دون عقاب، فنحن نستطيع ذلك أيضاً...

لم يعد بالإمكان أن نبقى مخدوعين إلى هذا الحدّ...

١٥ كانون الأول ١٩٥٤

الفهرس

	الصفحة
«واجب وطني» لخليل رامز سركيس	٧
إشارة تمهيد	١١
بمثابة مدخل	١٣
١٩٤٥-١٩٤٧: الإفلاس الخلقيّ	**١٥**
أرض الميعاد	١٧
قصّة يهوديّة	١٩
مدخلٌ لتحقيق	٢٣
ما قاله رئيس أساقفة إنكلترا	٢٦
لا جديد في فلسطين	٢٨
حظوظ العقل في فلسطين	٣٠
نقص في المنطق	٣٢
آفاق فلسطينيّة	٣٤
شهادة	٣٦
إسرائيل أمام الأمم	٣٨
قضاة إسرائيل	٤٠
واحدة لا تتجزّأ	٤٣
من أجل لجنة التحقيق	٤٥
مفكّرة لمحقّقي الأمم المتّحدة	٤٨
عن رسالة تاريخيّة	٥٠

	الصفحة
المأساة الفلسطينيّة	٥١
أميركا في الميزان	٥٤
مسيرة القَدَر	٥٥
فلسطين والجغرافيا	٥٨
الأمم المتّحدة وفلسطين دائماً وأبداً	٦١
فلسطين ليست أرضاً خاوية	٦٣
النكبة زاحفة	٦٥
النكبة زاحفة (تابع)	٦٧
سياسة ضالّة	٦٩
«عمل إنسانيّ» قاتل	٧١
أفق من دون ضوء	٧٣
١٩٤٨-١٩٥٠: التنازل عن الأرض المقدّسة	**٧٥**
خطر كبير	٧٧
ليكون جديدٌ في فلسطين	٧٩
المخرج	٨٢
مسعى غريب	٨٤
أمام الوقائع	٨٦
ليس حلماً	٨٨
المنعطف الحاسم	٩١
الأسباب الجلّى لنشوء مقاومة	٩٣
دَور الدول المخيِّب للأمل	٩٤

	الصفحة
طرائق في القول والكتابة	٩٦
مراحل إسرائيل	٩٩
بخصوص الهدنة	١٠١
مذكرة لما بعد الهدنة	١٠٣
المؤقّت الذي يدوم	١٠٦
الوسيط المرتبك	١٠٨
من مرحلة إلى أخرى	١١٠
مواعظ الأحد	١١٢
«العام المقبل نكون في أورشليم»	١١٤
مواعظ الأحد (٢)	١١٦
الغرب وفلسطين	١١٩
القدس في خطر	١٢٢
نهاية الوسيط المفجعة	١٢٥
السيّد رياض الصلح والديبلوماسيّة اللبنانيّة في باريس	١٢٧
عدوى الاقتداء	١٢٩
عواقب مكيدة وخطأ	١٣٢
هذا العام الجديد	١٣٣
تفكّرات حول الدولة اليهوديّة	١٣٥
على هامش مناقشة في مجلس العموم	١٣٨
مواعظ الأحد (٣)	١٤٢
مستقبل إسرائيل	١٤٤
أشكال السياسة الخارجيّة لإسرائيل	١٤٦

	الصفحة
خُطابات أردنيّة	١٤٩
لم يبقَ ثمَّة أرضٌ مقدّسة	١٥١
مصير القدس	١٥٤
جارٌ شرّير	١٥٦
كوريا وفلسطين	١٥٨
١٩٥١-١٩٥٤: إستمرار زحف النكبة	**١٦١**
على اللبيب سلام	١٦٣
السلام الذي تفتّش عنه إسرائيل	١٦٦
أسئلة	١٦٨
ملاحظات حول خطاب السيد إيلي بالمر	١٧٠
ذكرى الكونت برنادوت	١٧٣
في صلصلة السلاح	١٧٥
وجهٌ لوجه سابق لأوانه	١٧٨
الشَّرَك الإسرائيليّ	١٨٠
بخصوص المفاوضات مع إسرائيل	١٨٢
شكايات السيد موشيه شاريت	١٨٥
صرخة القلب	١٨٧
زمن الغضب	١٩٠
الشقاق ما بين معسكر كارل ماركس وذريّته	١٩٣
عرض وجيز برسم السيد جون فوستردالس	١٩٦
تمهيدٌ لزيارة السيد فوستردالس	٢٠٠

	الصفحة
المنفذ الوحيد	٢٠٣
من السويس إلى القدس	٢٠٦
من أجل سياسة أقلّ بؤساً	٢٠٨
ديبلوماسيّة إسرائيل	٢١٢
خلاص القدس	٢١٤
سياسة عميان	٢١٦
من عدوان إلى آخر	٢١٨
التحذير الأميركيّ ومهمّة السيد اريك جونستون	٢٢٠
على المستوى الأعلى	٢٢٣
شهادة	٢٢٦
مشاكل إسرائيليّة أم مشاكل يهوديّة؟	٢٢٩
صوت الفاتيكان	٢٣١
«العام المقبل في أورشليم»	٢٣٥
بين المطرقة والسندان	٢٣٧
حول خطبة ألقاها نيافة الكاردينال اغاجيانيان	٢٣٩
الأساس لسياسة (خارجيّة عربيّة)	٢٤٤
لجنة الهدنة العاجزة	٢٤٥
صلة وراثة ما بين «نيويورك وتلّ أبيب»	٢٤٧
فتح القدس	٢٥٠
السلم مع إسرائيل يتوقّف على إسرائيل	٢٥٢
الشهادة الشريفة لألفرد ليلنتال، اليهوديّ الأميركي	٢٥٥
فتح القدس (تابع)	٢٥٧

طُبع هذا الكتاب
في مطبعة شمالي أند شمالي
بيروت – ٢٠٠٣